الفيصل

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

العدد (٦٩) ـ ربيع الأول ١٤٠٣ هـ ـ السنة السادسة ـ كانون الأول (ديسمبر) / كانون الثاني (يناير) ١٩٨٣ م

ISSUE (69) - SIXTH YEAR - DECEMBER/JANUARY 1983.



بسم الله الرحمن الرحيم

الفيصل

ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE — مجلة ثقافية شهرية

PUBLISHED BY AL-FAISAL CULTURAL HOUSE — تصدر عن دار الفيصل الثقافية

ISSUE (69) - SIXTH YEAR - DECEMBER/JANUARY 1983. — العدد (٦٩) ـ ربيع الأول ١٤٠٣ هـ ـ السنة السادسة ـ كانون الأول (ديسمبر) / كانون الثاني (يناير) ١٩٨٣ م

رئيس التحرير

علوي طه الصافي

ALAWI TAHA ALSAFI

Editor-in-Chief

المراسلات :

All Correspondence To:

الرياض ـ المملكة العربية السعودية
مجلة الفيصل ص . ب (٣)
هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧
تلكس ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ

Riyadh-Saudi Arabia
Al-Faisal Magazine P.O.Box 3
Tel 4653026-4653027
TELEX 202600 DRFATH SJ

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

المملكة العربية السعودية	٨ ريالات	الأردن	٤٠٠ فلس	تونس	٥٠٠ مليم
الكويت	٦٠٠ فلس	ج . ع . اليمنية	٦ ريالات	الجزائر	٥ دنانير
الإمارات العربية المتحدة	٧ دراهم	ج . اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس	العراق	٤٠٠ فلس
قطر	٦ ريالات	مصر	٣٠٠ مليم	سورية	٥ ليرات
البحرين	٥٠٠ فلس	السودان	٣٠٠ مليم	لبنان	٥ ليرات
سلطنة عمان	٦٠٠ بيسة	المغرب	٥ دراهم	ليبيا	٨٠٠ درهم

● أسعار الاشتراكات السنوية :

للأفراد ١٥٠ ريالا سعوديا لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعوديا

ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

EUROPE - AMERICA - ASIA

Belgium	BF	200	Italy	L	4000	Sweden	SKR	30
Denmark	DKR	30	Netherlands	DFL	10	Switzerland	SF	6
Finland	FMK	30	Norway	NKR	30	United Kingdom	£	2
France	FF	15	Pakistan	RS	10	U.S.A.	$	5
F.R.G.	DM	10	Portugal	ESQ	100			
Greece	DR	100	Spain	PTS	150			

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription : S.R. 150 Others : S.R.250

PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

طبع في : شركة الطباعة العربية السعودية (محدودة)
ص . ب ٦٤٦٣ ـ الرياض ، هاتف ٤٧٨٦٨٩٦ ، العزيزية ٤٦٥٨٩٩٠

في هذا العدد

من كتاب العدد

د. جمال الدين سيد محمد



★ من مواليد القاهرة عام ١٩٤٢م.

★ دكتوراه في الألسن — جامعة بلغراد في يوغوسلافيا.

★ متخصص في اللغة الصربوكرواتية.

★ يعمل مترجم أول ومحرر باللغة الصربوكرواتية بالهيئة العامة للاستعلامات.

★ حضر أغلب المؤتمرات الخاصة بدراسة اللغات السلافية عامة، والصربوكرواتية خاصة.

★ له عدة دراسات نشرتها المجلات العربية.

د. طه وادي



★ أستاذ الأدب الحديث بكلية الآداب بجامعة القاهرة.

★ صدرت له دراسات نقدية متنوعة في الرواية والشعر الحديث والمعاصر من أهمها:

— «شعر شوقي .. الغنائي والمسرحي» عام ١٩٨١م.

— «شعر ناجي .. الموقف والأداة» عام ١٩٨١م.

— «صورة المرأة في الرواية المعاصرة» عام ١٩٨٠م.

— «د. هيكل .. حياته وتراثه» عام ١٩٦٩م.

★ صدرت له مجموعتان قصصيتان هما: «عمار يا مصر»، «الدموع لا تمسح الأحزان».

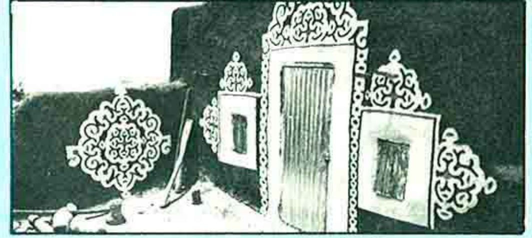
★ كما صدرت له روايتان طويلتان هما: «الأفق البعيد»، «الممكن والمستحيل».

د. جميل إبراهيم علوش



★ من مواليد بيرزيت في فلسطين عام ١٩٣٧م.

●● كانت مدناً تزخر بالحياة، وتفيض بالعلم. وتحمل مشعل الحضارة الإسلامية. واليوم أنذر الجفاف باندثارها، وآذنت رمال الصحراء بابتلاعها. إنها مدن في موريتانيا الشقيقة، منها: «شنقيط»، «تيشيت»، «ولاته»، «وادان». طالع ص (٢٥).



●● ينبع العقل أساساً من «المخ»، ومن هذه الحقيقة أدرك العلماء أن أي خلل في المخ، يؤدي إلى خلل في التصرف أو السلوك.. فمن يفقد عقله، يفقد آدميته، ويصبح أقرب إلى الحيوان منه إلى الإنسان!. طالع ص (٩٩).



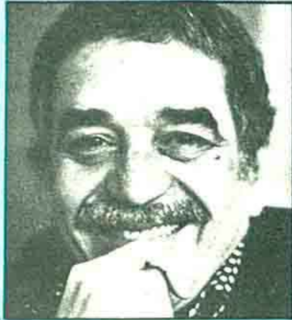


●● «متحف ما وراء البحار» يقوم بمدينة «برمان» بألمانيا الاتحادية. والاهتمام الغالب عليه هو الطابع التجاري.. إلا أن الهدف الأساسي من فكرته، هو إعطاء فكرة تاريخية، عن حياة الشعوب فيما وراء البحار.. موسيقاها وفنونها، بيئاتها، وثقافاتها. طالع ص (٣٢).

●● نشر «غابرييل غارسيا ماركيز» رواية «مائة عام من العزلة» عام ١٩٦٧م، فأحدثت دوياً في مجال الرواية، ودفعت بمؤلفها إلى طليعة الروائيين في العالم. وجعلت منه مليونيراً شهرة ومالاً. طالع ص (١١٩).

●● ينشأ البرد، حين يتعرض جسم الإنسان لرياح محمّلة بالهواء البارد، ذات درجات حرارة منخفضة، لمدة طويلة، دون أن يحمي الإنسان نفسه بعازل يصد عنه تيارات الهواء الباردة، فتتدنى تبعاً لذلك حرارة الجسم الاعتيادية، و.. يشعر الإنسان بالبرد. طالع ص (٩١).





★ دكتوراه (فقه اللغة).

★ عمل في وزارة المالية والنفط في الكويت، ومدرساً في المدرسة الأهلية للبنات ومعهد الكلية العربية، ومعهد المعلمين بالأردن.

★ له عدد من الدواوين الشعرية، والأبحاث والدراسات النقدية.

★ شارك في عدد من المهرجانات والندوات الأدبية.

★ يعمل حالياً مدرساً للغة العربية في معهد المعلمين بالسلط في الأردن، ويدعى الآن معهد كلية المجتمع.



د. داود السلوم

★ من مواليد بغداد ـ العراق ١٩٣٠م.

★ دكتوراه في النقد الأدبي والأدب المقارن.

★ رأس قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب.

★ يعمل حالياً أستاذاً في قسم اللغة العربية.

★ شارك في عدد من المؤتمرات التراثية والتعليمية.

★ يجيد الإنجليزية وشيئاً من الألمانية والفرنسية.

★ له ما يربو على عشرين كتاباً في مختلف الاهتمامات الأدبية والنقدية إلى جانب عشرات البحوث باللغتين العربية والإنجليزية.

خليل محمد الشيخ خليل

★ ولد سنة ١٩٥٤م.

★ شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها.

★ عمل في وزارة التربية والتعليم الأردنية أربع سنوات.



★ يعمل حالياً محاضراً في مركز اللغات في الجامعة الأردنية.

★ كتب في الصحافة الأردنية، العديد من المقالات، كما كُتب بعض المقالات في المجلات العربية.



اليوم و الغد

التلفزيون ينافس الحبوب المنومة

هناك الآن **برامج تلفزيونية مصممة خصيصاً لجعل المتفرج يستسلم للنوم**. فقد قامت إحدى الشركات الأميركية بإنتاج أشرطة فيديو طول كل منها ٢/١ ساعة ، يعرض فيها مشاهد طبيعية مثل شواطئ البحار ، شلالات مائية ، غابات ، ... إلخ ، وقد استعملت هذه الأشرطة أيضاً لمعالجة المرضى المصابين بإجهادات عصبية لأنها تساعد على الاسترخاء . وهناك إمكانية لتعديل إضاءة الصورة ومستوى الصوت وذلك حسب تغيرات الحالات العصبية والفيزيائية للمشاهد التي تتحدد بواسطة درجة حرارة يده .

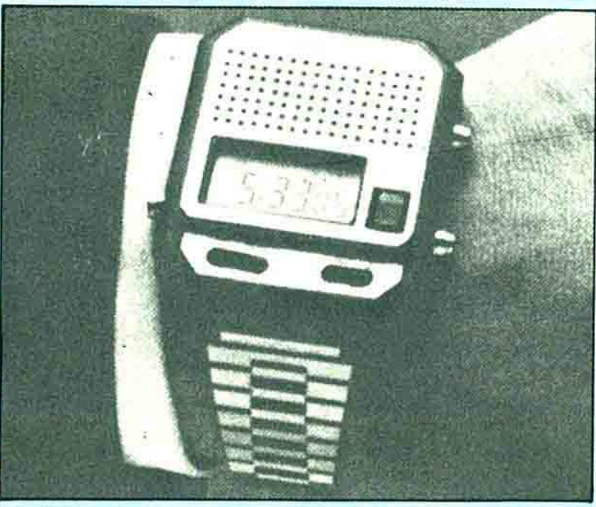
(في الصورة : يشاهد المريض مناظر الشاطئ بينما يقوم الفني ، على اليمين ، بقياس درجة حرارة يده لتعديل شدة الإضاءة ومستوى الصوت) .





ساعة الطيارين

تقوم هذه الساعة بخدمات جليلة للطيارين أو المسافرين جواً ، لذا أطلق عليها اسم «**ميقاتية الطائرات**» . تتميز هذه الطائرة في أنها تعطي ٦ أرقام ، وفيها ساعة ميقاتية ، وعداد تنازلي مع منبه ، ومؤقت لتحديد الزمن الذي تستغرقه مدة الطيران مثلاً .





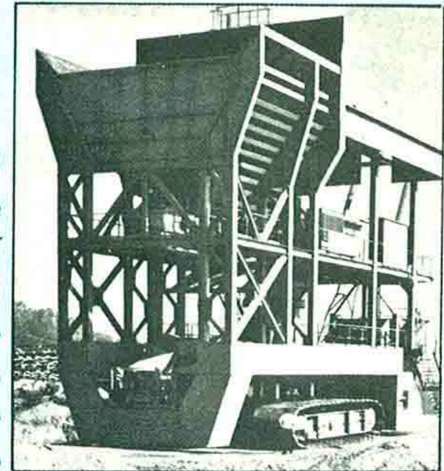
جهاز الحلاقة الميكروي

هذا الجهاز أصغر من علبة التبغ ، ومزود بمحرك كهربائي كامل القوة ، حسب ادعاء الشركة **(ميتسوبيشي) اليابانية** ، وهو يحتوي على ٢٤ شفرة مصنوعة من **الفولاذ المقاوم للصدأ** . ويباع معه جهاز لإعادة شحن البطارية **النيكل ـ كادميوم** التي تزود المحرك بالكهرباء اللازمة .

الساعة الناطقة

«انتبه من فضلك ، الساعة الآن هي السابعة والدقيقة الخامسة والثلاثين صباحاً» ... تستيقظ من نومك وتضغط على زر لإسكات الساعة ، وإلا كررت النداء مرة كل ٢٠ ثانية . ساعة اليد هذه مزودة **بحاسب إلكتروني** «ينطق» بالتوقيت أو الزمن المقطوع بين إشارتين وذلك **حسب الطلب** . هذه الساعة هي من إنتاج شركة **(برسونال إلكترونيكس)** الأميركية .

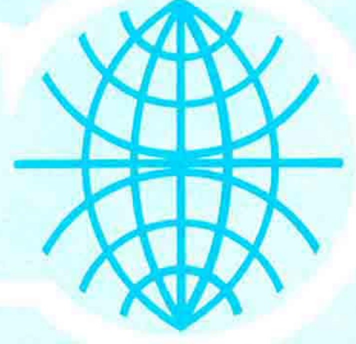
كسارة عملاقة



في المناجم السطحية التي يستخرج فيها الفحم البني (أحد أنواع الفحم الحجري المتميز بنسبة رماد عالية وسعة حرارية منخفضة) تستخدم حالياً كسارة لتحطيم الصخور الغرانيتية التي تعيق استخراج الفحم البني . عندما يراد تغيير موقع هذه المنشأة العملاقة التي يبلغ ارتفاعها ١٧,٦ م وطولها ٣٦,٧ م ، ووزنها ٥٠٠ طن (وهي من صنع شركة كروب الألمانية) ، تنزل تحتها «نقالة» متحركة تحملها وتسير بها إلى موقع العمل الجديد .

الليزر يسرع نمو الأشجار

لوحظت هذه الظاهرة لدى معالجة غبار الطلع بأشعة الليزر قبل التلقيح . هذا ما أظهرته دراسات البيوفيزيائيين السوفيات في جمهورية كازاخستان لدى زراعة بعض أنواع أشجار الصنوبر والإجاص المعالجة بالليزر بغية زيادة مقاومتها للرياح الصيفية الحارة .



الحركة الثقافية

* * من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحا شهريا لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب، بل في «العالم» الانساني.

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا، والله الموفق **



- بعض الكشوف الأثرية في الوطن العربي.
- جائزة تقديرية للأدب في السعودية.
- وفاة الدكتور محمد البهي، والأديب الشاعر مطلق مخلد الذيابي.
- مؤتمر الآثار العربية العاشر يعقد في الجزائر.
- «اعرف بلادك» اسم مشروع ثقافي في السعودية.
- منهج جديد للغة العربية في الإمارات العربية المتحدة.



- فتح المعهد الإسلامي في الصين.
- افتتاح مدرسة إسلامية بأميريكا، ومكتبة إسلامية في بريطانيا.
- وفاة العالم النمساوي «هانز سيلي».
- الدكتوراه الفخرية للرئيس الغيني أحمد سيكوتوري.
- في المستقبل القريب: ★ تاريخ اليمن في مجلدات ستصدر في الاتحاد السوفياتي.

★ مؤتمر عالمي لعلماء الأدب الألماني سيعقد في ألمانيا الغربية.


★ مطلق الذبابي ★

انتقل إلى رحمة الله تعالى **الأديب والشاعر والفنان «مطلق مخلد الذيابي»** وذلك يوم الجمعة الرابع من شهر صفر لعام ١٤٠٣ هـ، إثر نوبة قلبية، وكان رحمه الله قد بلغ من العمر (٦٠) عاماً حيث **ولد في عام ١٣٤٣ هـ، في عمّان بالأردن، درس في الأردن** حتى وصل إلى المرحلة الثانوية، أما عن شعره فقد تعلم الشعر منذ صغره، وكان راوية الشعر **للملك عبد الله جد الملك حسين عاهل الأردن** ولم يكن قد تجاوز العاشرة من عمره، ثم عاد إلى وطنه مع بداية إرسال **الإذاعة السعودية** منذ أكثر من ثلاثين عاماً حيث كان من أوائل المذيعين بها. وكان مقرها آنذاك **بمكة المكرمة**.

أما عن مواهبه المتعددة فقد ظهرت في مقتبل حياته فأجاد الفن الإذاعي كمذيع ومقدم برامج، كما **نبغ في الموسيقى عازفاً على آلة العود والكمان**، ثم ملحناً ومطرباً وكان قد اختار لنفسه اسماً فنياً هو **«سمير الوادي»**، أما عن تأليفه في مجال الشعر فقد صدر له **ديوانه الأول (أطياف العذارى)**، أما عن نشاطه في الإذاعة؛ فمن أشهر برامجه الإذاعية **«برنامج البادية»** ذلك الذي كان يعده ويقدمه قبل عشرين عاماً، ثم برنامجه **«خاطرة أدبية»** وكذا **«من ثمرات الأوراق»** وهو برنامج أدبي وكذا **«النادي الأدبي»** و **«رحاب الإيمان»**.

أما عن حياته العملية بالإضافة إلى الإذاعة فقد تقلّد عدداً من المناصب غير الوظيفية التي تدخل في نطاق الخدمة العامة مثل:

★ عضويته في مجلس إدارة النادي الأدبي بجدة.

★ مديراً لإدارة النشاطات بفرع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بجدة.

أما أعماله الرسمية في الإذاعة فقد تقلّد مناصب عديدة منها:

★ الإشراف على القسم الموسيقي لأكثر من عشر سنوات.

★ مديراً لإدارة الإنتاج بإذاعة جدة، ورئيساً للجنة النصوص والأغاني خلال السنوات الأخيرة.

رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته وألهم أهله وذويه وقرّاءه الصبر والسلوان وإنا لله وإنا إليه راجعون.

مشروع «اعرف بلادك»

ضمن اهتمامات **الرئاسة العامة لرعاية الشباب** بإيجاد دراسات متخصصة في تواريخ المدن والمناطق المختلفة بالمملكة، لذلك فقد قررت **وضع مشروع تحت اسم «اعرف بلادك»** يدعى إليه الأدباء والمؤرخون للكتابة فيه، حيث سيتم طبع الدراسات التي ستقدم في كتيبات باسم الرئاسة، ثم يجري توزيعها على منسوبي الأندية والجمعيات والجامعات وسائر الهيئات المعنية، وذلك بهدف تزويد المكتبات الثقافية بالعديد من المؤلفات التاريخية المتعمقة، والمتضمنة لتاريخ المملكة القديم والحديث، كما أن هذا المشروع من خلال كتيباته تلك سيساهم في تطوير برامج المحاضرات عن صورتها التقليدية المألوفة، وبالتالي تشجيع الشباب على ارتياد


★ الأمير فيصل بن فهد ★ ★ الشيخ حسن آل الشيخ ★ ★ د. غازي القصيبي ★

جائزة الدولة التقديرية للأدب

صدرت الموافقة على **اعتماد لائحة جائزة الدولة التقديرية للأدب** المقترحة من قبل **الرئاسة العامة لرعاية الشباب**، ومما يذكر أن الجائزة سوف تمنح في كل عام لثلاثة من الأدباء السعوديين الذين يساهمون في إثراء الحركة **الدينية والفكرية والأدبية**، وتتكون من **ميدالية ذهبية ومكافأة نقدية مجزية ستصرف للحاصل على جائزة الدولة للأدب مدى الحياة**، كما تضمنت الموافقة كذلك على تشكيل لجنة خاصة للجائزة تتكون من:

★ سمو الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز رئيساً.

★ الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ عضواً.

★ الدكتور غازي القصيبي عضواً.

★ الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي عضواً.

★ الدكتور منصور الحازمي عضواً.

★ الأستاذ محمد حسين زيدان عضواً.

والجدير بالذكر أنه سبق قبل فترة ليست قصيرة أن تحدثت الصحافة عن هذه الجائزة، وأن قيمة المكافأة النقدية (٥٠,٠٠٠) ريال سعودي سنوياً.

★ د. عبد الله التركي ★ ★ د. منصور الحازمي ★ ★ محمد حسين زيدان ★


كلمة

الحاسب الإلكتروني في حياتنا

لا نكاد نسمع عن اكتشاف حديث في العلم أو اختراع ما أو تطور في العلوم أو الطب أو وسائل الاتصال أو التكنولوجيا إلا ويكون له علاقة **بالحاسب الإلكتروني (الكمبيوتر)** . لقد دخل هذا الحاسب الإلكتروني في جميع مجالات الحياة تقريباً ، وسهّل العمل في كثير من الحقول وساعد على حل كثير من المشاكل .

ويعود تاريخ الكومبيوتر الفعلي إلى منتصف القرن السابع عشر الميلادي عندما صنع العالم الفرنسي باسكال أول آلة للجمع ، وفي عام ١٩٤٤م ، صنعت أول آلة حاسبة إلكترونية بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة ، وكان وزنها يصل إلى أربعين طناً .

وفي عام ١٩٤٦م ، صنعت آلة إنياك بالولايات المتحدة والتي تكونت من ١٨ ألف صمام ، وكان في استطاعة هذه الآلة أن تقوم بحل أكثر من مليون عملية حسابية في الساعة الواحدة . وتوقفت بعد ذلك الحاسبات الإلكترونية في مختلف المجالات . وخلال ربع القرن الأخير أمكن ضغط أجهزة الكمبيوتر التي تملأ غرفة كبيرة في شظية أصغر من حجم طابع البريد . وتصنع هذه الأجهزة غالباً من شرائح صغيرة من مادة السيليكون أو الجرمانيوم ، وتحوي مئات أو آلاف الدوائر الإلكترونية . وتجاري الحاسبات الإلكترونية الإنسان في القيام بما يطلب منها وتفوقه في السرعة وحل المشكلات المستعصية إلا أنها تعتمد على الإنسان في اختراع البرامج التي تعمل على أساسها ، والحاسب الإلكتروني مجرد آلة عملاقة في سرعتها وقدرتها على التذكر حسب ما يضعه الإنسان في داخلها من أوامر مبرمجة من أجل مساعدته على اتخاذ القرارات .

وقد تقدمت الحاسبات الإلكترونية (الكمبيوتر) تقدماً كبيراً بحيث ساعدت في حل كثير من مشاكل الإنسان والبيئة . **وتستطيع بعض الحاسبات الإلكترونية أن تلعب الشطرنج وتؤلف الموسيق وتتكلم في التليفون وتساعد الأطباء في تقييم المرض وتشخيصه ، كما أن بعضها يقود الطائرات ويطبع على الآلات الكاتبة ، ويقرأ للمكفوفين** . وتستعمل الحاسبات الإلكترونية في مجالات البحث العلمي وتطوير التكنولوجيا ، كما تستعمل في البنوك والشركات والجامعات ، وتنظم الأمور المالية والإدارية في الفنادق وتسهل أمور الحجز في الطائرات ، وحفظ السجلات المختلفة وعمل الإحصائيات . وتقوم الحاسبات الإلكترونية بحساب احتياطي الدول من مصادر ثرواتها البترولية والمعدنية والمائية ، وتقوم الحاسبات الإلكترونية حالياً بمساعدة ربات البيوت في تنظيم أمورهن ومساعدتهن في أعمال الطبخ والتنظيف وترتيب بيوتهن .

والكمبيوتر لا يفكر ولا يبتكر ولا يخترع بل هو ينفذ بدقة ما وضع بداخله من برامج يبتكرها ويطورها الإنسان ، ويقوم بالإشراف الكامل على تنفيذها ولكن الحاسب الإلكتروني (الكمبيوتر) سيدخل بشكل كبير في مختلف مجالات حياتنا ، وسنلمس ذلك في الأيام القادمة ، ولعل عصرنا هذا سيكون نقطة تحول في تطور الإنسان نحو امتلاك السيطرة على البيئة والتغلب على كثير من مشاكل الحضارة . إننا بحق نعيش في عصر الحاسبات الإلكترونية ، عصر الكمبيوتر .

د . أحمد عبد القادر المهندس

قاعات المحاضرات .

ومما يذكر أن هناك عدة **شروط** وضعت بهدف النهوض بهذا المشروع أهمها :

★ أن يكون الكتاب المقترح الذي يتضمن الدراسة المعينة لمنطقة ما من الحجم الصغير تتراوح عدد صفحاته بين ٧٥ إلى ١٠٠ .

★ أن يتضمن محتواه رصيداً تاريخياً يفسر الظواهر الاجتماعية السائدة بأسلوب علمي مبسط .

★ أما عن الموضوعات فإن هناك لجنة حددتها بالتواريخ الخاصة بالمنطقة أو المدينة ، وكذا الخصائص الجغرافية والاجتماعية لها ، وكذا العادات والتقاليد وكل ما يتعلق بها .

هذا . . وقد وضعت الرئاسة مكافآت للباحثين الذين سيساهمون في تنفيذ المشروع .

الفائزون بمسابقة نادي الطائف

أعلن **نادي الطائف الأدبي** عن نتيجة مسابقته الأدبية السنوية لعام ١٤٠٢ هـ ، حيث فاز كل من :

★ في مجال القصة :

حسن أحمد الغمي عن قصته **« دوائر زمنية »** .

أحمد ربيع الأسواني عن قصته **« الابتزاز »** .

أحلام عبد اللطيف حاوي عن قصتها **« وجرفني التيار »** .

يحيى عبود بن يحيى عن قصته **« الحظ العاثر »** .

إبراهيم محمد الحربي عن قصته **« الريشة والجنون »** .

★ في الشعر :

محمد عبد الرحمن الحفظي حيث فاز بالجائزة الأولى .

محمد صالح الخولاني حيث فاز بالجائزة الثالثة .

أما الجائزة الثانية والرابعة والخامسة فقد حجبت .

★ في البحث والمقالة :

هاشم حسن كيفي حيث فاز بالجائزة الثالثة .

جميل حامد القسامي حيث فاز بالجائزة الرابعة .

آمنة عبد العزيز الهليل حيث فازت بالجائزة الخامسة .

أما الجائزتان الأولى والثانية فقد حجبتا .

كشف أثري

اكتشفت **بعثة الآثار بالمنطقة الغربية (جدة)** بعض الأحجار الكبيرة الحجم وعليها نقوش ورسوم لإنسان ما قبل التاريخ ، وكذا للحيوانات التي كانت تعيش في المنطقة ، وقد تأكدت من أن محتويات هذا الكشف والبالغة (سبع قطع) كبيرة تعود إلى ما قبل **خمسة آلاف سنة** من الآن وذلك من قبل لجنة مشكّلة لدراسة هذا الكشف الأثري الهام ، ومما يذكر أنه قد تم العثور عليها في حدود مدينة (جدة) .

* كتب جديدة *

● **« الجنس الناعم في ظل الإسلام »** ، تأليف سعيد



في الوطن العربي

عبد العزيز الجندول، صدر عن تهامة للنشر بجدة ضمن سلسلة «الكتاب العربي السعودي».

● «خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب»، تأليف عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ج ٩، صدر عن دار الرفاعي للنشر بالرياض.



★ عبد السلام هارون ★

● «رفع الحرج في الشريعة الإسلامية»، تأليف الشيخ مناع القطان، صدر عن الدار السعودية للنشر والتوزيع بجدة.

رسائل جامعية

●● «منهج التصنيف ـ موسوعة حديثة»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تقدم بها السيد عبد القادر أحمد عبد القادر.

●● «فواتح السور في القرآن الكريم»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تقدم بها السيد فاروق حسين محمد أمين.

●● «شرح الرضي الاسترابادي على كافية ابن حاجب»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية الآداب ـ جامعة دمشق، تقدم بها السيد محمد التكريتي.

●● «المعونة في علم الحساب الهوائي» لأحمد بن محمد المقدسي، موضوع رسالة لنيل شهادة الدبلوم العالي، نوقشت بمركز إحياء التراث العلمي العربي للدراسات العليا ببغداد، تقدم بها السيد خضير عباس المشنداوي.

●● «كنز العلوم والدر المنظوم في حقائق علم الشريعة ودقائق علم الطبيعة»، لابن تومرت محمد بن عبد الله الأندلسي، موضوع رسالة لنيل شهادة الدبلوم العالي، نوقشت بمركز إحياء التراث العلمي العربي للدراسات العليا ببغداد، تقدم بها السيد عامر عطا عبد الغني.

●● «شرح الحدود النحوية»، لعبد الله بن أحمد الفاكهي ـ دراسة وتحقيق، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية اللغة العربية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، تقدم بها السيد صالح بن حسين العائد.

●● «طبيعة مكونات ما قبل التحف تحت سطحية المنطقتين الوسطى والشمالية الغربية من المملكة ـ جيولوجيا البترول ـ»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بكلية علوم الأرض التابعة لجامعة



في دائرة الضوء

● الكتاب: المملكة العربية السعودية في مواجهة العصور الحديثة

● لمؤلفيه: جان لوي سوليي ولوسيان شام بونوا

Le Royaume d'Arabie Saoudite à l'epreuve des temps modernes

Auteurs: J. L. Soulie – Lucien Champenois

في باريس صدر كتاب يحمل عنوان: المملكة العربية السعودية في مواجهة العصور الحديثة «Le Royaume d'Arabie Saoudite à l'epreuve des temps modernes» وهو من تأليف كاتبين أوروبيين هما: جان لوي سوليي J.L. Soulie ولوسيان شام بونوا Lucien Champenois، ومن منشورات دار ألبان ميشال (Albain Michel Editions) ويقع في ٢٤٨ صفحة من الحجم الكبير.

أول ما يلفت النظر أن الكتاب مؤلف من طرف كاتبين، ومن خلال المقدمة يتجه المؤلفان إلى تعداد الأسباب الحقيقية والعملية التي جعلت من هذا البلد يحتل المكانة المرموقة التي أصبحت نقطة اهتمام العالم. ويعبر المؤلفان عن رغبتهما في إعطاء المزيد من الأجوبة لكل الذين يتساءلون عن السبب أو الأسباب التي جعلت «المملكة العربية السعودية» تتبوأ المرتبة اللائقة لا في منطقة الخليج فحسب بل في العالم. ويطلق المؤلفان لفظة «مذهلة» على المكانة، نظراً للتطور السريع الذي حصل في البلاد في شتى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والحياتية بصفة عامة، وذلك في مدة قصيرة لا تتعدى نصف قرن تقريباً، أي منذ ٢١ جمادى الأولى ١٣٥١ هـ، الموافق ٢٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٣٣ م، وهو تاريخ تسمية هذا الجزء من شبه الجزيرة العربية باسم «المملكة العربية السعودية».

والكتاب يشتمل على قسمين رئيسيين وهما:

● القسم الأول: وهو عبارة عن دراسة تاريخية تشمل الفصول الآتية. وهي حسب الترتيب التالي:

(١) الإسلام التقليدي.
(٢) الإسلام الثوري.
(٣) مملكة آل سعود.
(٤) عبد العزيز آل سعود.
(٥) تولي فيصل الحكم.
(٦) بروز آل سعود.
(٧) خالد يرث الحكم.

القسم الأول يجيب على التساؤلات المطروحة في مقدمة الكتاب، فأهمية البلاد تأتي من كون أن المملكة العربية السعودية

الملك عبد العزيز بجدة ، تقدم بها السيد **عبد العزيز عبد الله اللعبون** .

●● « **شعر الرثاء بين شوقي وحافظ** » ، موضوع **رسالة ماجستير** نوقشت **بكلية اللغة العربية** التابعة **لجامعة الأزهر** ، تقدم بها السيد **محمد قمر عالم** .

●● « **العلاقات السياسية والاقتصادية بين الدول العربية الإسلامية ودول الروم البيزنطية حتى نهاية العصر الأموي** » ، موضوع **رسالة دكتوراه** نوقشت **بجامعة القاهرة (كلية الآداب)** ، تقدم بها السيد **راضي عبد الله عبد الحليم** .

●● « **العلاقة بين وزن الجسم والأعراض الإكلينيكية والتغيرات بالأشعة في حالة تآكل غضاريف الركبة** » ، موضوع **رسالة ماجستير** نوقشت **بجامعة القاهرة (كلية الطب)** ، تقدمت بها السيدة **صفاء بسيوني** .

●● « **القاضي أبو يوسف وأثره في الفقه الحنفي** » ، موضوع **رسالة ماجستير** نوقشت **بكلية الدراسات الإسلامية والعربية** بفرع البنات ـ **بجامعة الأزهر** ، تقدمت بها السيدة **ستي رملة محمد شكري** .

●● « **نظام حجز الضريبة من المتبع ـ دراسة مقارنة مع التطبيق على جمهورية مصر العربية** » ، موضوع **رسالة دكتوراه** نوقشت **بجامعة المنصورة** ، تقدم بها السيد **أحمد قللي** .

●● « **المعري ناقداً** » ، موضوع **رسالة ماجستير** نوقشت **بكلية الآداب بجامعة بغداد بالعراق** ، تقدم بها السيد **وليد محمود خالص** .

●● « **الهجاء في الشعر العربي في العراق ـ من بداية القرن الرابع الهجري إلى منتصف القرن السابع الهجري** » ، موضوع **رسالة دكتوراه** ، نوقشت **بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة** ، تقدم بها السيد **شفيق محمد إبراهيم** .

●● « **حروف الجر بين الألمانية والعربية** » ، موضوع **رسالة ماجستير** نوقشت **بكلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر** ، تقدم بها السيد **محمد أحمد منصور** .

مصر :

وفاة الدكتور محمد البهي

انتقل إلى رحمة الله تعالى المفكر الإسلامي « **الدكتور محمد البهي** » ذلك الذي نذر نفسه للعلم ، وشرع قلمه للدفاع عن الإسلام ، فقد أخرج رحمه الله كثيراً من الكتب التي كشفت التيارات المعادية للإسلام مثل اليسارية ، الشيوعية ، الرأسمالية ، اليهودية ، الصهيونية ، وحركات الماسونية ، وقد لقيت كتبه إقبالا كبيراً واضطرت « **مكتبة وهبة** » لإعادة طباعتها مرات كثيرة نظراً لدورها المحمود الكبير . من كتبه كتاب « **الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي** » ، كما **ألف غيره أكثر من (٦٠) كتاباً** من بينها « **مشروعه لتفسير القرآن الكريم** » الذي كتب فيه عدة أجزاء ، وفوق هذا

مهد الإسلام وموطن العروبة ، حيث **مكة المكرمة والمدينة المنورة** مهبط الوحي والرسالة المحمدية ومنطلق الدعوة الإسلامية ، وهكذا تطرق المؤلفان إلى **الإسلام** ومدى تأثيره على المنطقة منذ ظهور نبي الإسلام **محمد صلى الله عليه وسلم** في بداية القرن السابع الميلادي حيث الهجرة المحمدية (٦٢٢ ميلادية) تاريخ انتشار الإسلام .

كما أن القسم الأول يتعرض لبعض الأحداث التاريخية المهمة في المملكة العربية السعودية كقصة **استرداد الرياض** عاصمة المملكة حالياً من طرف **الملك الراحل عبد العزيز آل سعود** بعد أجيال وعهود من التفكك والضعف .. إلى غيرها من الأحداث التي يطول المقام لذكرها ، ثم يتعرض لحياة **الملك الراحل فيصل** والدور الذي لعبه من أجل خدمة بلاده والعالم الإسلامي والعربي ، ويتطرق في الجزء الأخير من هذا القسم إلى شخصية **الملك خالد** ، والفترة التاريخية التي تسلم فيها الحكم .

أما **القسم الثاني : فهو** عبارة عن محاولة تحليلية تحتوي على الفصول الآتية ، وهي :

(١) الوسط الإنساني .

(٢) الحكم ومؤسساته .

(٣) النمو الاقتصادي .

(٤) العلاقات الخارجية .

(٥) المستقبل الموعود .

وهذا القسم الأخير من الكتاب مهم نظراً لما جاء فيه من معلومات ، ونظراً كذلك للطابع التحليلي الذي يتسم به في تتبع التطور الهائل الذي وصل إليه هذا البلد ، وهنا يجيب المؤلفان عن أسئلتهما المطروحة في أول الكتاب ، فبعد **المكانة « الروحية »** التي تحتلها البلاد ، هناك **المكانة الاقتصادية والنقدية** التي تحتلها البلاد في العالم ، حيث كان لظهور **البترول** الأثر الكبير في تطور البلاد ونموها ، هذا النمو الاقتصادي المضطرد سنة بعد أخرى .

ويتطرق سوليبي وشام بونوا إلى **السياسة الخارجية** للبلاد ، حيث تسعى المملكة العربية السعودية إلى تحقيق الاستقرار والرفاهية داخل البلاد ، وتسهيل سبل التعاون بين جميع الشعوب . وهكذا تسعى الجهات المسؤولة إلى تحقيق غد أفضل للبلاد بتأمين حاجيات المواطن السعودي بفضل خطط التنمية التي تحددها الدولة .

ولا بد أن نشير أن الكتاب قد زُود بوثائق تاريخية واقتصادية جعلت منه كتاباً لا يخلو من أهمية ، **ومن خلال عنوان الكتاب يظهر أن هناك إقراراً بدخول المملكة العربية السعودية في عصر من عصور التكنولوجيا الحديثة ، ودليل آخر على تحدي هذا البلد العربي المسلم لآفاق سنة (٢٠٠٠)** .

ويبقى الكتاب على كل حال جديراً بالدراسة والتحليل ..

أحمد المكينسي
(سلا ـ المغرب)



في الوطن العربي

كان له دوره فيما يسمى «**بتطوير الأزهر**»، كما كان له موقفه في كثير من الأمور المتعلقة بالدين الإسلامي.

كشف أثري

اكتشفت بعثة أثرية مصرية **أنقاض مدينة سكنية** يرجع تاريخها إلى الأسرة (١٩٨) إبان **عصر سيتي الأول** وابنه **رمسيس الثاني**، وهي مؤلفة من ثلاث طبقات كانت تقطنها مجموعة من العاملين التي أقامت (١٣٤) عموداً من الأعمدة الضخمة الملونة.

الكويت

مهرجان دولي للكتاب

أقيم في (الكويت) المعرض الدولي الثامن للكتاب العربي، تحت إشراف وتنظيم **المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويتي** خلال الفترة من ١٨ محرم الماضي إلى ٢٥ منه، وذلك على **أرض المعارض الدولية** في منطقة مشرف. اشترك في المعرض (٢٣٤) داراً للنشر والتوزيع من ست عشرة دولة عربية إضافة إلى سبع منظمات دولية. هذا وقد اشتمل المعرض على أكثر من (١٠٠) جناح للعرض والبيع شملت أكثر من (٣٠,٠٠٠) عنوان في مختلف فروع المعرفة الإنسانية، ابتداءً من الكتب العلمية البحتة إلى الكتب الخاصة بثقافة الطفل.

* كتب جديدة *

● «**مسرحيات يتيمة في المجلات الكويتية خلال الأعوام من ١٩٤٧م - ١٩٥٤م**»، تأليف **خالد سعود الزيد**، صدر عن **دار الربيعان الكويتية للنشر والتوزيع**.

★ خالد سعود الزيد ★



● «**محمود شوقي الأيوبي - حياته وتراثه الشعري، عرض ونقد**»، تأليف **الدكتورة نورية الرومي**، صدر ضمن سلسلة «**دراسات خليجية**» عن **شركة المطبعة الأهلية ومكتباتها في الكويت**.

الإمارات العربية

منهج جديد للغة العربية

أقرت **اللجنة العليا للمناهج بدولة الإمارات العربية المتحدة** المنهج الجديد للغة العربية الذي عالج قضية التأليف، وطريقة التدريس، فضلاً عن اهتمامه بالتدريب على الأنماط اللغوية في المرحلة الابتدائية، والتطبيقات اللغوية بالمرحلة الإعدادية، كما أكد المنهج على

نافذة

الذوق الأدبي

إذا كان النقد الحديث يتميز باستخدامه المعرفة وتسليطها على الأدب للكشف عن القيم الجمالية فيه، فإنه يستعين أيضاً بالذوق أو الحساسية وبالذكاء. ويقصد بالمعرفة، قدرة الناقد على الإحاطة بنظرية الأدب، وبالأسس الفنية الخاصة بالأجناس الأدبية، والإحاطة بالتيارات الفكرية، من تاريخ وفلسفة وعلم اجتماع واقتصاد وعلم نفس، تلك التي تمكن الناقد من تفسير العمل الأدبي. وأما الذوق فإنه يتحكم في تفسير العمل الأدبي بناء على دوافع إنسانية، غالباً ما تكون غامضة ومعقدة.

ومعنى ذلك، أن النقد له **جانب موضوعي**، يغلب عليه التحرر من الأحكام الذاتية، لأنه يعمل على تحديد القيم الخاصة بالعمل الأدبي بالنسبة لغيره من الأعمال الأدبية الأخرى، **وجانب ذاتي**، يغلب عليه الذوق، لأنه يستمد مباشرة من فلسفة الناقد الخاصة في الحياة والأدب. إلا أنه من الصعب أن نقف على نقد موضوعي خالص، أو نقد ذاتي خالص، لأن الموضوعية ترتبط بالذات ارتباطاً وثيقاً.

وكلمة **الذوق** من الكلمات الشائعة على ألسنة النقاد، لشدة اتصالها بما يصدرون من أحكام. وأول صعوبة يلقاها الباحث في تحديد هذه الكلمة، لا تعود إلى طبيعة الذوق الغامضة أو المعقدة، وإنما تعود إلى عدم الدقة في استعمال هذا اللفظ.

والكلمة في حد ذاتها تحمل معاني كثيرة. فالذوق في قاموس المحيط بمعنى «**اختبار الطعام وتذوقه، أي ذاقه مرة بعد مرة**». وفي المنجد، الذوق ملكة تدرك بها **الطعوم، والذوق الطبع**. ويقال هو حسن الذوق للشعر أي مطبوع عليه.

فالذوق في معناه الحسي، **علاج للأشياء باللسان لتعرف طعمها**، ثم انتقلت الكلمة بعد ذلك إلى علاج الأشياء بالنفس لتعرف خواصها الجميلة أو الذميمة.

ويعرف الذوق بأنه قوة يقدر بها الأثر الفني، **أو هو ذلك الاستعداد الفطري المكتسب الذي نقدر به على تقدير الجمال والاستمتاع به ومحاكاته**.

إن فعالية النقد الأدبي، تتداخل مع فعاليات عقلية وأدبية مختلفة، وتتفاعل معها وتأتي أحياناً كمحصلة لها. وذلك أن النقد الأدبي يتناول طبيعة الأدب ووظيفته، وغيرها من المسائل التي تدخل تحت عنوان نظرية الأدب. **وإذا كان النقد الأدبي فعالية متداخلة مع فعالية الخلق الأدبي، فإن العلاقة بين الذوق الأدبي والنقد قوية، بحيث يبدو الذوق جانباً من جوانب عملية النقد الأدبي**. وهذه العلاقة تحتم على كل دارس للنقد، فهم طبيعة الذوق الأدبي.

وتبدو هذه العلاقة بين النقد والذوق طبيعية، **فالنقد الأدبي لا وجود له بغير الذوق**. وفي هذا المجال، يقول **آبر كرومبي لاسيلس** صاحب كتاب قواعد النقد الأدبي: «**إن دولة الأدب تحتلها ملكات ثلاث: الأولى ملكة**

الاهتمام بالجانب الوظيفي للغة بحيث يربط بين التعليم اللغوي ومواقف الحياة اليومية .

* كتب جديدة *

● « **لمحة إحصائية** » ، صدر عن **الدائرة الاقتصادية لإمارة الشارقة** .

سورية :

* كتب جديدة *

● « **ما جاء على فعلت وأفعلت بمعنى واحد** » ، تأليف **أبي منصور الجواليقي** ، حققه وعلّق عليه وقدّم له **ماجد الذهبي** ، صدر عن **دار الفكر للطباعة والنشر بدمشق** .

● « **المغرب في ترتيب المعرب** » ، **للإمام أبي الفتح ناصر الدين المطرزي** ، حقق نصوص الكتاب **محمود فاخوري وعبد الحميد مختار** ، صدر عن **مكتبة أسامة بن زيد للطباعة والنشر والتوزيع بحلب** .

الجزائر :

مؤتمر للآثار العربية

عقد في مدينة (تلمسان) الجزائرية مؤتمر الآثار العربية العاشر ، استمر عشرة أيام ، حيث عقد خلال الفترة من ١ إلى ١٠ من شهر صفر الماضي عام ١٤٠٣ هـ ، نوقشت فيه القضايا المتعلقة بالآثار والمتاحف العربية وموضوع حماية الآثار الفلسطينية والمدن التاريخية العربية ، كما تمت فيه مناقشة موضوع **إنشاء المركز العربي لإحياء التراث الفني في (الرياض)** . حضر المؤتمر العديد من ذوي الاختصاص من الدول العربية .

تونس :

* كتب جديدة *

● « **الثقافة رهان حضاري** » ، تأليف **الشاذلي القليبي** ، صدر عن **الدار التونسية للنشر والتوزيع** .

● « **سيرة القيروان** : رسالتها الدينية والثقافية في المغرب الإسلامي » ، تأليف **محمد العروسي المطوي** ، صدر عن **الدار العربية للكتاب بتونس** .

● « **رعشة الحلم** » ، تأليف **نعيمة صفحة** ، صدرت **المجموعة في تونس** .

العراق :

* كتب جديدة *

● « **الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام** » ، تأليف **عبد الإله الصائغ** ، صدر عن **دار الجاحظ ببغداد** .

● « **الجزء الثاني من كتاب العين** » ، **للخليل بن أحمد الفراهيدي** ، **تحقيق الدكتور مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي** ، صدر ضمن **منشورات وزارة الثقافة والإعلام** .

فلسطين :

* كتب جديدة *

● « **مخطوطات البحر الميت** » ، تأليف **حسين عمر** ...

الإنتاج أو الإنشاء ، والثانية ملكة التذوق ، والثالثة ملكة النقد »[1] . وأهم ما تمتاز به ملكة النقد أنها يمكن أن تكتسب ، في حين أن الذوق في أصله هبة طبيعية .

ويرى الدكتور محمد مندور : « إن الذوق يجب أن لا يشغل إلا المرحلة الأولى في العملية النقدية ، وإنه لكي يصبح وسيلة مشروعة للمعرفة ، التي تصح لدى الغير ، ولكي يقبل الغير أحكامنا الذوقية التأثرية ، لا بد أن نزف هذه المرحلة بمرحلة أخرى موضوعية تستند إلى أصول الأدب والفن المستمدة من روائع الأدب والفن »[2] .

والحقيقة أن مسألة الذوق والنقد تثير مناقشات كثيرة . ويتساءل الدكتور طه حسين في هذا المجال ، فيقول : « **ما هو الذوق ؟ وإلى أين ينتهي ؟ وما المؤثرات المختلفة التي تكونه وتسلك به سبل التطور المختلفة المتباينة ؟ أهو عقل خالص قوامه البحث والنقد والتقدير والحكم ؟** كلا . فلو كان الذوق عقلاً لضاعت آيات فنية خالدة ، ولما استطاع هذا الجيل أن يعجب بكبار الشعراء والخالدين من أصحاب الفن . ومع ذلك فقد كان **أفلاطون** يمقت **هوميروس** وشعره ويحظر درس هذا الشعر في مدينته الفاضلة ، ولكنه إلى ذلك كان يستشهد به ويستخلص منه حكماً لا تفنى .

أهو شعور خالص قوامه الحس والتأثر والانفعال الذاتي الذي لا روية فيه ولا اختيار ؟ كلا . فلو كان كذلك لضاعت آثار كبار الشعراء الخالدين من أصحاب الفن »[3] . وعلى هذا الأساس ليس الذوق ملكة بسيطة كما قد يتوهم ، ولكنه **مزيج من العاطفة والعقل والحس** . وليس الذوق عقلاً خالصاً ولا شعوراً خالصاً ، وربما كانت العاطفة أهم عناصره وأوسعها سلطاناً في تكوينه ومظاهره وأحكامه .

الذوق الفني .. والبيئة

والنقد الأدبي ، لا يبنى على الذوق الخاص فقط ، لأنه تحليل فكر شخص آخر غير القارئ نفسه ، ومن هنا فإنه وسيلة لنقد الأدب على أساس العوامل التي يقوم عليها نقد الأدب . وينقسم الذوق إلى **ذوق عام** يشترك فيه أبناء الجيل الواحد في البيئة الواحدة ، وإلى **ذوق خاص** يتأثر بالشخصية الفردية . وتتحكم في الذوق عوامل متعددة تختلف باختلاف الأجيال والبيئات واختلاف الظروف الوقتية الطارئة التي تؤثر في القارئ أو الناقد .

كما تتحكم في الذوق عوامل أخرى لا علاقة لها بالجمال إطلاقاً ، **كالشعور الجمعي** بالولاء لقبيل أو مذهب ديني أو أخلاقي . وحكم الناس على الآثار الفنية كثيراً ما يتأثر بهذا الشعور الجمعي[4] . وكل ما ينبغي أن نحذر منه ، ألا يكون التذوق لمجرد الاشتراك في المذهب أو الشعور بالألفة ، **بل لا بد أن يخلص القارئ من العصبية الضيقة ، وأن يتجاوز أفقه النفسي ، وألا يقع تحت تأثير الألفة والغرابة** .

فبعض الأفراد يرفضون الأثر الجميل قبل أن يتأملوه ، لخروجه على مألوفهم . كما يحجم قسم آخر عن تذوق عمل أدبي ، يصدر عن مذهب يختصه . كما نجد أن اختلاف البيئات الجغرافية والحضرية يؤثر في أحكام بعض النقّاد ، كما يقدر كل منهم الأشياء قدراً ملائماً لحاله .

ولا يزال هناك نفر من الناس يتصورون أن كل شيء جميل يحمل في طياته على نحو ما جانباً من **المنفعة** ، والواقع أننا إذا كنا قد استخلصنا الفن في إبداعه من النفع العام والنفع الخاص ، فإن من الواجب أن نبرئ الذوق الفني بدوره من الارتباط الوثيق بالانتفاع[5] .

وحدد الأستاذ أحمد الشايب في كتابه « أصول النقد الأدبي » المؤثرات التي يخضع لها الذوق ، وهي البيئة أي (الخواص الطبيعية والاجتماعية) ، والزمان والجنس والتربية والشخصية الفردية (أو المزاج الخاص)[6] .



الحركة الثقافية في الوطن العربي

حمادة ، صدر في **فلسطين** .

● «**حكاية عائد**» ، رواية تأليف **أحمد حرب** ، صدرت عن **منشورات الرواد بالأرض المحتلة** .

● «**جذور الصبر**» ، تأليف **عمر عناني** ، صدر عن **دار الرواد للكتب الثقافية والنشر بالقدس** .

لبنان :

*** كتب جديدة ***

● «**الشبكة**» ، رواية تأليف **الدكتور شريف حتاته** ، صدرت عن **مؤسسة الدراسات العربية للنشر ببيروت** .

● «**شهداء بيروت**» ، شارك في تأليفه عدد كبير من الكتّاب والصحفيين ، صدر في **بيروت** .

● «**الدعوة إلى الإسلام : مضامينها وميادينها**» ، تأليف **عبد الكريم الخطيب** ، صدر عن **دار الكتاب العربي ببيروت** .

● «**الإسلام في معركة الحضارة**» ، تأليف **شفيق منير** ، صدر عن **دار الكلمة ببيروت** .

أخبار الغد

المدن السعودية .. تركيبها ، انتشارها

●● **ستعقد في قسم الجغرافيا بكلية آداب جامعة الملك سعود بالرياض** ندوة بعنوان «**المدن السعودية ـ انتشارها ، تركيبها الداخلي**» وذلك خلال الفترة من ٩ ـ ١١ من شهر شعبان (القادم) عام ١٤٠٣ هـ ، سيشترك فيها المختصون في الجامعات السعودية والجهات المسؤولة عن المدن بالمملكة .

معرض للتراث الشعبي

●● **سيقيم النادي الأدبي في أبها بالمملكة العربية السعودية معرضاً للتراث الشعبي لما قبل ثلاثين عاماً** ، حيث سيحتوي على المستخدمات القديمة في المنطقة من جميع النواحي العمرانية والتعليمية والمصنوعات المحلية .

كتب جديدة

● **ستصدر الكتب** التالية عن **نادي أبها الأدبي** :

★ «**جناين الشعر الحر**» ، تأليف **أحمد فرج عقيلان** .

★ «**شعاع الراحلين**» ، **ديوان شعر** وهو من **إعداد آل الحفظي** .

★ «**باقة البنفسج**» ، **ديوان شعر للدكتور عبد الهادي حرب** .

★ «**النباتات في عسير**» ، تأليف **محمد حسن الألمعي** .

والتذوق في حد ذاته من **التقمص الوجداني** ، أو **محاكاة باطنية**[7] Empathy للعمل الأدبي ، تهدف إلى الإدلاء بحكم جمالي ، إلا أنها لا تقف عند هذا الحد ، بل هي إحساس بالجانب المادي من العمل الأدبي ، بحيث تلتئم الأحاسيس والأفكار التي تعطي للعمل الأدبي تصوراً فنياً . ولعل هذا التركيب هو من أسباب اختلافه باختلاف الأفراد . لأن الناس مختلفون في حظوظهم من **العقل والشعور والثقافة وظروف الحياة المختلفة** ، فيقدر كل واحد منهم الأشياء قدراً ملائماً لحاله ، فلا يتفقون إذا حكموا فرادى ، ولكنهم على كل حال يشتركون في مقدار ما من هذا العقل وهذا الشعور وظروف الحياة الأخرى[8] .

والمقرر أن الذوق هبة طبيعية تولد مع الإنسان ، ولكن رقيه وتهذيبه إنما يكون بالتربية الصحيحة . ويشير الدكتور **كمال زكي** إلى أنه بقدر ما يوهب الذوق فطرياً ، يكتسب معارف وخبرات تولد خارج الذات . ومن هنا كان الذوق **سليماً وفاسداً**[9] . وتحدث **الجرجاني** في كتابه «**الوساطة بين المتنبي وخصومه**» عن **الذوق المثقف أو السليم** ، فوصفه بأنه ذوق صقله الأدب وشحذته الرواية وجلته الفطنة فألهم الفصل بين الرديء والجيد .

ويرى **كانت KANT أن الذوق يرتبط بالجمال ويصعب فصله عنه** .

ويؤكد أن الذوق هو مادة الشعور بما نبصره أو نسمعه أو نتخيله . وهو يصدر حكمه بالرضى أو بعدم الرضى على موضوع ما ، مبتعداً ما وسعه عن الهوى ، ومتفتحاً في الوقت نفسه على الكمال والمثال ، دون أية محاولة لجعل الجميل كاملاً أو مثالياً ، وإنما حسبه أن يكون سبيلاً إلى تطور مثال الكمال على أي حال .

والحكم الجمالي **موضوعي** رغم عناصره الذاتية ، لأنه لا يمكن أن يتحرر من موضوع العمل الأدبي . ويعارض هذا الاتجاه الذين يرون الذوق عملاً ذاتياً مرتبطاً بإشعاعات الموضوع وبما يثيره من الخيال . **وعلى المتذوق عند النظر للعمل الأدبي ألا ينصرف إلى المنطق العقلي وحده ولا إلى المنهج العلمي ، لأن العمل الأدبي يمثل موقفاً شعورياً لا علاقة له بالحقيقة العملية** ، يحتفل فيه الشاعر بمطابقة التعبير لما في نفسه من دفقات شعورية ، أي أنه يحتفل بالصدق النفسي لا بالصدق الخارجي أياً كان .

وليس الذوق في نهاية الأمر سوى الالتفات نحو جماليات الموضوع الناجمة عن وحدة عناصره والتئامه بمادته التي تعطيه شكله الفني ، وهو من العناصر الأساسية في الأدب ، لما ينشئه الكاتب هو ثمره ذوقه الأدبي وصورته الدقيقة . **وكم أحب أن أعرف الطابع الذي يطبع ذوقنا العربي العام في هذه الأيام التي نعيش فيها !** .

د . قسطندي شوملي

الهوامش

(١) آبر كرومبي لاسيلس ، قواعد النقد الأدبي ، ترجمة محمد عوض ، ص ٦٥ ، لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٣٦ م .

(٢) النقد والنقّاد المعاصرون ، ص ٧٧ ـ ٧٨ .

(٣) أحاديث ، المجموعة الكاملة ، ص ٦٨٢ ـ ٦٨٣ ، جـ ١٢ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٧٤ م .

(٤) عبد الحميد يونس ، الأسس الفنية للنقد الأدبي ، ص ١٣٩ ـ ١٤١ .

(٥) نفس المرجع ، ص ١٣٩ .

(٦) ص ١٢٦ .

(٧) أحمد كمال زكي ، النقد الأدبي الحديث ، ص ٣٩ .

(٨) طه حسين ، أحاديث ، ص ٦٨٣ .

(٩) أحمد كمال زكي ، المصدر السابق ، ص ٤١ .



الحركة الثقافية في العالم

تاريخ اليمن في مجلدات

●● **ستصدر (دار العلم) في الاتحاد السوفياتي عدة مجلدات** عن «**تاريخ اليمن**» **كتبها مستشرقون** من موسكو ولينينغراد وذلك تحت إشراف «**أكاديمية علوم الاتحاد السوفياتي**»، ويأتي هذا الاهتمام رغبة من حكومة **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية** حيث طلبت من الأكاديمية عمل ما يمكن عمله لمعرفة شيء عن تاريخ اليمن. مما يذكر أن عدد المجلدات (أربعة) تتحدث عن **تاريخ اليمن منذ العصر الحجري وحتى الوقت الراهن** محتوية على أكثر من خمسين ملزمة باللغة الروسية ستترجم فيما بعد للغة العربية ومن ثم إلى اللغة الإنجليزية. هذا وقد ساعدت العاملين في إعداد هذه المجلدات آثار كانت بحوزتهم يعود تاريخها إلى (٣٠٠) **ألف سنة** شاهد على أن جنوب شبه الجزيرة العربية كان واحداً من مراكز نشوء وتطور المجتمع البشري.

مؤتمر عالمي حول الأدب

●● **سيعقد في ألمانيا الغربية** في بداية عام ١٩٨٥م، **المؤتمر العالمي لعلماء الأدب الألماني**. سيضم المؤتمر أدباء وعلماء متخصصين في الأدب الألماني من خمسين دولة، يرأسهم البروفسور «**البريخت شوني**» المتخصص في الأدب الألماني القديم والحديث ورئيس رابطة اللغات الجرمانية وآدابها، وستناقش في المؤتمر خصائص ومميزات الأدب الألماني، وأثر الأدباء أمثال (جوته) وغيره على الأدب وتطوره.

● «**الفقه الإسلامي بين الواقعية والمثالية**»، تأليف **محمد مصطفى شلبي**، صدر عن **الدار الجامعية للطباعة والنشر ببيروت**.

● «**التجديد في المسلمين لا في الإسلام**»، تأليف **الدكتور عمر فروخ**، صدر عن **دار الكتاب العربي ببيروت**.

★ د. عمر فروخ ★



● «**الوجه الآخر لجبران**»، تأليف **رياض حنين**، صدر عن **دار النهار للنشر والطباعة ببيروت**.

● «**خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية**»، تأليف **عبد الله التل**، صدر عن **المكتب الإسلامي ببيروت**.



★ د. أحمد محمد الحوفي ★

● «**الحياة العربية في الشعر الجاهلي**»، تأليف **الدكتور أحمد محمد الحوفي**، صدر عن **دار القلم ببيروت**.

● «**الأدب والغرابة**»، تأليف **الدكتور عبد الفتاح كيلطو**، صدر عن **دار الطليعة ببيروت**.

النمسا:

وفاة هانز سيلي

توفي عن (٧٥) عاماً العالم النمساوي «هانز سيلي» مكتشف أعراض مرض **الضغط العصبي**. مما يذكر أن هانز ولد عام ١٩٠٧م، ودرس العلوم الطبية والفلسفية وعلم وظائف الأعضاء وذلك في كل من تشيكوسلوفاكيا وفرنسا وإيطاليا والولايات المتحدة قبل أن يستقر في كندا في أوائل الثلاثينات، **وقد اكتشف هذا العالم النمساوي «أسباب مرض الضغط»** بعد أبحاثه على الفئران، ونشر أول نتائجه في عام ١٩٣٦م، في المجلة الطبية الإنجليزية، وتمكن من معرفة **أثر الضغط العصبي على أمراض الروماتيزم**، كما أنشأ معهداً دولياً لبحث أعراض الضغط.

غينيا:

الدكتوراه الفخرية لسيكوتوري



★ أحمد سيكوتوري ★

منحت **جامعة الأزهر الدكتوراه الفخرية في التاريخ الإسلامي** للرئيس الغيني «**أحمد سيكوتوري**» وذلك تقديراً لجهوده في خدمة القضايا الإفريقية والإسلامية. هذا وقد تم حفل التسليم بقاعة الشيخ محمد عبده بجامعة الأزهر بحضور عدد كبير من المسؤولين المصريين.

كينيا:

اكتشاف بقايا الإنسان الأول

عثر في كينيا على (٢٢) من الأسنان، وقطعة من فك متحجر يعود تاريخها إلى (١٥) مليون سنة، وهي للإنسان الكيني الأول. وبفضل هذا الاكتشاف سيمكن معرفة ما حدث في إفريقيا منذ (١٥) مليون سنة.

أمريكا:

مدرسة المدينة

خلال شهر أكتوبر (تشرين الأول) من عام ١٩٨٢م، **افتتحت بولاية كاليفورنيا «مدرسة إسلامية جديدة»** باسم (**مدرسة المدينة**) وذلك بمدينة لوس أنجلوس لتعليم أطفال الجاليات العربية والإسلامية اللغة العربية والدين الإسلامي، إضافة إلى ذلك فقد أصبح للجالية العربية في لوس أنجلوس إرسال إذاعي وتليفزيوني باللغة العربية لمدة ساعة كل أسبوع.

معرض للفن البدائي

أقيم في متحف



في العالم

«المتروبوليتان» بمدينة (نيويورك) معرض للفن البدائي حيث ضم مجموعة سميت بمجموعة روكفلر تضمنت حوالي (٣٥٠٠) عمل قدمها للمتحف نيلسون روكفلر تكريماً لذكرى ابنه مايكل روكفلر الذي مات خلال قيامه بجمع نماذج من الفن البدائي من (قبيلة الأسمات) في غينيا الجديدة.

* أحدث الكتب *

● «رحلة المسافات الطويلة»، تأليف مارغريت ستيورات، صدر في الأسواق الأمريكية.

● «الأيام الصعبة»، للكاتبة سارة كولتين، صدر في الأسواق الأمريكية.

● «قصة للحياة»، تأليف جاك وايتبكر، صدر في الأسواق الأمريكية.

● «مسألة توازن»، تأليف جون فارلي، صدر في الأسواق الأمريكية.

كندا :

* أحدث الكتب *

● «التراث العربي»، تأليف يوسف الملح، صدر باللغة الإنجليزية عن دار بساط الريح بتورنتو.

● «أسرار حياة الجنين»، تأليف توماس فيرني، صدر في أوتاوا

فرنسا :

ندوة عن الإسلام

عقدت في باريس يوم ١٩ نوفبر (تشرين الثاني) الماضي من عام ١٩٨٢م، ندوة حول «الإسلام وهل يمكن أن يتوطن في الغرب في المستقبل..؟» وذلك تحت إشراف وتنظيم «رابطة الإسلام والغرب» وبمشاركة «منظمة اليونسكو الدولية»، شارك في الندوة كل من:

★ السيد الحبيب الشطي، الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي.

★ السيد أحمد مختار امبو، رئيس منظمة اليونسكو وبعض الشخصيات المتخصصة في مجال الكتابة عن العالم الإسلامي من أمثال:

★ روجيه جارودي، وهو فيلسوف فرنسي مسلم «رجا جارودي».

★ الأب لولانج، مستشار البابا يوحنا بولس السادس وخبير الشؤون الإسلامية بالفاتيكان، حضر الندوة عدد من المهتمين.

★ الحبيب الشطي ★



دائرة معارف للأطفال

أصدرت دار بجاليون الفرنسية للنشر «دائرة معارف لألعاب الأطفال» في عشرة أجزاء، يشتمل كل جزء على نوع معين من الألعاب التي كانت منتشرة بين الأطفال الفرنسيين خلال الفترة من عام ١٨٣٠م، وحتى عام ١٩٢٠م، وقد اشتملت الدائرة على (٤٠) صورة فوتوغرافية للعديد من اللعب حيث جاءت الألعاب الميكانيكية في مقدمة الألعاب.

* أحدث الكتب *

● «هيجو ليباد»، تأليف يوجين يونسكو، صدر عن دار النشر (غاليمار) بباريس.

● «تباشير الإسلام»، تأليف روجيه جارودي، صدر في باريس.

بريطانيا :

مكتبة إسلامية

افتتحت «مكتبة إسلامية كبيرة في لندن» تقع في منطقة «بيزووتر» في وسط العاصمة، تضم المكتبة مجموعة من أوسع المؤلفات والكتب الإسلامية التاريخية والحديثة، وذلك خلال شهر سبتمبر (أيلول) من عام ١٩٨٢م، وقد شارك في افتتاح المكتبة العديد من الجهات الإسلامية في بريطانيا ومنها دار الدعوة الإسلامية.

* أحدث الكتب *

● «الطلقة الأخيرة»، تأليف جيمس باركر، صدر في لندن.

● «اللوائح الملكية»، تأليف كريغ براون، صدر في لندن.

الصين :

إعادة فتح المعهد الإسلامي

أعيد فتح المعهد الإسلامي الوحيد في الصين، الذي يتخذ من (بكين) مقراً له، وذلك بعد أن أغلق في بداية الثورة الثقافية الماوية في عام ١٩٦٦م. هذا وقد قبل فيه بعد افتتاحه (٤٠) طالباً. المعروف أنه أنشئ عام ١٩٥٥م، وتشرف عليه «الرابطة الإسلامية في الصين»، وفي إطار التعاون بين المعهد وجامعات العالم الإسلامي فقد أرسل عشرة من الطلبة إلى (جامعة الأزهر) لمواصلة تعليمهم وهم أول طلبة يرسلون للخارج من قبل الرابطة التي لا يتوقف عملها على الإشراف على هذا المعهد، بل ورعاية المسلمين ومحاولة ترشيدهم للطريق الصحيح والوقوف أمام التيارات المعادية حيث قامت خلال العامين الماضيين بطبع ١٦٠,٠٠٠ نسخة من القرآن الكريم لتوزيعها على مسلمي الصين الذين يبلغ عددهم (١٣) مليوناً.

المذبحة .. الوصمة

.. والإدانة التاريخية



لا نبالغ حين نقول إننا نعيش عصراً فقد عقله .. وبالتالي فقد إنسانيته !! وإذا كان لهذا العصر ميزة تاريخية فهي أنه عصر الظلم والوحشية ، وسفك الدماء ، والقوى المدمرة لكل مقدرات الإنسان الحضارية والأخلاقية !! .

إن المذبحة البشعة التي حدثت في مخيمي «صبرا ، وشاتيلا» في بيروت الغربية بلبنان العربي .. هذه المذبحة التي أزهقت فيها أرواح ستة آلاف فلسطيني ولبناني كما أشار السيد ياسر عرفات في مجلة «المجلة» العدد (١٣٩) في صور متناهية البشاعة والانحطاط ، هذه المذبحة تؤكد أن شريعة الغاب هي المسيطرة على قوى العصر .

لقد تعاونت في تنفيذ هذه «المذبحة الوصمة» الصليبية

المذبحة .. الوصمة .. والإدانة التاريخية

المتمثلة في جماعة «سعد حداد»، واليهودية الصهيونية المتمثلة في إسرائيل، برئيس حكومتها المريض «بيجن»، ووزير دفاعها السفاح «شارون» رغم تعهد حكومة أمريكا بواسطة فيليب حبيب بعدم دخول إسرائيل بيروت الغربية، وضمان حماية الفلسطينيين الذين يسكنون المخيمات، وذلك بعد خروج المقاومة الفلسطينية.

ولو أضفنا إلى هذه المذابح ضحايا مخيم «عين الحلوة»، ومدن النبطية، وصور، وصيدا، لوجدنا أن عددهم قد بلغ ٧٢ ألف شهيد وجريح ومفقود.

إن مذبحة مخيمي «صبرا، وشاتيلا»، وغيرها من المجازر التي ذهب ضحيتها آلاف الأبرياء من النساء والأطفال والعجزة، والحوامل من الفلسطينيين واللبنانيين، تذكرنا بالتاريخ الأسود لإسرائيل .. والعالم لا ينسى مذبحتها التاريخية في «دير ياسين» عام ١٩٤٨م.

أما الصليبية الجديدة التي قادها سعد حداد ومن تبعه فإنها تحيي بعملها هذا حقدها التاريخي المزمن حين دخلت بيت المقدس عام ١٠٩٩م، فقتلت وأحرقت آلاف المسلمين بصورة روى المؤرخون أن دماء ضحايا المسلمين الأبرياء سالت فغطت الركب.. كما تعيد للعالم ذكرى محاكم التفتيش عام ١٥٤٢م.

ليس غريباً أن يرتكب المجرم جريمته.. إنما الغرابة أن تقف السلطة مع المجرم، وأن يستمر في إجرامه تحت حماية القوة الغاشمة.. والأضواء الكاشفة.

لقد شاهدت وسائل الإعلام المذابح التي نفذتها إسرائيل في لبنان العربي.. وكان العالم مكتفياً بمشاهدة ما عرضته هذه الوسائل من صور بشعة!!.

ونحن هنا ننشر بعض صور مذبحة مخيمي «صبرا، وشاتيلا» مع ترجمة ما نشرته مجلة «تايم» الأمريكية كشهادة تاريخية تدين اليهودية الصهيونية، والصليبية الحاقدة، بدعم الولايات المتحدة الأمريكية.. والله المستعان يا عرب!!.

وهذه ترجمة ما نشرته مجلة «تايم» عن مذبحة مخيمي «صبرا، وشاتيلا».





مذبحة المخيمات كما يصفها صحفي غربي

كانت هناك فقط أصوات البكاء والجثث، وأكوام الجثث المنتشرة: رجال ونساء وأطفال. بعضهم أطلق عليه الرصاص في رأسه، وآخرون قطعت رقابهم، وبعضهم قيدت أيديهم خلف ظهورهم، وشاب صغير السن خصي.. ونساء وبنات في منتصف العمر، وبعضهن يبلغن الثالثة فقط من العمر كانت أيديهن وأرجلهن ممددة وقد غطتها أكوام التراب من المبنى المنهار، وأجزاء من الرؤوس قد طارت بعيداً. وعثر على امرأة تضم رضيعاً إلى جسمها.. ونفس الرصاصة التي خرقت صدرها قتلت الوليد. وقد وصف لبناني الموقف بقوله: «إنها مذبحة لا يمكن أن يفهمها العقل».

وحينما قام رجال الانقاذ التابعين للدفاع المدني والصليب الأحمر بنقل الجثث كان بعض المشاهدين للمنظر

يصرخون من الرعب عند رؤية الملامح المشوهة لصديق أو قريب. وقد وقفت امرأة مزقها الحزن فوق إحدى الجثث وهي تصرخ: «هل أنت زوجي؟ إلهي من سيساعدني؟ لقد ولى كل أولادي وزوجي ذهب بلا رجعة، ماذا سأفعل؟».. وأولئك الذين تعرفوا على أقاربهم سمح لهم بأخذهم ودفنهم في مقابر خاصة بهم، وباقي الجثث المغطاة بالجير دفنت في قبور جماعية.

بنهاية الأسبوع سجل المسؤولون في الصليب الأحمر ٣٢٠ قتيلاً في معسكري شاتيلا وصبرا. وعدة مئات كانوا في عداد المفقودين. وظل كثير من الضحايا وبينهم لبنانيون من سكان المعسكرات مدفونين في منطقة حفرها القتلة السفاحون بالبلدوزرات على عجل بالقرب من مدخل شاتيلا عندما أكملوا عملهم الدموي. وقرر عمال الإنقاذ عدم نبش القبور. ويبدو أن ضحايا الآخرين بقوا في المنازل التي دمرتها المتفجرات في محاولة لتغطية آثار العدوان. وجرائم المعتدين.

وبينما اكتشف العالم فداحة مذبحة صبرا وشاتيلا بدأت تفاصيل حقيقة ما حدث تبرز ببطء من أقوال الأحياء المختلطة وشهود المأساة الآخرين. لكن الحقيقة الوحيدة الواضحة هي أن سكان شاتيلا وصبرا لم يكونوا بأي طريقة مستعدين للهجوم الدموي الذي بدأ بعد ٢٤ ساعة فقط من دخول الجيش الإسرائيلي إلى بيروت الغربية. ولم يكن هناك تخطيط لمقاومة تقدم الإسرائيليين في المعسكرين فقد كان عدد الفلسطينيين المسلحين في المنطقة قليلاً.

وبالرغم من أن منطقتي صبرا وشاتيلا يسميان (مخيمات) فقد أصبحتا مناطق سكنية تمتد في غير اتساق تتخللها الملاجئ من الغارات الجوية ومستودعات الأسلحة، ويسكنها فلسطينيون ولبنانيون. وقد أحاط الإسرائيليون بالمعسكرات من ثلاثة جوانب. لكن الجانب الجنوبي ترك مفتوحاً في انتظار وصول رجال المليشيات الذين أعدتهم القوات الإسرائيلية لهذه المجزرة الرهيبة.

وفي المساء قبل بدء المذبحة راح سكان المخيمات للنوم كما كانوا يفعلون قبل أسابيع وهم يسمعون صوت المعارك في وسط بيروت، على بعد ميلين. وكان هناك صوت القذائف المعتاد لكن العمل العسكري في منطقة المخيم كان متقطعاً. وفي صباح اليوم التالي ذهب فلسطينيون قلائل إلى «مستشفى غزة» الواقع بالقرب من الخط الفاصل بين مخيمي شاتيلا وصبرا لعلاج بعض الجروح، وبحلول الساعة الثانية بعد ظهر يوم الخميس ضربت قاذفات قنابل مكثفة الجزء الجنوبي لشاتيلا. وذكرت زوجة فلسطينية تعيش في المخيم أنها حاولت هي وزوجها وأطفالها الانتظار خارج القصف متخفين في الطابق الأرضي لمنزلهم الصغير. وفي حوالي الخامسة قرروا الفرار. وتمكنوا من الوصول إلى شارع شاتيلا الرئيسي بسلام. وبعد السادسة مساء اضطر الزوج للعودة إلى المنزل للبحث عن لبن مجفف للطفل فلم يرجع وعثر عليه في وقت لاحق مقتولا.

ويصف فلسطينيان شابان هما طالب العكلي (٢٦ سنة)، وأخوه فوزي (٢٢ سنة) بدء الاغتيالات. كانا في منزل على بعد نصف ميل من مدخل شاتيلا الجنوبي يختبئون من القصف الإسرائيلي، ويشربون الشاي مع بعض الأصدقاء. وفي حوالي السادسة والنصف مساء بدأوا يسمعون إطلاق





النار في كل مكان. وكانت نيران الأسلحة الصغيرة هي البادئة بعد الظهر، وخرج اثنان من المجموعة وعادا ليذكرا أنهما شاهدا أشخاصاً يعتقدون أنهم تابعون للمليشيات المسيحية التي يرأسها سعد حداد. وقد هربت المجموعة إلى مستشفى غزة حيث أمضوا المساء مع مئات الفلسطينيين الذين لجأوا إليها. ولجأ حوالي ٥٠٠ شخص من معسكر شاتيلا في مستشفى عكا.

وقضى رجال المليشيات الليل في التقتيل، ودعوا الجيش الإسرائيلي لقصف المخيمات لتغطية العمل الذي قاموا به. ووصف مساعد طبي في مستشفى غزة الموقف بقوله: «كان مساء الخميس جحيماً. لم تكن السماء داكنة بتلك الصورة من قبل. ولم يتوقف إطلاق النار أبداً، وكان الناس يصرخون».

ولم يكتف القتلة بمجرد إطلاق النار فاستخدموا الحبال والفؤوس، وقيدوا بعض الضحايا سوياً وقاموا بالتمثيل بهم. وقتل بعض الأشخاص في منازلهم، بينما سحب آخرون للخارج ليقتلوا. وكما يتضح من الأوساخ المتروكة استمتع بعض الجنود بتناول الوجبات الخفيفة والسجائر أثناء قيامهم بالمذبحة.. وقد انتشرت في المكان صناديق حصص الميدان من الطعام، وكتب على بعضها مصنوعة في الولايات المتحدة، وأخرى كتب عليها بالحروف العبرية.

وحاول بعض الفلسطينيين بالرد مستخدمين أسلحة صغيرة وقليل من القرانيت. وربما كان لمقاومتهم بعض الأثر، ففي صباح الجمعة بدأ رجال المليشيات يوقفون تقدمهم في المخيمات.

وعند انتشار نبأ المذبحة في المخيمات هرب اللاجئون المتجمعون في مستشفى غزة راجلين بحثاً عن مأوى بعيد إلى الشمال. وذهب معهم ٤٥ مريضاً من المستشفى هربوا من أسرتهم. وذكر بعض الأحياء من سكان المخيمات أنهم شاهدوا رجال المليشيات المسيحية يقومون بوضع حواجز لإغلاق الطريق بالقرب من المدخل الجنوبي للمخيمات، بينما كان مئات الجنود الإسرائيليين يشاهدون الموقف.

وحينما بدأت إراقة الدماء تسير ببطء في المخيمات بدأ رجال المليشيات يوجهون انتباههم إلى مستشفى عكا.

وفي صباح الجمعة بعد فرار اللاجئين الذين أمضوا الليلة هناك. حاول أربعة أطباء مغادرة المستشفى وهم يحملون الأعلام البيضاء. لكن ألقيت عليهم قرانيت فقتل ثلاثة منهم، وبعد ساعات دخلت مجموعة من رجال المليشيات المستشفى وهددت العاملين. وقد اغتصبت ممرضة فلسطينية ثم قتلت. ثم أخذ رجال المليشيات طبيبين فلسطينيين إلى مكان غير معروف.

وبمرور الوقت أصبح صوت العنف في المخيمات أكثر تقطعاً. وبعد الظهر بدأ رجال المليشيات تغطية الأعمال التي قاموا بها. وفي حوالي الساعة الثالثة شاهد دبلوماسي أوروبي «بلدوزر» يسوي شارعاً جانبياً. وكان البلدوزر مليئاً بالجثث. وبعد ساعات لاحظت قافلة للصليب الأحمر وصلت عكا كوماً من الجثث، بلغت تسعين جثة بالقرب من مدخل شاتيلا.

وفي الساعة الرابعة غادر حوالي ٥٠٠ شخص المنطقة شمال مستشفى غزة بحثاً عن ملجأ في وسط بيروت الغربية، فقابلوا مجموعة من الجنود الإسرائيليين أرغموهم على الرجوع. وانتدب الرجال أحدهم للتقدم والتفاوض مع الجنود بينما بقي الآخرون في الشارع في انتظاره. وقد أخبر الرجل الجنود أن رجال سعد حداد يقومون بتقتيل الناس في المخيم، وأنهم يبحثون عن مأوى. فرد عليه الجندي بأنه لا يستطيع مساعدته. «وأنه سيطلق عليه النار إذا بقي أكثر من عشر دقائق». وبدأت دبابة في التحرك نحو الحشد، فأقلعوا عن فكرتهم.

وفي صباح السبت تقدم رجال المليشيات في حماية القوات الإسرائيلية إلى مخيم صبرا المأهول بالسكان. وأعلنوا بمكبرات الصورة أنهم إسرائيليون، وطلبوا من الفلسطينيين التجمع في الشارع. واستجاب البعض بينما أجبر آخرون على الخروج بتوجيه البنادق نحوهم.

واستمرت أعمال القتل الفردية بينما كان البحث جارياً، وقام مسلحون بقطع رقبة صاحب متجر صغير كان مختبئاً في الداخل. وفي مستشفى غزة جمع الأطباء والممرضون ومعظمهم أوروبيون وأخذوا بعيداً. وعند مرور مجموعة الأطباء على رجال المليشيات سحبوا طبيباً فلسطينياً من المجموعة وقاموا بقتله. وفي وقت لاحق تعرفوا على ممرض فلسطيني فقاموا بإطلاق النار عليه. وأخذ باقي موظفي المستشفى خارج المخيم، وبعد خضوعهم للاستجواب أحيلوا للجنود الإسرائيليين عبر الطريق من شاتيلا. وتبعهم الفلسطينيون المدنيون الذين جمعوا في صبرا، وكان لهم مصير مظلم. وبعد أن أمر الرجال أن يسيروا بعد عربة (لاندروفر) واقفة أشار رجل إلى فصل بعض الأشخاص عن الباقين واقتيد الذين فصلوا بعيداً. ولم يعرف مصيرهم.

واقتاد بقية المدنيين بعيداً بواسطة رجال المليشيات في اتجاه (استاد بيروت الرياضي).

وبعد انتهاء المأساة في شاتيلا، وعند دخول أول جندي لبناني المخيم ليرى ما حدث، وبعد مشاهدة الجثث وهي راقدة جرى إلى الخارج وهو يتقيأ.

وصباح الاثنين عند بدء تنظيف ما تركته المذبحة وبينما بدأ متطوعو الدفاع المدني حفر حفرة كبيرة لدفن قتلى شاتيلا سرى نبأ في المخيم يقول إن رجال المليشيات سيعودون. حينئذ هرع آلاف الفلسطينيين خارج المخيم واتجهوا إلى منتصف بيروت.. وإذا خرجت من المذبحة فلن تنسى ذكراها.



موريتانيا

★ صومعة شنقيط ★



بقلم:
د. محمد المختار ولد أباه

●● أنست مجلة «الفيصل» قبل فترة بزيارة وفد من علماء المغرب الشقيق جاء إلى المملكة العربية السعودية لدعوة المسؤولين في المملكة للمساهمة في صون آثار معالم مدينة «فاس» المهددة بالاندثار.

وندرة هم الذين يجهلون مدينة فاس، وجامعتها المشهورة «القرويين» وما قدمته في تاريخنا العربي والإسلامي من خدمات في مجال الثقافة والتعليم، ونشر دعوة الإسلام السمحة، ومحاربة الاستعمار، والمحافظة على لغة القرآن الكريم. وسوف تنشر مجلة «الفيصل» استطلاعاً تاريخياً مصوراً عن مدينة فاس مساهمة منها في الدعوة إلى صون هذه المدينة والمحافظة على آثارها ومعالمها.

وهناك مدن أخرى في العالم العربي الإسلامي في حاجة إلى الالتفات إليها، والإسراع في إعادة الحياة إليها في وقت نحن أحوج فيه إلى المحافظة على أصالتنا وتاريخنا وآثارنا ومعالمنا.. من هذه المدن مدينتا «ميدي» و«اللحية» في اليمن الشقيق، وغيرهما من المدن التي كانت في يوم من الأيام منائر علم، وركائز تجارة واقتصاد، وطرق بحرية وتجارية لها استراتيجيتها التاريخية.

واليوم ننشر هذه السطور السريعة عن مدن في موريتانيا الشقيقة مساهمة منا في الدعوة إلى الإسراع في صيانتها، وإعادة الحياة إليها في وقت أصبحت مهددة بالاندثار.. وأملنا كبير في أن يجد هذا النداء سبيله إلى المخلصين في الوطن العربي والإسلامي حكومات وشعوباً للإسراع في إنقاذ مدنهم التاريخية.

★ منظر عام لمدينة ولاته ★

هي مدن كانت تزخر بالحياة وتفيض بالعلم. محط رحال قوافل التجارة وطلبة الدراسة، ومراكز تبادل البضائع والمعرفة. واليوم أنذر الجفاف باندثارها وآذنت رمال الصحراء بابتلاعها، وذلك بعدما حملت طيلة عدة قرون مشعل الحضارة الإسلامية، وأشعت نور المعرفة والفكر حولها ونشرته في جميع أصقاع البلاد الإسلامية. لمعت أسماء هذه المدن من المحيط إلى الخليج.

قال عنها المدير العام لليونسكو:

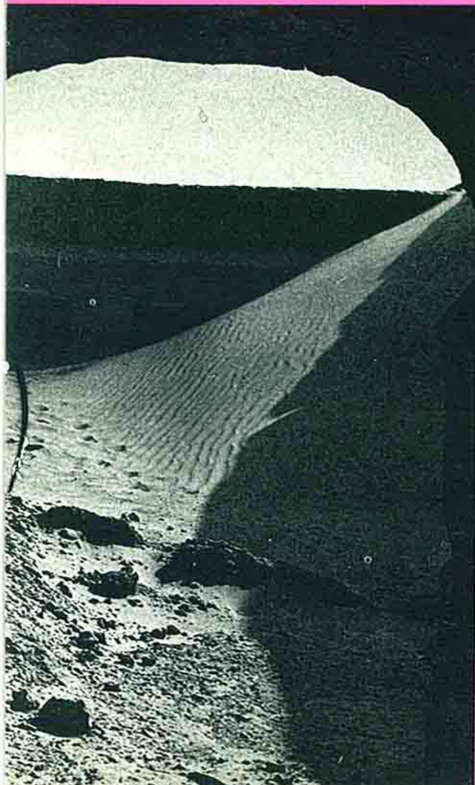
«إن وجود هذه المدن في مفترق فكري تلتقي فيه **الأندلس** بأقصى إفريقيا، جعلها تفتح أبوابها في آن واحد لتجارة السلع، ولتبادل المعارف، فاستطاعت أن تصبح مركزاً للإبداع والإلهام، ومصدر إشعاع لحياة دينية غنية، ولأنشطة علمية وفنية عديدة».

لقد ازدهرت مدارسها وخرجت علماء كثيرين انتشروا في الأرض، فأسسوا المدارس قرب **البصرة** في مدينة **الزبير**، ودرسوا العلم في **دبي**، وفي **مصر** و**الحجاز**.

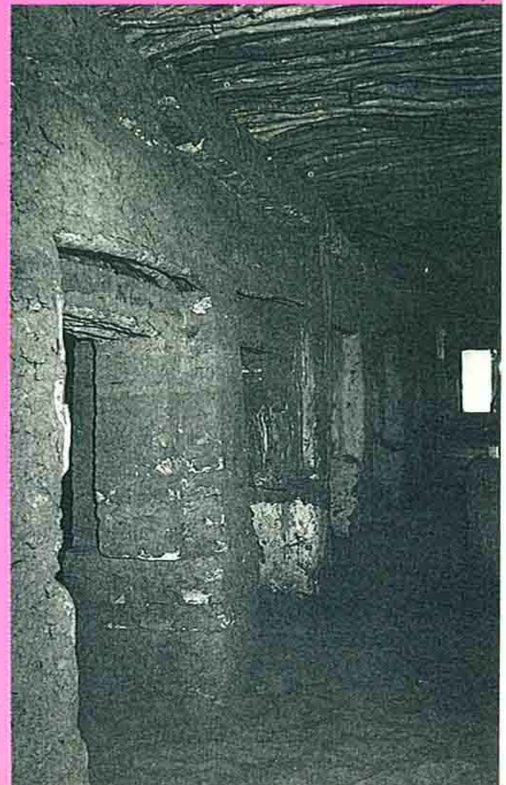
شنقيط

من هذه المدن «**شنقيط**» ذات الشهرة العالمية. عرف الناس علماءها في كل بلد، وعرفت بها جميع البلاد. **كانت تسمى «أبير»** وهو تصغير البير. وتعود نشأتها الأولى إلى منتصف القرن الثاني الهجري، ثم ظهرت من جديد في موقعها الحالي وحملت اسم

★ المسجد تبتلعه الرمال ★



★ أبنية قرية تيشيت وتظهر صومعة الجامع القديم ★



★ مدخل الجامع ★

شنقيط (عيون الخيل) في القرن السابع ، ثم ما لبثت أن صارت ، كما يقول مدير اليونسكو «مركز المبادلات التجارية ، ونقطة تجمع لقوافل الحجيج . وأصبحت مركزاً مرموقاً للدراسة والفكر والتعليم الديني ، وملتقى ثقافياً بلغ من التأثير والإشعاع مبلغاً عظيماً إلى حد أنه ما زال يطلق على موريتانيا حتى الآن اسم «بلاد شنقيط» . وقد ترسخت فيها أبرز خصائص الفن المعماري .. ويبدو ذلك في جامعة ذي المأذنة البارعة ، التي شيدت بحجارة وضعت ببساطة بعضها فوق بعض دون أي ملاط يثبتها ، ولا تزال حتى اليوم صامدة لعوامل الزمن لا لشيء سوى دقة ترتيبها» .

وفي هذه المدينة أيضاً التي **تضم مكتبة شهيرة** غنية بأندر المخطوطات ، عاش **الشاعر الكبير ولد رازقه ، والفقيه محمد بن المختار بلعمش** صاحب النوازل الفقهية المعروفة ، والعالم الورع **الشيخ ولد حامني** .

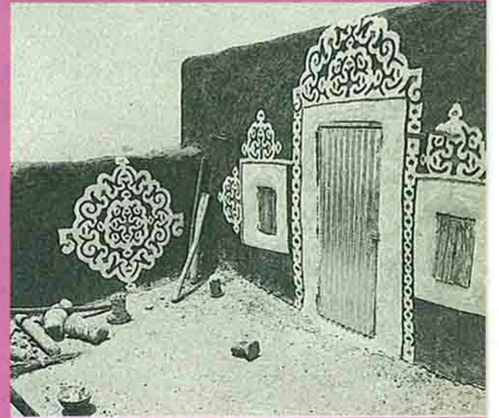
تيشيت

وأما «تيشيت» فقد **أسسها العالم الكبير الشريف عبد المومن** ، واشتهرت بحق بأنها من أجمل مدن المنطقة . وتبدي الأحجار التي استخدمت في بنائها مجموعة من الألوان الخفيفة التي يضفي تأثيرها الزخرفي على هذه المجموعة رونقاً فريداً .

ويعود بناء تيشيت إلى أواخر القرن السادس الهجري ، ويرد في الحكايات المتداولة بين أهلها أن الشريف عبد المومن الذي كان تلميذ **القاضي عياض** لما أبصر واحتها في

★ من الزخرفة في ولاته ★





من كل جانب أعجبته فقال « تي شنت » فكان ذلك اشتقاق اسمها هذا ، مع العلم أن الخرائط القديمة تتحدث عن تيشيت بسنين مهملة .

أما سكانها الذين استوطنوها قبل **الشرفاء** فهم **زنوج ماسينا** ، وما زالت بقية منهم تقطنها إلى اليوم .

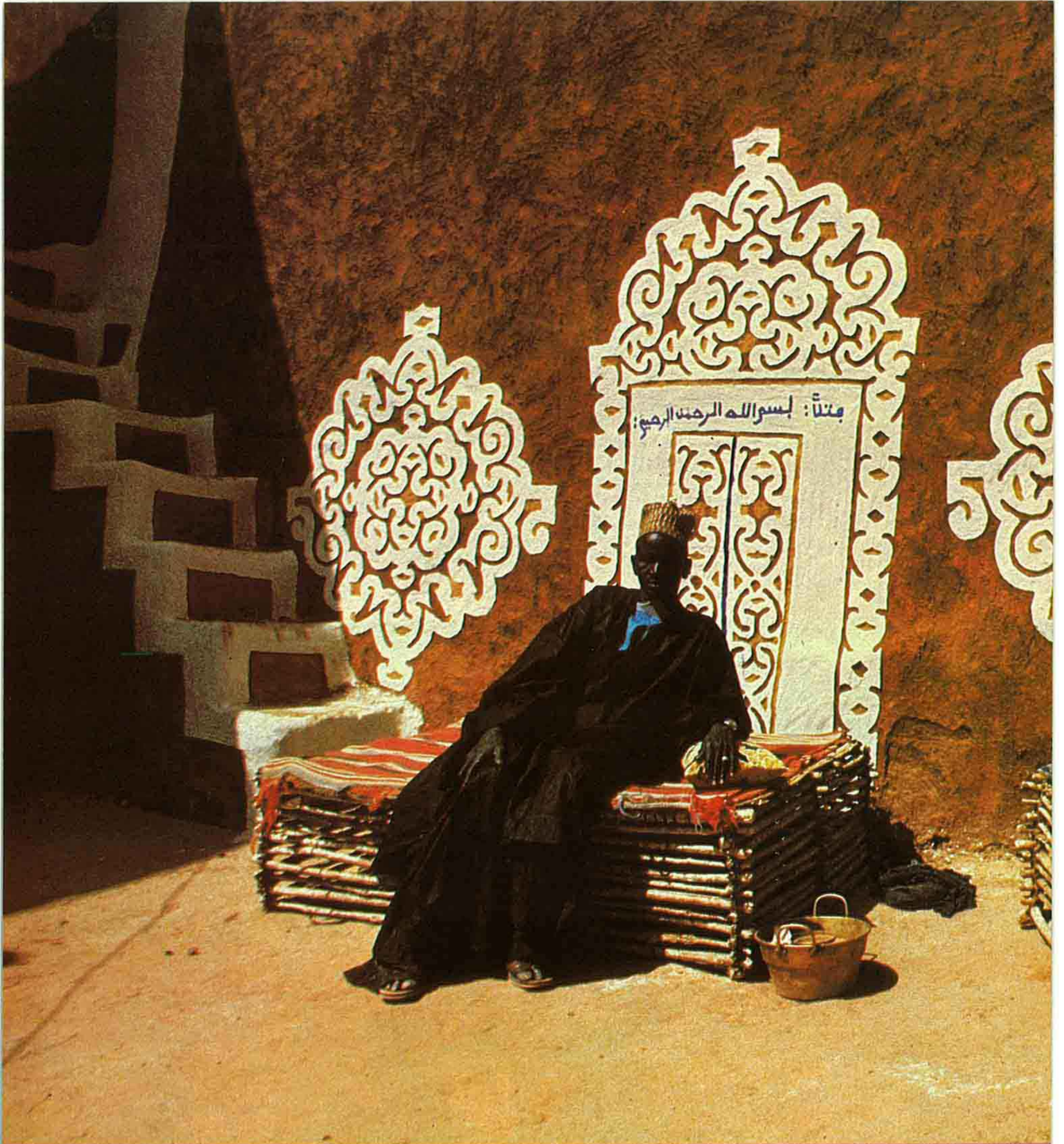
وقد ازدهرت الحياة العلمية في تيشيت من عهد تأسيسها إلى نهاية القرن الثاني عشر الهجري ، حيث نزح أهلها وأصبحت قرية صغيرة يصعب الوصول إليها ، لا تحتضن سوى مئات من السكان يشدهم الماضي إليها مختبئين في أبنية تتداعى يوماً عن يوم .

ولم تزل هذه القرية تضم كنوزاً من المخطوطات العربية النفيسة التي تنبئ عما وصلت إليه تيشيت من أوج الحضارة في القرون الماضية ، فلا ننسى أنها قرية الشرفاء أبناء حما الله أصحاب النوازل

المشهورة ، ومن أبنائها الحسن بن أغبد الذي ملأ الدنيا صيتاً وعلماً .

ولاتة

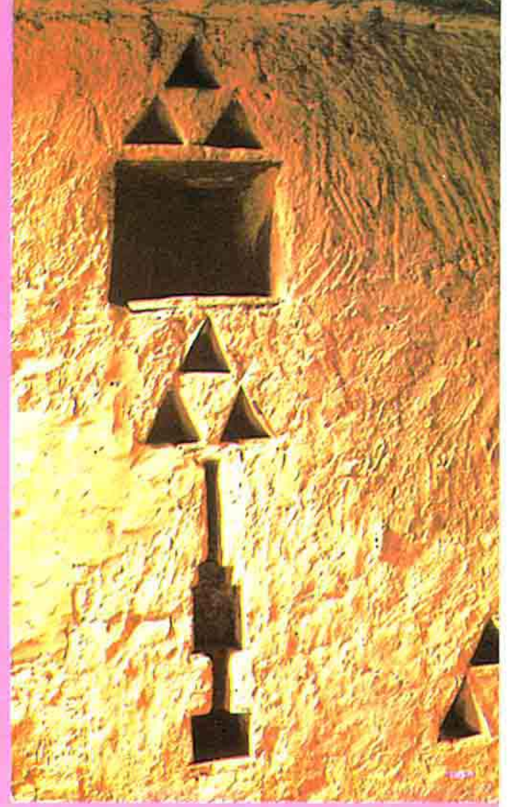
لقد ظلت « **ولاتة** » المنافسة الأولى لمدينة



تمبكتو في ميدان الثقافة الإسلامية ذلك أنه حينما تصدعت أركان المملكة الغانيّة تحت ضغط **أمراء صوصو**، وهاجر مسلمو غانا وعلماؤهم بقيادة **الشيخ إسماعيل** إلى ولاتة المعروفة في ذلك الوقت باسم بيرو، وفي أواخر القرن السادس الهجري كان ذلك بداية عهد جديد في حياتها الثقافية.

ولما زارها ابن بطوطة بعد قرن ونصف من هذا التاريخ، رأى أنها أصبحت مركز علم وتجارة، وصلة وصل بين سجلماسة والسودان، ومصر والصحراء.

ومن الحوادث التاريخية التي كان لها الأثر في تفوق مراكزها الحضارية هجرة علماء الطوارق إليها حينما احتل **«سوني عالي»** تمبكتو عند



★ من مباني شنقيط ★

منتهى القرن التاسع الهجري ثم صارت ابتداء من هذا التاريخ مهد علم وحضارة راقية، فعلا كعب علمائها في ميادين الثقافة الإسلامية، وأصبحت مدرستها الفقهية من أهم مدارس البلاد.

وقد قيل عنها: «إنها كانت في آن معاً مركزاً تجارياً مزدهراً، ومركز علم تخرج فيه كثير من العلماء، وقد عاش فيها **الفقيه محمد يحيى الولاتي، ومحمدي ولد سيدي عثمان**. وهذه المدينة التي تعتبر وريثة تمبكتو، والتي تشتهر هندستها المعمارية بزخارفها المتميزة».

وادان

لقد عرف «وادان» في المراجع الأوروبية بهودن هكذا كان اسمه عند البحارة البرتغاليين في القرن التاسع الهجري.

ويعتقد أهل المدينة أن كلمة «وادان» تعني أن في هذا المكان واديين أحدهما ملئ نخلاً وتمراً، والثاني ديناً وعلماً.

وليس من شك أن وادان ظل طيلة قرون مركزاً للعلوم والتدريس، حتى أنه يذكر في الروايات الشعبية أنه في الإمكان إحصاء أربعين داراً متتالية في نهج واحد، في كل منها عالم له حلقة تدريس. ومن أشهر علماء وادان ابن القاسم المتوفي ١١٨٦م، وهو أول من درس مختصر خليل في وادان. كما أن كتاب «موهوب الجليل في شرح الخليل» كان أقدم شرح لهذا الكتاب.

ويقول المدير العام لليونسكو في ندائه: «ولكن هذه المدن التي أكملت حتى يومنا

★ من بيوت وادان المتداعية ★ ▼



هذا بفضل حيوية سكانها وإبداعهم ، رحلة امتدت سبعة قرون ، يتهددها اليوم خطر الاندثار تحت الرمال . فبعد أن تحولت الطرق التجارية وطرق القوافل التي كانت تمر بها ، تضاءل ازدهارها رويداً رويداً ، ونضبت شيئاً فشيئاً شبكة المبادلات الضخمة التي كانت تغذي أنشطتها الخاصة . وبعد ذلك أحدثت فترة الاستعمار ، التي نقلت مراكز اتخاذ القرارات السياسية والاقتصادية إلى المدن الجديدة ، وأحدثت تحولات في أساليب الإنتاج والاستهلاك ، اهتزازاً مطرداً في البنى التقليدية للمجتمع الموريتاني .

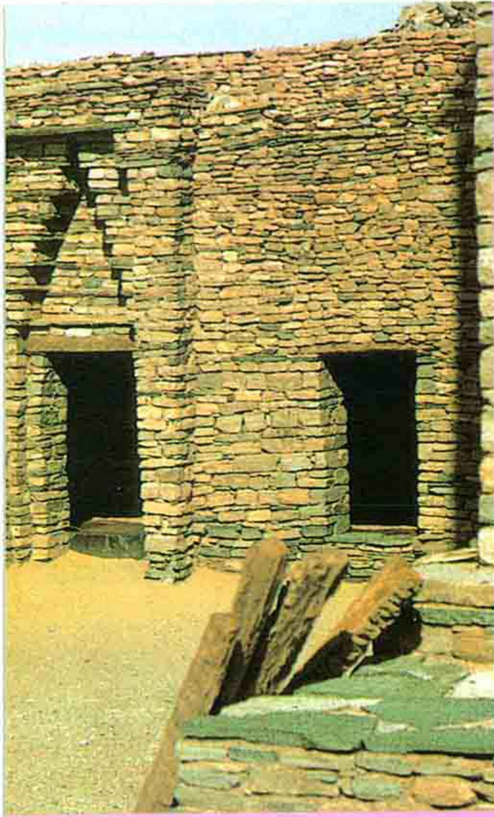
« ومن جهة أخرى ألحقت فترات الجفاف الطويلة بالمدن أضراراً يتعذر إصلاحها . ولقد أصبحت ، وقد رحل عنها جزء كبير من سكانها ، نهباً لزحف التلال الرملية الذي لا يرحم ... **وهذه المدن يجب انقاذها .**

« فالمشكلات المالية والفنية التي يثيرها تحقيق الأهداف التي حددتها السلطات الموريتانية تتجاوز بالفعل إطار الجهود التي يمكن بذلها على الصعيد الوطني . وهي تقتضي وتستحق تعبئة واسعة النطاق للموارد على الصعيد العالمي . لذلك طلبت الحكومة الموريتانية من اليونسكو دعم جهودها عن طريق دعوة جميع الدول والشعوب إلى التضامن معها .

« وإني أتمنى أن يلق هذا النداء بدوره آذاناً صاغية . وأرجو أن ترقى المساهمات إلى مستوى الأمال الكبار التي تحدو اليوم مختلف فئات السكان والسلطات الموريتانية ، وأن يتسنى بذلك صون أربع مدن حفظت بين ربوعها طيلة سبعة قرون من الزمان سراً من أسرار مستقبلنا ، ألا وهو ازدهار كل فرد بفضل التضامن بين الجميع » .



★ واحة وادان ★ ▼



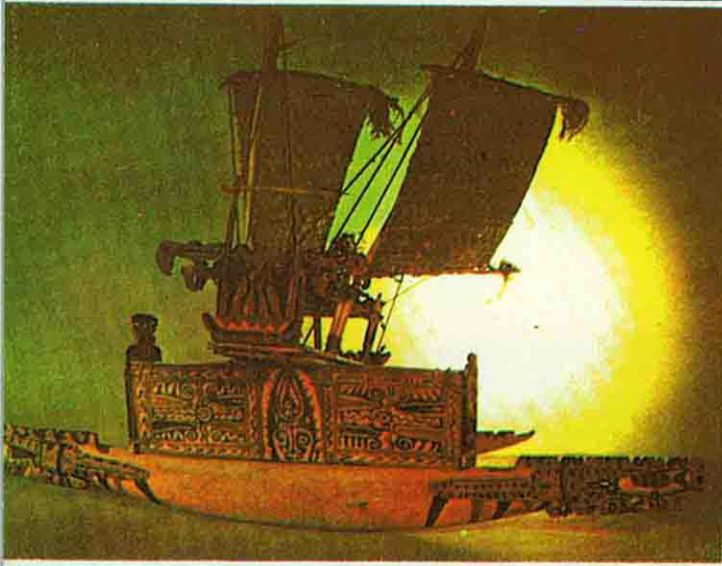
▲ ★ من مباني تيشيت ★

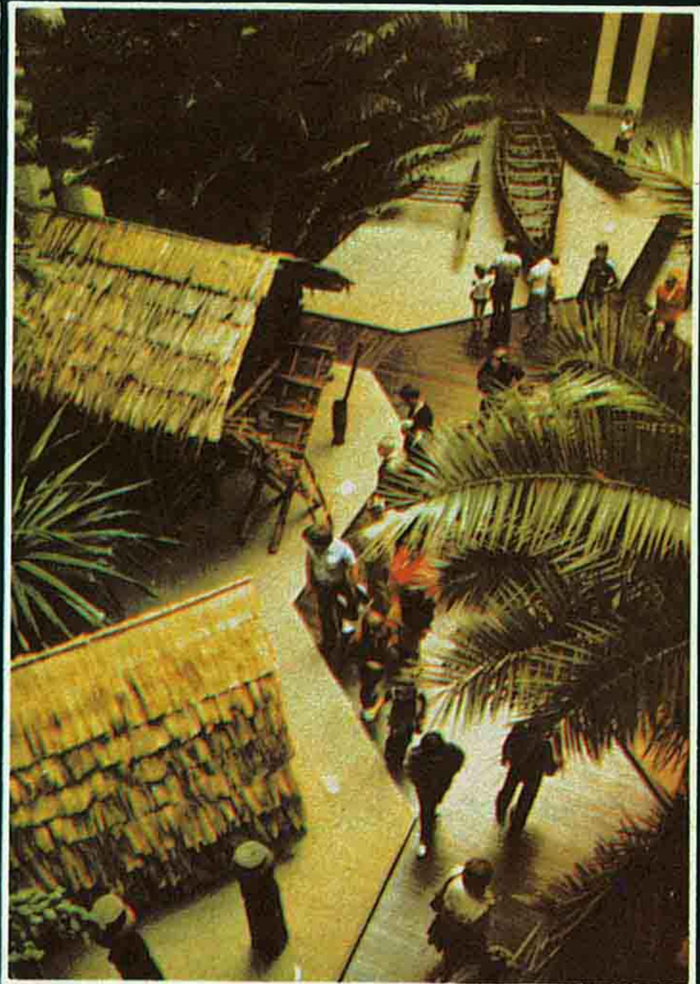


متحف ماوراء البحار بألمانيا

إعداد: د. الصفصافي أحمد المرسي

المتحف، منشأة علمية، وثقافية، هدفها عرض التراث الإنساني، ومجموعات التاريخ الطبيعي، أو الصور، وتطور التقدم العلمي، والصناعي، والفني، بأساليب عرض جذابة. ويعتبر المتحف من هذا المنطلق، معهد بحث، ودراسة وتثقيف للباحثين والباحثين عن المعرفة.





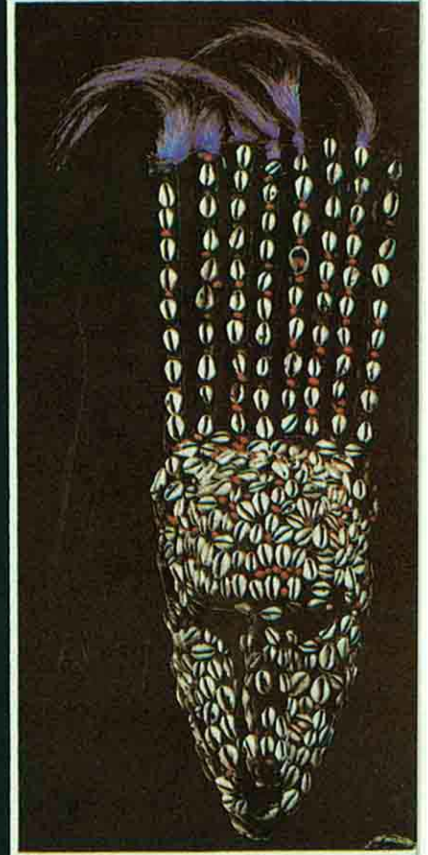


★ نموذج لمركب تجاري عام ١٩٠٠م ★

★ نماذج لبيوت سكنية منذ عام ١٩٠٨م، بغنيا الجديدة ★

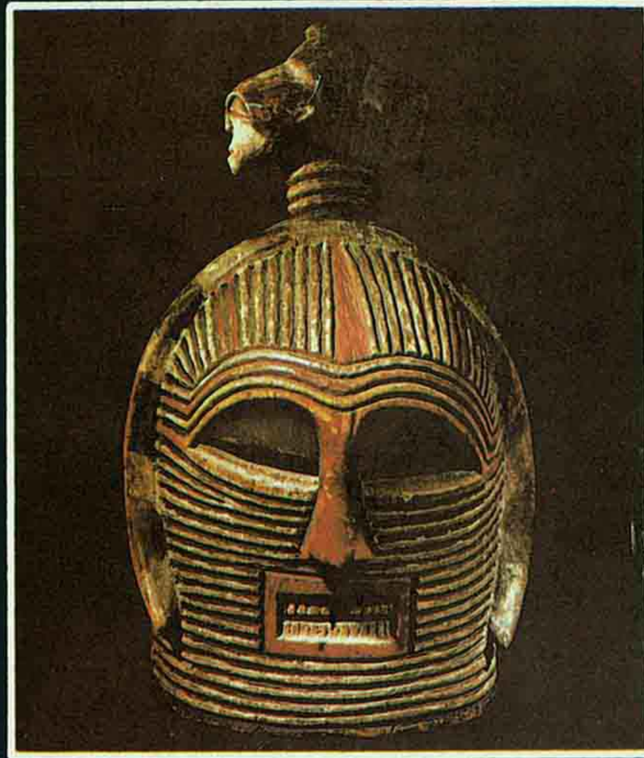
★ نموذج لحديقة يابانية، بها كنجارو أحمر، وطائر الكاكادوس.. موطنها جنوب أستراليا ★

★ نموذج آخر لحديقة يابانية، والشينتو «Shinto» ★



★ قناع «بمبارا» الخاص بتلقين الأسرار، والنقود الصدفية (الكوري) التي تكسو وجه القناع ★

★ فن القناع من النحت الإفريقي، على شكل خوذة ـ جنوب وسط زائير ★



على هذا الأساس شهدت المدن الألمانية ـ كغيرها من المدن والعواصم العالميّة ـ كثيراً من المتاحف التي تطورت في القرن الأخير، وتعددت، وتخصصت في أهدافها وأصبحت من أهم وسائل نشر الثقافة والمعرفة.

وفي نهاية الحرب الفرنسية البروسية أعلن **وليم الأول ملك بروسيا** إمبراطوراً على ألمانيا سنة ١٨٧١ م، وضُمت الإلزاس واللورين للإمبراطورية الجديدة، واتحدت تحت حكم مشترك ومجلس «دياط» اتحادي عُرف بالريشستاخ والاتحاد جمركي، لكنها ظلت اتحاداً مكوناً من ممالك [بروسيا ـ وبافارسيا ـ وفوتنمبورج ـ وسكسونيا] ودوقيات كبرى مثل [بادن، هسن، ساكس].

تطورت ألمانيا في مدى نصف قرن من بلاد اقطاعية مفككة اجتماعياً واقتصادياً ومتخلفة إلى أهم دول أوروبا الغربية حربياً واقتصادياً واستمر التوسع الاقتصادي الصناعي والتجاري السريع، وأضيفت إليه برامج التوسع الاستعماري والبحري والتجاري في عهد **وليم الثاني** فشكل ذلك رخاءً اقتصادياً وثقافياً وصل ذروته في عام ١٩١٤ م، وفي تلك الفترة شهدت ألمانيا نهضة ثقافية ورغبة طموح في التعرف على شعوب البلدان الأخرى.

من هذا المنطلق ظهرت فيها مجموعة كبيرة من المتاحف التي تهتم بالشعوب البعيدة والتي تسمى «**ما وراء البحار**».

والمتحف الذي نصحبك إلى زيارته اليوم في **مدينة «برمان» بشمال «ألمانيا الاتحادية»**. كتب على لوحته التي تتصدر الواجهة [**متحف ما وراء البحار**]، وقد تأسس عام ١٨٩٦ م، بناءً على قرار مجلس شيوخ المدينة.. وهو في الأصل يختص بما يتعلق بالتجارة وشؤونها.

ومدينة «برمان» هذه إحدى المدن التجارية الهامة ولها تبادل تجاري مع شعوب ما وراء البحار. وقد احترف سكانها التجارة فركبوا البحر وارتبطت حياتهم بالتجارة.. وقد استأثرت هذه الهواية والحرفة على جماهير «برمان» أثناء المد الاقتصادي.. فتجمع التجار ليشكلوا نواة متحف ضم كل ما جمعوه من



★ وعاء من البرونز .. لعله سراج ؟ .. (نيجيريا) ★

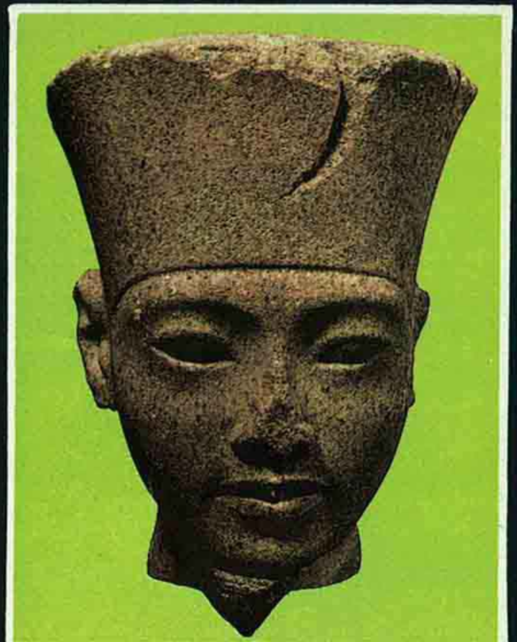
معلومات عن الحياة والمعرفة حول العالم ، ويشمل نظرة عامة على نمط حياة شعوب ما وراء البحار ، وقد كان هذا بالجهود الفردية والذاتية في بادئ الأمر ، ثم عندما تدخل مجلس شيوخ المدينة وقرر المساهمة في إنشاء هذا المتحف ، دفع التجار نصف التكاليف وتكفل المجلس بالنصف الآخر .

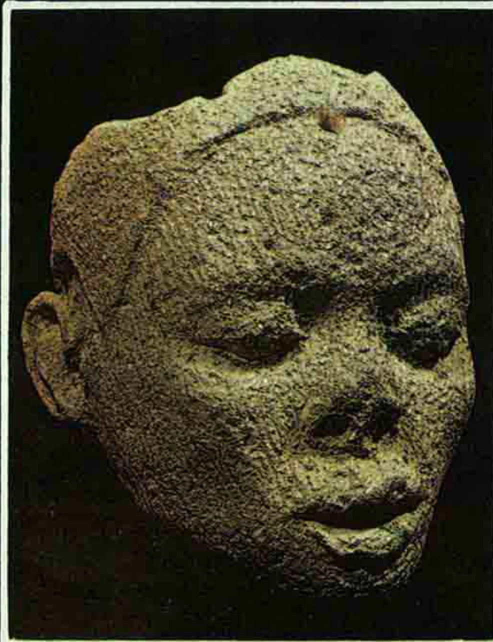
وبالرغم من أن جزءً من هذا المتحف قد نالته يد الدمار في الحرب العالمية الأولى والثانية إلا أنه قد أعيد بناؤه .

والمتحف مجهز تجهيزاً خاصاً لتسمع وأنت تتجول بين جنباته وأقسامه «موسيق الشعوب» . وقد قسم المتحف إلى طوابق ثلاث :

●● الطابق الأول : يحتوي على معروضات من « أستراليا » و « آسيا » و « نيوزيلاندا » .

★ هذان الرأسان بينهما شبه أكيد ، مقارنة بين الحضارات ، على اليمين رأس من صلصال وردي اللون لأمون حوالي ١٣٥٠ ق . م ، وإلى اليسار من أدو (نيجيريا) ويرجع في الغالب إلى القرن ١٥ م ★





●● الطابق الثاني : خصصت أجنحته لـ « إفريقيا » و « أميريكا » ولم تنس « ألمانيا » نفسها ، فخصصت **الطابق الثالث** لمعروضات شمال ألمانيا .

والاهتمام الغالب على المتحف هو الطابع التجاري ، وإن كان يحتوي في عروضه على النواحي الحضارية المقارنة بين ما تركته الشعوب ونمط الحياة في تلك الدول وتطورها العلمي لتكتمل الصورة .

ويقرر المسؤولون عن المتحف أن الهدف من فكرته هو إعطاء فكرة تاريخية عن حياة الشعوب فيما وراء البحار ، وليتمكن الزائر والشعب الألماني وأطفاله من مشاهدة بيئات الشعوب الأخرى بشكل يقرب من الواقع .

والجدير بالملاحظة في هذا المتحف أنك في الوقت الذي تسمع فيه موسيق الشعوب المعروضة حياتها أمامك تستطيع أن تطالع « صحفها » وتشاهد « فنونها » عن طريق المسجلات الصوتية والمرئية دون أن تكلف نفسك عناء السفر لتلك المناطق .. وهذا المتحف ربما كان بحكم اهتمامه الأساسي بالتجارة وما يتعلق بها ، من المتاحف القليلة النادرة في العالم .. وقد استطاع القائمون عليه إضافة كثير من العروض إلى جانب الموسيق حتى يتمكن الزائر من الاستمتاع بما يشاهده .

كلمة طيبة

وداعًا.. أيها الكروان!

أول ما سكنت هذا الحي من خمس عشرة سنة كنت أسعد بشدو الكروان في الليل . هذا الطائر الجميل الأبيض الذي لا يحلو له التحليق في الجو إلا في الليالي المقمرة . كان يسعدني بصوته . كانوا يقولون لنا ونحن صغار إن انشاده يقول : الملك لك لك لك يا صاحب الملك . كانت هذه الكلمات تتوافق مع صوت هذا الغريد الذي يفوق صوته صوت البلابل . كنت أفهمه وأحس وقع صوته في قلبي لأنه كروان والكروان مصري فهو عربي ، أما البلبل فهندي وشدوه هندي ولهذا فلست أفهمه بل لا أحبه . كان قلبي ينشد مع الكروان : الملك لك لك لك يا صاحب الملك .

كان بيتي محاطاً ببيوت جميلة ذات حدائق . كانت منيات (بضم الميم) والمنية في لغتنا العربية هي الفيلا ، فالمنية هي القصر الريفي الذي كان سراة العرب ينشؤونها في الأرياف بين الخضرة . كذلك كانت الفيلا عند الرومان واسمها الكامل فيلا روستيكا أي البيت الريفي .

كانت تلك القصور جميلة كالحدائق التي تحيط بها . إنها قطع فنية معمارية أنشأها باشوات العشرينات والثلاثينات . كان ذلك عصراً ذهبياً في مصر . عصر رخاء وهدوء واستقرار اجتماعي عظيم . كانوا سراة يسوسون الأمر في هدوء وحكمة ، وكان فيهم ترفع ، لكنهم كانوا يتطلعون إلى كل ما هو رفيع جميل . كنا ونحن شباب لا نحبهم لأن عصرهم كان عصر الاحتلال . كانوا يعيشون مثل الكروانات التي تصدح فوقهم : يغفون دون أن يشعروا بالدنيا من تحتهم . كنا لا نحبهم ، وربما كنا على حق ، ولكننا اليوم نبكيهم . بعد أن شاب شعرنا وفهمنا الدنيا أصبحنا نردد مع الشاعر العربي القديم :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة إذا جُهَّالُهم سادوا

شيئاً فشيئاً اخذت أصوات الكروانات تقل . لم أفهم السبب أول الأمر ثم عرفت بعد فوات الأوان . المنيات من حول بيتي تختفي وتقوم مكانها ، وعلى مساحتها الكاملة بما في ذلك الحدائق طفرت في الجو العمائر الضخمة : مكعبات من الأسمنت والحديد والألومينيوم والطوب والرخام الصناعي والزجاج . زالت الحدائق وأشجارها الجميلة ، ولم تجد الكروانات أشجاراً تعشعش فيها فاختفت . بدلا من شدو الكروان أصبحت أسمع صخب شرائط الاستريو من تلك العمائر الجديدة . غابات هوائيات التلفاز حلت محل الأشجار .

مع اختفاء الأشجار والحدائق اختفى الربيع وتلوثت زهور الصيف ووروده . كلها ذهبت إلى حيث ذهب الكروان . قال لي واحد من أصحابي : الحضارة في زحفها قضت على ذلك كله . قلت : هذه ليست حضارة . إنها تخريب . عمائر الأسمنت هذه أشباح رهيبة قضت على كل ما هو إنساني ورفيع في حياتنا . أمام العمائر اصطفت السيارات وتصاعد البنزين . علب الصفيح هذه تسد علينا الطريق وتسمم الجو . إذا استمر الحال على ذلك فسيجيء قطعاً اليوم الذي نختفي نحن فيه أيضاً كما اختفت الكروانات والأشجار والزهور . لا أنسى يوماً من أيام الربيع من خمس سنوات ، عدت من رحلة طويلة في أوروبا . كانت متعتي الكبرى في الصباح أن أتناول الإفطار في شرفتي وتحت بصري حديقة أنيقة في قصر صغير جميل على ضفة النيل . روعني أن أجد أن حديقتي الحلوة قد زالت ورأيت مكانها هيكل أسمنت مسلح يصعد ، وعشرات العمال صاعدون هابطون . اختفى جانب عظيم من جوانب المتعة في حياتي . الآن اكتملت هذه العمارة واختفى وراءها النيل الجميل . في موضع الجنة الصغيرة قامت عمارة هائلة تحجب عنا النور والهواء وتكتم أنفاسنا . هذه ليست حضارة . إنها زحف همجي رهيب . هؤلاء الناس الذين يسكنون في هذه العمارة من أين أتوا ؟ كلهم أحداث مال وطارئون على عالم الغنى . إنهم همج وأولادهم همج أسوأ . لقد داسوا بأقدامهم الخضرة والجمال والأشجار وقتلوا الكروان . إنهم شياطين تسمع الاستريو وتملأ حياتنا بهذا الشيء العجيب الذي يسمونه فناً !!.

ولكن لا بأس . هنا ركن صغير بين العمائر أرى منه قطعة من النهر وتنفذ إليَّ منه أشعة من نور . أنشأت في هذا الموضع الصغير حديقة متواضعة : أصص زهر وأشجار ظل . هنا أيضاً وضعت شجرة ورد لأنني لا أستطيع أن أحيا إلا إذا كانت بقربي شجرة ورد . الورود عندي أجمل الزهور . إنها أنيقة ارستقراطية مترفعة ، وهي عاطفية أيضاً . إن شجرة الورد تنمو بالحب : لا بد أن ترعاها وتسقيها وتجلس إليها بين الحين والحين لكي تأنس إليك . وبدون أنس لا ينمو الورد . لا يعرف الناس أن هذه الزهور والأشجار الصغيرة كلها تحتاج إلى حب . إنها تأنس لمكانها ، فإذا نقلتها من مكانها أو إذا أسأت معاملتها ذبلت وماتت . إنني أرعى شجيراتي وأجلس إليها وأتحدث معها ولا أترك العناية بها لخادم أبداً . أحياناً ، عندما تطول غيبتي في السفر أجد أنها أخذت تذبل ثم تدب فيها الحياة عندما أعود .

هذه الحديقة الصغيرة هي عزائي اليوم . إنني أجلس إليها في الصباح وبعد الظهر وأتناول الشاي وأنا أتحدث معها . من أسف أن الكروان لن يعود ... هذا الصديق الكريم مضى لأنه في حاجة إلى أشجار وسماء صافية وضوء قمر . هذه كلها اختفت فلم يعد له مكان . لا بد أنه هاجر إلى موضع آخر لينشد فيه بصوته الجميل في الليالي المقمرة : الملك لك ، لك لك يا صاحب الملك .

د. حسين مؤنس

وظيفة الجامعات في العالم العربي



مع أن الغاية الأساسية للجامعة لم تتغير مع الزمن ، وقد بقيت دائماً على ما كانت عليه في أي وقت من الأوقات وهي «نقل المعرفة وتطويرها بشكل يساعد في تهذيب الفكر والسلوك الإنساني» .

إلا أن ترجمة هذه الغاية إلى أهداف محددة ووظائف تفصيلية للجامعة قد حملت في طياتها الكثير من القضايا التي كانت تثير الجدل ، وذلك لأن الترجمات كانت تعكس فلسفة المجتمع الذي توجد فيه الجامعة ، وحاجات ذلك المجتمع ، وتطلعات ممول الجامعة ، كما كانت تلك الترجمات تعكس أيضاً الآثار التي تركها تقدم العلم الحديث ، واستخدام المنجزات التكنولوجية في ميادين متعددة ، والتفجر السكاني مع ما رافقه من زيادة في الإقبال على المعاهد العلمية ، إلى غير ذلك من المؤثرات .

بقلم : د. سامي عريفج



اليوم



أغراض التعليم الجامعي

ويستطيع المتتبع لأغراض التعليم الجامعي والعالي في بلدان كثيرة أن يلمس اختلافات لافتة للانتباه ، وحتى لا ندخل في مناقشات طويلة دعنا نتجاوز موضوع الاختلافات في الأغراض باختلاف البيئات لنقف عند ما هو متفق عليه ، ولنسلم جدلا مع (**جاسبرز**) كما جاء في كتابه The Idea of The University بأن **هناك ثلاثة أمور لا بد وأن تطلب من الجامعة وهي : التدريب على مهنة ، البحث العلمي ، والثقافة العامة** . لأن الجامعة هي المدرسة المهنية ، ومعهد البحث ، والمركز الثقافي في آن واحد . وإن من يحاول دفع الجامعة لأن تختار بين الوظائف الثلاث ، أو من يحاول دفعها لأن تصبح ثلاثة مراكز أحدها للتدريب المهني ، وآخر للتعلم ، وثالث للبحث يكون قد جرها إلى الانتحار لأن حياتها تقوم على تفاعل الوظائف الثلاث وتكاملها .

إعداد الطالب

أما فيما يتصل بإعداد الطالب الجامعي لأن يكون مهنياً وعضواً في حياة مهنية ، فهذا أمر تقتضيه طبيعة المجتمعات ، التي تتطلب أن يكون للفرد في المجتمع دور في التقسيم العام للعمل ، ولا يمكن أن يعفى خريج الجامعة من أن يأخذ دوراً يكسب عيشه من خلال تأديته

بدلا من أن يعيش عالة على غيره . وبما أن الإنسان لا يستطيع أن يؤدي دوره على خير وجه إن لم يتلق تدريباً يتفق مع مواصفات ذلك الدور ، فقد تصدت الجامعات لهذه المهمة منذ نشأتها ، إذ اهتمت (**بولونا**) في العصور الوسطى بتخريج القانوني ، كما اهتمت (**سالرنو**) بتخريج الطبيب ، و (**باريس**) بتخريج معلم اللاهوت أو الفلسفة والأدب .

إن هذه المهن ومهن أخرى غيرها مما تكفلت الجامعة بالإعداد له تتطلب معرفة متخصصة تحددها طبيعة المهن نفسها ، بحيث يصل الشخص في مستوى إلمامه إلى الحد الذي يساعده على أن يشق طريقه إلى اكتشاف أسرار مهنته ، على أن يكون ذا بصيرة واعية فيما يتصل بمواجهة المشكلات الميدانية التي تعترضه في أثناء ممارسته لمهنته بحيث يتمكن من إيجاد الحلول الذكية لها .

والمتفحص لطبيعة المهن التي تعد الجامعة طلبتها للقيام بها ، كما يقول (جاسبرز) : « يجد أنها من ذاك النوع الذي لا يكفي فيه أن يلم الشخص بالمعلومات والمعارف المتحصلة في ميدان تخصصه حتى يصبح سيد عمله ، بل يحتاج إلى إعداد يساعده على أن ينمو باستمرار من خلال ممارسته للعمل » لأنه يمارسه من خلال عقلية علمية تولدت في رحاب الجامعة ، حيث **يتعلم الإنسان أن العلم لا يتجزأ ، وأن العلم إن كانت له بداية فليس له نهاية ، وأن الحلول التي يتوصل لها الناس ليست حلولا نهائية ، بل أفضل الحلول الممكنة إلى حين .**

ومن هنا يرى الجامعي ضرورة للسؤال باستمرار ، وضرورة للبحث والتجريب ، وضرورة لتوسيع دائرة معارفه . وهذا ما يساعد على النجاح في عمله كطبيب أو معلم أو قاض أو محام ، فكل واحد من هؤلاء لا يتعامل مع مشكلة بعينها ، بل يتعامل مع الإنسان ككل ، وكل إنسان حالة فريدة في نوعها ، وكل مشكلة إنسانية تعتبر جديدة في نوعيتها ، مما يجعل معالجة أي مشكلة في حقل التعليم أو الطب أو القضاء لا تحل بمعادلة معروفة بل يستدعي دراسة حالة وتجريب ، وبحث مستفيض يقود إلى ابتكار حلول ، وبالتالي إلى إنتاج معرفة . وهذا الأمر يقودنا إلى الوظيفة الثانية من وظائف الجامعة ، وهي البحث العلمي .

البحث العلمي

فما دامت الجامعة لا تعتمد في تدريب المهنيين على تلقينهم مجموعة المعارف المتحصلة في ميادين التخصص وحسب ، بل تفترض فيما تفترضه أن الإعداد يتطلب إلى جانب المعرفة توليد القدرة على طرح السؤال ، واختيار الفروض ، والدراسة العلمية المنظمة ، وابتكار الحلول . فمعنى ذلك أنها لا بد أن تهتم بإنتاج العقلية الباحثة ، ومن هنا تأتي الضرورة لأن يزدهر البحث العلمي في الجامعة ، فيكون التعليم فيها متخذاً أسلوب البحث العلمي ، حتى إن بعضهم قال : إن **المواد الدراسية التي لا تقبل البحث يصعب اعتبارها جزء من المنهج الجامعي** . بل إن بعضهم قال : **إن التعليم في الجامعة لا بد أن يبدأ بالبحث .**

والعلاقة واضحة بين تعلم النظريات وبين ابتداعها ، وما نسميه بالحقائق العلمية ليست حقائق ثابتة مطلقة قد بلغت حد الكمال النهائي ، بل إن الصفة الغالبة عليها هي كونها حقائق نسبية معرضة للتغيير والتبديل . ولذلك كان لزاماً على الجامعة أن تفحص هذه الحقائق وتحاول إصلاحها ، كما أن الجامعة مكلفة أيضاً بحكم دورها في المجتمع صياغة الحقائق المتحصلة في صيغ علمية مناسبة تيسر الإفادة منها في الحياة اليومية . أي القيام بالبحوث النظرية وكذا التطبيقية المتصلة بالمتطلبات الناشئة عن المجتمع .

والجامعة تبعاً لملاحظات **Ben David** تستطيع من خلال البحث العلمي ــ الذي يقوم على العمل فيه نخبة ممتازة من الأساتذة مع من يعاونهم من الطلبة ــ أن تختصر المسافة الزمنية بين إنتاج الأفكار وبين تحويلها إلى مشروعات قابلة للتطبيق .

ويتصل بوظيفة البحث العلمي السابقة وظيفة **إعداد الباحثين** ، فالجامعة الناجحة في تهيئة جو البحث العلمي يمكنها أن تدرب في هذا الجو جماعة من الشباب الخريجين الذين تتوفر فيهم القدرة والاستعدادات والسمات المزاجية التي تمكنهم من متابعة البحث ، وتهيئ لهم طريق النجاح فيه . وبذا توفر لنفسها من يستطيع أن يغذيها بالباحثين والمدرسين وبالإنتاج العلمي . وحتى لا نطيل في هذا الموضوع ننتقل إلى الوظيفة الثالثة من وظائف الجامعة وهي الثقافة .

الثقافة

إن الثقافة في بعض مظاهرها صفة عقلية في الشخص المتعلم تتمثل في تكوينه العقلي ، وفي استقامة تفكيره ، واتساع أفقه وحبه للعلم . والعنصر الثاني من عناصر الثقافة هو تمثل الشخص للعلم الذي يدرسه تمثلاً يحيله إلى جزء من كيانه العقلي والنفسي . والعنصر الثالث من عناصر الثقافة هو أنه مهما كان تخصص الشخص فإنه ينبغي أن يكون ملماً بالقضايا الكبرى للعلوم ، وما أحدثته من أثر في التفكير الإنساني . أما العنصر الرابع فيتلخص في أن **المثقف ينبغي أن يكون في مستوى العصر الذي يعيش فيه .**

وهذه مسؤوليات لا يستطيع أي معهد آخر سوى الجامعة أن يقوم بها ، **فالمدرسة العليا تستطيع أن تعلم الشخص مهنة ، ومراكز البحث والمؤسسات الصناعية قد تستطيع أن تمارس عمليات البحث . ولكن الجامعة وحدها هي التي تستطيع أن تدمج وظيفة الإعداد بوظيفة البحث ، وتتصدى بالتالي للرسالة الثقافية .**

إن الجامعة بطبيعتها وحدة واحدة ، وهذه الوحدة لا تستمد من كونها إدارة واحدة . ففكرة الجامعة تسبق فكرة الإدارة الموحدة ، فكرة الجامعة تأتي أولا ومنها تتفرع كل كلياتها وأقسامها التي تخدم هذه الوحدة ، وتؤدي إلى استمرارها والاحتفاظ بها .

قد تختلف في الجامعة **وظيفة كلية الصيدلة** عن **وظيفة كلية الفنون الجميلة** ، ولا تستطيع كلية الصيدلة أن تعلم الفنون الجميلة ، ولا الفنون الجميلة أن تعلم

الصيدلة ، ولكن هذه الكليات جميعها تؤدي رسالتها باعتبارها كلاً واحداً هو الجامعة . إذن يمكن أن تفهم الجامعة على أنها كل لا يتجزأ ، وأنها في عمومها تمثل الثقافة وفي خصوصها تمثل التخصص البحت .

فالطالب الذي يدرس **الحقوق** ، والطالب الذي يدرس **الآداب** ، والطالب الذي يدرس **العلوم** على تباين تخصصهم ينبغي أن يشتركوا جميعاً في ثقافة واحدة ، حتى يتخرجوا جميعاً أبناء جامعة واحدة .

ولمعالجة مشكلة الثقافة في الجامعات تلجأ الكليات الأساسية في الجامعات إلى تخصيص العامين الأولين للثقافة العامة . كما تسير أغلب الجامعات على نظام يسمح للطالب بأن يختار فوق فرع تخصصه الأساسي مسافات أخرى تعتبر جزءً مكملاً لمتطلبات منح الدرجة العلمية ، وهذه المسافات قد تكون أدبية ، أو علمية ، أو تربوية ، أو اجتماعية ، لكنها على أية حال فرصة للتوسع أفقياً في الثقافة مما يهيئ فرصة للمزج العقلي والمعرفي لدى الطالب .

وتذهب بعض الجامعات إلى ضرورة عقد الندوات العامة والمحاضرات . كما تلجأ بعض الجامعات إلى تشجيع النشاطات الثقافية والرياضية والمعارض إلى غير ذلك من الأمور التي تقود إلى احتكاك طلبة الجامعة بعضهم مع بعض ومع أساتذتهم ، وبالتالي مع مجتمعهم . بل إن البعض صار يفكر بأن يكون الإعداد للمهن المختلفة في كلية واحدة بدل أن يكون في عدة كليات .

الجامعات العربية

ولو سألنا الآن بعد هذه السياحة العلمية عن **وظيفة الجامعات في العالم العربي اليوم ماذا تكون** ؟ وما الظروف التي تملي عليها أن تتخذ لنفسها هذه الوظيفة أو تلك ؟ وما الإمكانات التي يمكن أن تسمح لها أو تعيقها عن الاضطلاع بالأدوار التي أتينا عليها ؟ .

لو سألنا هذه الأسئلة لقلنا إن الجامعات العربية الحديثة كلها ، وكما يفهم من دساتيرها قد تطلعت حين تأسيسها إلى أهداف لا تقل في محتواها ، ولا توحي بمضامينها بأنها يمكن أن تقصر عن القيام بهذا الدور أو ذاك .

ولقد كانت الظروف المحيطة بنشأة الجامعات الحديثة في العالم العربي تبرر لها التصدي مبدئياً للقيام بمهمة إعداد الاختصاصيين والمهنيين ، إذ وجدت الجامعات العربية نفسها تولد في مجتمعات تعوزها الأطر (الكوادر) البشرية المؤهلة تأهيلاً عالياً . فاستجابت الجامعات للحاجات ، وفتحت باب القبول على نطاق واسع ، وحشدت في داخلها الألوف من **خريجي المرحلة الثانوية** ، وحمّلت نفسها مسؤولية الإعداد بالجملة ، وبالانتساب أو قل بالمراسلة ، واضطرت أحياناً أن تفتح وكالات لها في داخل الإقليم أو خارجه ، وتكاثرت قبل البلوغ ، وقفز بعضها بسرعة من مرحلة الطفولة إلى الكهولة دون المرور بالمراحل الوسيطة وو . . . إلخ . وكان ذلك كله وسط جو حماسي يُرفع فيه لواء مسابقة الزمن ، واستعجال الخطوات اللازمة للتخلص من عقدة (**الخبير الأجنبي**) .

لقد كان الحماس منقطع النظير أحياناً قاد الجامعات في بعض الأقطار العربية إلى حتفها ، وقلل من شأنها وشأن خريجيها حين وجدت نفسها تقذف إلى خارجها بقوافل الخريجين الذين لا ينتظرهم أحد . فيدب الذعر بين صفوفهم حال استلام وثائق التخرج . فهذا يهاجر إلى مناطق العمل ، وذاك ينخرط بوظيفة لا تتطلب مؤهلاته ، وآخر يلجأ للرشوة ، وثالث يقعد عاطلاً عن العمل يندب حظه لأنه لم يفلح في اختيار تخصص مناسب للسوق . وهذه نتيجة لو أبصرتها الجامعة لأغمضت جفنيها .

إن الجامعة ليست معهداً ينجح في أداء دوره حين يعد المتخرج لوظيفة متخصصة ، وهي وإن كانت تشارك المعاهد في هذه الوظيفة فإن لها رسالة تنفرد بها تجعلها تتميز بالنظرة الشاملة إلى وحدة المعرفة وتكاملها ، والالتزام بنقل المعرفة وتجديدها « البحث العلمي » ، والتصدي لقيادة المجتمع بدل الوقوف عند خدمته .

وتكون الجامعة قد قصَّرت في عملها إذا كان هدفها فقط هو إعداد المهنيين ، فهذه وظيفة المعهد وليست وظيفتها ، **فنتاج المعهد هو خريجوه ، أما نتاج الجامعة فالعلم والبحث . والجامعات العربية في غمرة حماسها قد نسيت وظائفها في التثقيف والبحث العلمي** . . ولذلك وقعت في المآزق التي واجهها بعضها ويواجهها البعض الآخر لا سمح الله إذا لم يتم تفادي الموقف .

إن خريج الجامعة يستأنس إلى الثقافة التي يتزود بها ، وينتصر للعلم الذي يتزود به ، ويرتقي بمجتمعه وإمكاناته حين يصبح فاعلاً بصورة حقيقية في ميدان البحوث العلمية . **إن خريج الجامعة لا يكون عالة على المجتمع إلا إذا كانت الجامعة نفسها غريبة عن مجتمعها** ، وكان وجود الطلبة فيها كوجود المسافرين في وسيلة النقل يدخلون فيها على أمل الخروج منها .

إن الجامعات العربية قد نسيت في غمرة الحماس أن لها دوراً تربوياً ، وأن مفهوم التربية أوسع من مفهوم التعليم ، نسيت أن لها دوراً تثقيفياً ، وأن التثقيف لا يقتصر على من هم داخل الجامعة ، بل يمتد إلى المجتمع الذي توجد فيه . نسيت أن الجامعة بالأساس مركزاً للبحوث العلمية لأن التعليم الجامعي يقوم على البحث العلمي . وإن البحوث العلمية يمكن أن تفجر المجتمعات وتنقلها من حال إلى حال ، بحيث تصبح مجتمعات الجامعة بكل معنى الكلمة .

الهوامش

(١) كلارك كير : نظرات في التعليم الجامعي .

(٢) محمد الهادي عفيفي : الاتجاهات المعاصرة في التعليم الجامعي .

(٣) كامل عياد : ما هي الجامعة .

(٤) ستيوارت ماكلور : من التعليم الجامعي إلى التعليم العالي للجماهير .

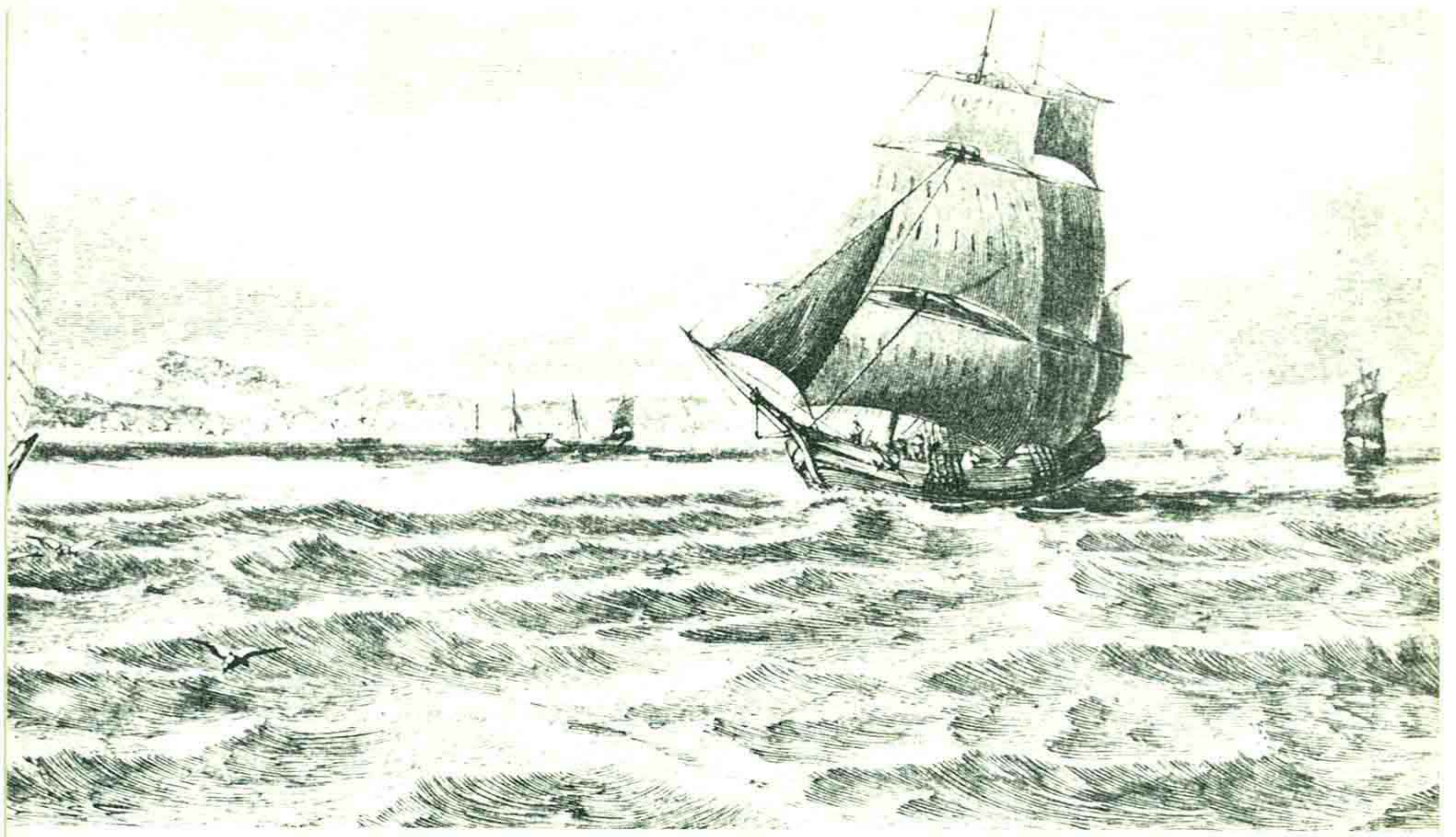
(٥) جميل صليبا : مستقبل التربية في العالم العربي .

(٦) أحمد حسين عبيد : فلسفة النظام التعليمي .

7- Jaspers: The Idea of University/ 8- A. Flexner: Universities.

8- H.P. Montague: The Historic Punction of The Universities.

9- Christopher Driver: The Exploding University.



العلاقات التجارية بين البلاد العربية

قبل الإسلام وبعده حتى العصر العباسي

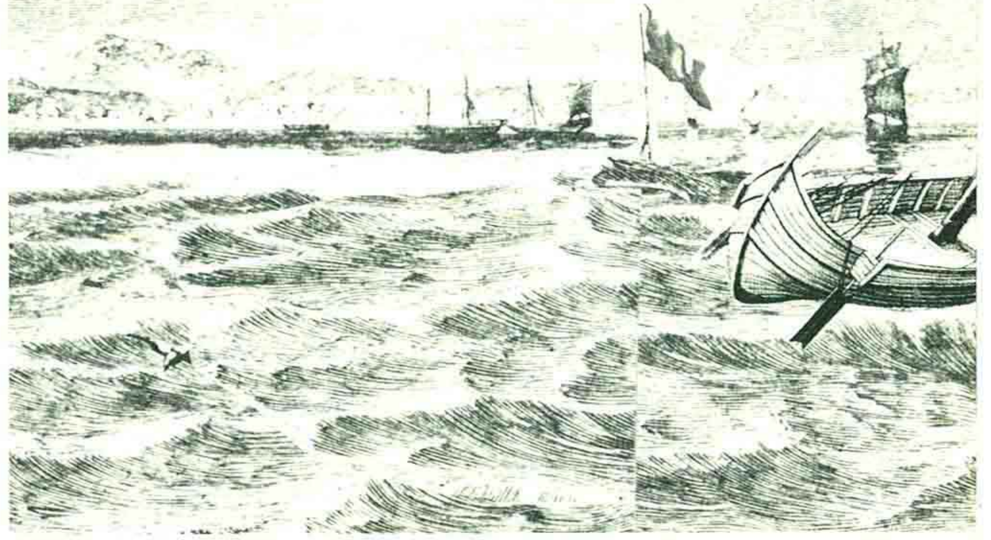
لم يكن يفصل بين البلاد العربية وبين بلاد السند وبلاد الهند إلا البحر ، ولكن هذا البحر نفسه كان يربط بين الطرفين بطرقه البحرية ومموانيه الكثيرة ، وبما أن البلاد الواقعة على شواطئ البحار تكون تجارية ، فلذلك كان البحر أول حلقة وصل بين العرب وبين أهل السند والهند ، فمنذ آلاف السنين كان تجار العرب يأتون إلى سواحل بلاد الهند والسند ، وينقلون منتجاتها وثمارها إلى البلاد العربية بل أيضاً إلى أوروبا عن طريق مصر والشام ، وبالتالي كانوا يوصلون البضائع العربية والأوروبية إلى بلاد السند والهند والصين ، وكان هذا الطريق التجاري الهام في أيدي العرب لقرون طويلة قبل الإسلام وبعده .

العلاقات التجارية قبل الإسلام

وقد ورد في التاريخ أن الذين كانوا يسيرون بالقوافل التجارية قديماً في الشرق كانوا عرباً من ذرية **إبراهيم عليه السلام** ، ومن بعد عهد **يوسف عليه السلام** إلى عهد **ماركوبولو وداسكو دي جاما** كانت البلاد العربية أسواقاً عظيمة لمنتجات بلاد الهند والسند .

وكذلك ذكر بعض الباحثين أن الروابط بين البلاد العربية والقارة الهندية بما فيها بلاد السند كانت روابط قديمة جداً ، **فالملك سليمان** كان يستورد الذهب والفضة والعاج والطواويس من بلاد الهند والسند ، كما كانت في **الإسكندرية** جالية هندية قد ذبحت بأيدي **جماعة «كاراكالا» الهندية** في أوائل القرن الثالث الميلادي ، وكان من الطبيعي أن يهتم العرب بالتجارة بين الشرق والغرب وقد فعلوا ذلك ، وقال **رينود** إن العرب باشتراكهم مع الفرس في ميدان التجارة العالمية قد تمتعوا في هذه السواحل الهندية السندية حتى القرن الرابع عشر الميلادي (السابع الهجري) بالنفوذ الذي تمتع به **البرتغاليون** من بعدهم .

ويذكر التاريخ القديم أن أول قوم خاضوا البحار وتاجروا فيها هم الفينيقيون وهم من العرب القدماء وكان ساحل الشام بمثابة ميناء مركزي لهم في البحر الأبيض المتوسط، كما اتخذوا من ميناء **البحرين** ميناءً رئيسياً لهم في البلاد الشرقية ، وكانوا أيضاً يتجهون بسفنهم التجارية الكبيرة من ساحل الشام إلى سواحل اليونان وأوروبا وشمال إفريقيا ، وهناك أقوام أخرى عربية سكنت منطقة الشام واشتهرت بالتجارة في البحار **كالكنعانيين والآراميين** وغيرهم .



وبلاد شبه القارة الهندية

بقلم: د. عبد الله مبشر الطرازي

ومما هو جدير بالذكر هنا أن كثيراً من كتب التاريخ لا تذكر عن أهل الهند والسند بأنهم كانوا يمارسون أعمال التجارة في البحر، أو أنهم كانوا يشتغلون في البحار ويقودون السفن، وذلك منذ عهد اليونان إلى عهد العرب، بل تذكر تلك الكتب أسماء العرب واليونان والروم على أنهم كانوا تجاراً للمنتجات الهندية في البحر، وكذلك يذكر ماركوبولو في مذكراته أسماء العرب في التجارة القديمة.

ويرى **ألفنستن** أن أهل الهند والسند لم يكونوا ملاحين، ولم يتجرأوا على خوض البحار، وإنما كانوا ينتقلون من ميناء إلى ميناء في نهر السند ونهر كنكا بالهند، إلا **أهل كارومندل بجنوب الهند** الذين استطاعوا أن يسافروا في البحر حتى **جزر جاوة**، ولكن **سليمان ندوي** يختلف مع رأي ألفنستن وغيره ويرى أن أهل السند وأهل إقليم كجرات من بين سكان القارة الهندية كانوا يسافرون في البحار وكان لهم فيه نشاط تجاري، ودليله على ذلك ما ذكره **بزرك بن شهريار** في مواضع كثيرة من كتابه أسماء بعض الملاحين ورجال الأعمال والتجار من أهل الهند والسند، كما كان بعض الهنود والسند يظهرون على سفن العرب عند **عدن** قبل سنة ٣٠٠ هجرية، أي في أواخر القرن الثالث الهجري.

معرفة العرب بموانئ بلاد السند والهند وأهلها

بما أن تجارة العرب لبلاد السند والهند قبل الإسلام كانت في الغالب عن طريق البحر، فلذلك كان من الطبيعي أن يقتصر اتصال العرب على السواحل، ولا سيما الساحل الغربي والجنوبي، وكان من البديهي أيضاً أن تكون لتجار العرب وبحارتهم بحكم العمل صلة قوية بأهل الهند والسند، ومعرفة بالمدن الواقعة على هذا الساحل الطويل لبحر العرب، بل كان العرب يذهبون إلى **خليج البنغال وبلاد الملايو وجزر أندونيسيا**، حتى كوّنوا لهم جاليات في بعض ثغور هذه البلاد ولا سيما على سواحل جنوب الهند وسواحل خليج البنغال.

أهم موانئ بلاد الهند والسند قديماً

لقد بدأت تشتهر أسماء موانئ الهند والسند والبنغال منذ القرن الأول الهجري حتى القرن الثالث الهجري، وذلك قبل عهد العرب بقليل ثم في عهدهم ببلاد السند، وبعد ذلك بقيت الأسماء مستعملة معروفة إلى يومنا هذا، وكان أهم الموانئ في نظر العرب بعد خليج العرب، مثل **ميناء تيز** بإقليم مكران، **وميناء الديبل** ببلاد السند، ثم **موانئ تانه** (تهانه)، **وكهمبايت وسوباره وجيجور** في إقليم كجرات ببلاد الهند، وكذلك **موانئ كولم ومليبار وقار (رأس كماري)** في إقليم مدراس ببلاد الهند أيضاً، وكانت سفن تجار العرب تصل إلى هذه الموانئ كلها ثم تتجه إلى **ميناء البنغال وموانئ الجزر الهندية** ثم **ميناء القامرون (كامروب)** في الآسام، وهكذا تستمر هذه السفن في سيرها حتى تصل إلى موانئ الصين، وقد ذكر الجغرافيون العرب أيضاً تلك الموانئ وصفاتها في كتبهم.

الطريق البحري التجاري قديماً

بيّنا فيما سبق أن الطريق التجاري بين بلاد الهند والسند وبين بلاد أوروبا، كان في أيدي العرب قديماً لقرون عديدة، وكان لهذا الطريق أهمية جغرافية كبيرة، وبسببه وقعت انقلابات عظيمة في العالم، ثم انتقل ذلك الطريق إلى أيدي اليونانيين في عهد **الإسكندر الأكبر** بعد أن استولوا على مصر وإيران وبلاد الهند والسند في القرن الثالث قبل الميلاد، ثم بعد ظهور الإسلام عاد هذا الطريق إلى العرب الذين سيطروا على البحر الأبيض المتوسط أيضاً بحيث أدخلوا جزره المهمة مثل **كريت وقبرص** في ممتلكاتهم، وبقي ذلك الطريق

التجاري العالمي بين العالم الشرقي والعالم الغربي في أيدي العرب لقرون عديدة، حتى استطاع الأوروبيون بعد ذلك أن ينتزعوه منهم في القرن الرابع عشر الميلادي، أي التاسع الهجري.

وكان خليج العرب هو الطريق الثاني بين البلاد العربية وبلاد السند والهند، وكان الفرس والعرب ينقلون بضائعهم التجارية من هذا الطريق بحراً وبراً، وكانوا يمرون بجميع المدن الواقعة على سواحل الهند والسند، وبجزر بحر المحيط الهندي كالبنغال والآسام حتى يصلوا إلى موانئ الصين، ثم كانوا يعودون من نفس الطريق إلى البلاد العربية مارين بموانئ بلاد فارس.

الطريق البري التجاري قديماً

كانت **بلاد السند (باكستان الحالية)** متصلة براً أيضاً بالبلاد العربية عن طريق البلاد المجاورة كبلاد فارس وخراسان، وكانت القوافل التجارية العربية تأتي إلى بلاد السند وتعود وكان لذلك طريقان، فالطريق الأول كان يبدأ من منطقة **القندهار ببلاد السند** وينتهي في خراسان، والطريق الثاني كان يبدأ من **مكران ببلاد السند** وينتهي أيضاً في بلاد فارس، ومنها كانت تسير القوافل إلى البلاد العربية ويقول البعض إن قوافل تجار العرب كانت تتحرك من العراق وتسير براً حتى تصل كرمان بإيران ثم تسير منها إلى مكران ومنها تتفرع إلى قوافل عديدة متجهة إلى مناطق مختلفة بداخل بلاد السند.

الصادرات والواردات

كانت لمنتجات بلاد الهند والسند أهمية كبيرة في العالم كله في القديم، ولا سيما عند العرب، فمثلاً حين سأل **الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه**، أحد السياح العرب أن يقول رأيه في بلاد السند والهند، أجاب الرجل العربي في جملة جامعة: **«بحرها در وجبالها ياقوت وشجرها عطر»**.

وكان تجار العرب قديماً ينقلون من بلاد الهند والسند بضائع مختلفة مثل الأقمشة والعاج والذهب والفضة والعملات الذهبية وأنواع التوابل والسكر والأرز والمسك وجوز الهند وغيرها، كما كانت **الإبل السندية ذات السنامين** تصدر إلى خراسان وفارس وغيرهما، وكانت هذه البضائع والمنتجات تنقل إلى خارج بلاد السند قبل الإسلام وبعده، وخاصة في عهد العرب ببلاد السند بواسطة التجار العرب.

وأما بالنسبة للبضائع التي كانت تستورد إلى بلاد السند قبل الإسلام فإننا لم نحصل على بيانات كافية من الكتب التاريخية إلا إشارات سريعة بسيطة، فمثلاً الجلد المصبوغ والدقيق كانا يستوردان من الخارج، والتمر الممتاز من البصرة، والخيول الأصيلة من البلاد العربية، والزمرد من مصر، والعود من الهند من أجل المعابد السندية وغير ذلك.

تقوية العلاقات التجارية بعد ظهور الإسلام

بعد ظهور الإسلام قويت العلاقات التجارية بين بلاد الهند والسند وبين البلاد العربية، ففي **عهد أبي بكر رضي الله عنه** في خلال سنتين استطاع العرب أن يدخلوا بلاد الشام والعراق، وفي **عهد عمر رضي الله عنه** دخلوا بلاد إيران حتى وصلوا خليج العرب، وكذلك ساروا عن طريق فلسطين وسورية حتى وصلوا إلى القاهرة والإسكندرية، وكان كل من الناحيتين في أيدي أقوام عظيمة، فقد كان خليج العرب مركزاً تجارياً في أيدي الفرس، ومنه كانت السفن التجارية تتحرك نحو بلاد السند والهند والصين، حاملة أنواع البضائع من جهة إلى جهة أخرى وبالعكس، بينما كانت الإسكندرية مركزاً تجارياً في أيدي الروم، وميناء عاماً للبلاد الواقعة في البحر الأبيض المتوسط، ثم لما استولى العرب على هذه البلاد وفتحوها راجت تجارة العرب مع بلاد السند والهند حتى فتح العرب بلاد السند، وبذلك زادت العلاقات التجارية تحسناً وتقدماً في هذا الجزء الشرقي مع الاتصال بالجزء الغربي من العالم.

نشأة العلاقات السياسية

مما هو جدير بالذكر أن العلاقات التجارية القديمة بين البلاد العربية وبين بلاد السند والهند قد تسببت في بدء العلاقات السياسية، وكانت من أهم الأسباب التي وجهت المسلمين من عرب عمان والمناطق الساحلية المجاورة إلى شن الغارات البحرية هو بغية تأسيس دعائم حكمهم على المدن الواقعة في سواحل السند وسواحل إقليم كجرات بالهند منذ سنة ١٥ هجرية، وكان العرب الفاتحون يتلهفون للحصول على الإذن من **الخليفة عمر رضي الله عنه** لخوض البحار والتقدم للغزو والفتح، ولكن الخليفة لم يكن يأذن لهم بذلك دون الدراسة والتأكد من مصلحة المسلمين وسلامة أرواحهم، ومع ذلك قام بعض القواد العرب المتحمسين بالمناورات البحرية وببعض الغارات والغزوات، وقد تكررت هذه المحاولات في **عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه**، وفي **عهد الخليفة علي رضي الله عنه**، حتى استولى العرب على بعض أجزاء من بلاد السند مثل إقليم مكران، ثم في نهاية القرن الأول الهجري ساءت العلاقات التجارية وتسببت في التدخل العسكري والسياسي من جانب العرب في بلاد السند، عندما أساء أهل السند وملكهم **داهر** إلى هذه العلاقات الطيبة في حادثة خطف السفن التجارية العربية المارة بميناء الديبل السندي، قادمة من بلاد الهند وسيلان في طريقها إلى البلاد العربية، بالإضافة إلى حماية ملك بلاد السند لبعض العرب المتمردين ضد الدولة الأموية.

وعلى العموم فقد ثبت من المعلومات السابقة أن العلاقات التجارية كانت قائمة بين العرب وأهل السند والهند منذ آلاف السنين وذلك عن طريق البحر والبر معاً، كما كان التجار العرب يقيمون على الموانئ والمدن الساحلية لبلاد الهند والسند بأسرهم وكانت لهم جاليات كبيرة بها قبل الفتح العربي لبلاد السند، أي بلاد باكستان الحالية في سنة ٩٢هـ.

مشكلات قانون البحار

بقلم: د. إحسان هندي

يهمنا في بداية هذا المقال التميز، قبل كل شيء، بين «قانون البحار» من جهة و «القانون البحري» من جهة ثانية، فالأول هو فرع من فروع «القانون الدولي العام» ويبحث في القواعد القانونية التي تحكم المياه، والسفن التي تمخر هذه المياه، والطائرات التي تطير في جوها كالبحث في: المياه الداخلية، والمياه الإقليمية، والجرف القاري، والمنطقة المتاخمة، والمنطقة الاقتصادية، والبحار العليا... إلخ. أما «القانون البحري» فهو فرع خاص من فروع القانون التجاري، إذ إنه يبحث في مسؤوليات مالك السفينة ومستأجرها وأحكام التأمين على بضائع السفن، والبيوع البحرية... إلخ.

فإذا حصرنا بحثنا في قانون البحار فإن أول ما يجب الإشارة إليه في هذا المجال هو أن هذا القانون بقي قانوناً عرفياً غير مدوَّن حتى عام ١٩٣٠م، حين أعدت «**لجنة الخبراء القانونيين**» التابعة لعصبة الأمم مشروعاً بتدوين القواعد الخاصة بالمياه الإقليمية لعرضه في مؤتمر التدوين الذي انعقد لهذا الغرض في **مدينة**



لاهاي (هولندا) في ذلك العام نفسه ، ولكن المؤتمرين اختلفوا في آرائهم حول عرض المياه الإقليمية الملحقة بإقليم كل دولة ، ولذا انفض المؤتمر دون إقرار المشروع .

مؤتمرات قانون البحار

وفي عام ١٩٥٨م ، انعقد **المؤتمر الأول لقانون البحار في جنيف** ، لتدوين القواعد العرفية في هذا المجال ، وتوصل هذا المؤتمر لصياغة أربع اتفاقيات هي على التوالي :

(١) اتفاقية خاصة بالبحر الإقليمي والمنطقة المتاخمة .

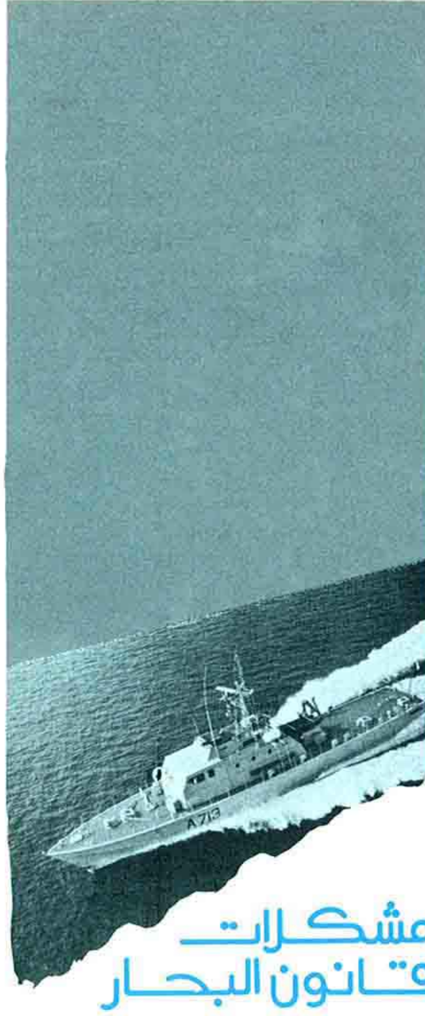
(٢) اتفاقية خاصة بالجرف القاري .

(٣) اتفاقية خاصة بالبحر العالي .

(٤) اتفاقية خاصة باستثمار الثروات البحرية .

ولكن عمل مؤتمر جنيف لعام ١٩٥٨م ، لم يكن كاملاً ، لذا تم عقد مؤتمر ثان لقانون البحار في مدينة جنيف أيضاً عام ١٩٦٠م ، حضره ممثلون عن ٨٦ دولة ، ولكن هذا المؤتمر فشل بدوره في الوصول إلى مقررات حاسمة في الموضوع ، وخاصة في عرض المياه الإقليمية المعترف بها لكل دولة .

ومنذ عام ١٩٦٧م ، دعا مندوب مالطة في هيئة الأمم المتحدة إلى عقد مؤتمر جديد لقانون البحار لتدوين قواعد هذا القانون وخاصة القواعد المتعلقة باستثمار ثروات البحار . وفي ١٧ كانون الأول (ديسمبر) من عام ١٩٧٠م ، اتخذت الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة ، قرارها الشهير رقم ٢٧٤٩/٢٥ ، وهو تصريح دولي رسمي يقضي باعتبار الثروات الموجودة في قاع البحار العليا ملكاً للبشرية جمعاء بصورة مشتركة . وإذا جاز لنا استخدام عبارات فنية هنا نقول إن هذا التصريح عدل عن اعتبار هذه الثروات من قبيل « **الأشياء التي لا مالك لها Res Nullius** » ، واعتبرها بدلاً من ذلك نوعاً من « **الملكية المشتركة Res Communis** » ، والفارق بين الحالتين عظيم ، إذ إن الأشياء التي لا مالك لها يجوز لأي دولة أن تضع يدها عليها وأن تستملكها أو أن تستثمرها على الأقل ، وأما إذا اعتبرناها من قبيل « الملكية المشتركة » فلا يجوز لأي دولة استملاكها أو وضع يدها عليها ، وإذا استثمرتها فإن هذا الاستثمار يجب



مشكلات قانون البحار

أن يكون لصالح الجميع ، وهذه النقطة هي التي أفشلت مؤتمر قانون البحار الثالث كما سيمر معنا بعد قليل .

وقد تم عقد هذا المؤتمر بين ١٩٧٣ و ١٩٨١م ، وحضره ممثلون عن ١٥٠ دولة بالإضافة لعدة هيآت دولية أخرى في دورته الأولى في نيويورك عام ١٩٧٣م ، والثانية في كاراكاس (فنزويلا) بين ٢٠ حزيران (يونيو) و ٢٩ آب (أغسطس) ١٩٧٤م ، وقد قسم المؤتمر نفسه ، في هذه الدورة ، إلى ثلاث لجان :

● **اللجنة الأولى** : لوضع مشروع نظام استكشاف الثروات الموجودة في قاع البحار وكيفية استغلالها وتشكيل مجلس إدارتها .

● **اللجنة الثانية** : تبحث في اختصاصات الدولة الإقليمية في المجال البحري ، أي في تدوين أحكام « المياه الإقليمية »[١] ، و « المنطقة المتاخمة »[٢] ، و « المنطقة الاقتصادية الخالصة »[٣] ، و « الجرف القاري »[٤] ، والبحار المغلقة وشبه المغلقة ، وحق المرور عبر المضايق المستخدمة في الملاحة الدولية ، وحقوق ومصالح الدول الحبيسة[٥] ، والدول المغبونة جغرافياً[٦] ، والدول الأرخبيلية[٧] ، ونظام الجزر . . . إلخ .

● **اللجنة الثالثة** : وتبحث في طرق نقل التكنولوجيا ، والبحث العلمي والمحافظة على البيئة البحرية (مشاكل التلوث البحري) .

وعقد المؤتمر بعد ذلك دورته الثالثة في جنيف ابتداء من ١٧ آذار (مارس) ١٩٧٥م ، والرابعة والخامسة في نيويورك عام ١٩٧٦م ، والسابعة والثامنة في جنيف عامي ١٩٧٨ و ١٩٧٩م ، والتاسعة في نيويورك عام ١٩٨٠م .

الدعوة إلى اتفاقية واحدة

وبالنظر لاختلاف مصالح الدول الأعضاء في المؤتمر بعضها عن بعض فقد وجد المؤتمرون أنه من الأفضل صياغة اتفاقية واحدة شاملة لجميع جوانب قانون البحار بدلاً من صياغة عدة اتفاقيات ، كما حدث في المؤتمر الأول عام ١٩٥٨م ، لأنه في حال تعدد الاتفاقيات يمكن لدولة ما أن تصدق على واحدة منها ولا تصدق على العدد الباقي بحسب مصلحتها الخاصة ، ولذا عمل المؤتمرون على صياغة المشروع في اتفاقية واحدة تحاول التوفيق بين مصالح الدول المتضاربة جميعاً ، وأطلق على هذه الاتفاقية اسم « الصفقة الإجمالية Package Deal » ، وقد حوت ٣٢٠ مادة وثمانية ملاحق تقع في ١٨٠ صفحة فولسكاب تقريباً .

خلافات دولية

وخلال دورات المؤتمر الأخيرة اتفق مندوبو الأغلبية الساحقة من الدول الأعضاء على **التقيد بقرار الأمم المتحدة السابق ذكره أعلاه ، الذي يقضي باعتبار الثروات المعدنية الموجودة في قاع مياه البحر العالي[٨] ملكية مشتركة للجنس البشري** ، ويتوجب أن تقتسم جميع دول العالم هذه الثروات التي سيتم استخراجها من قاع البحار والمحيطات ، كما اتفق المؤتمرون على إقامة سلطة دولية لاستثمار قاع البحر تكون مهمتها منح عقود الاستثمار لمن سيطلبها . ولكن حصل خلاف شديد حول هذه

النقطة بين دول العالم الثالث من جهة والدول الرأسمالية الكبرى من جهة ثانية :

★ فبينما تطالب دول **العالم الثالث** بأن يتم الاستثمار على يد هيئة دولية ، وأن يتم اقتسام الأرباح بالتساوي بين الدول ، بما فيها الدول الحبيسة (أي التي ليس لها شواطئ بحرية) ، تطالب **الدول الرأسمالية** وعلى رأسها الولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا الغربية بأن يكون هذا الاستثمار على يد شركات خاصة أو من قبل الدول نفسها ، وأن يُسمح للدول التي لديها إمكانات للاستثمار بأن تبدأ الاستثمار منذ الآن بانتظار قيام جهاز دولي يشرف على ذلك ، وأن تعطى هذه الدول الرائدة بعض الامتيازات في هذا المجال .

وفي الوقت الذي تطالب فيه دول العالم الثالث ودول المجموعة الشرقية بتبادل المعلومات حول وسائل الاستثمار المستخدمة من الناحية التكنولوجية ترفض الولايات المتحدة الأميركية ذلك وتصر على الاحتفاظ بأسرارها الخاصة فيما يتعلق باستثمار قيعان البحار وعلى عدم نقل الأساليب التكنولوجية الخاصة بها إلى الدول الأخرى ، وكان هذا السبب من أهم أسباب فشل الدورة الأخيرة للمؤتمر . ولما وصلت إدارة **الرئيس ريغان** إلى الحكم في الولايات المتحدة أعلنت هذه الإدارة صراحة عدم رضاها عن مشروع الاتفاقية الشاملة بخصوص قانون البحار ، التي كان من المفروض أن توقع في مدينة كاراكاس في خريف ١٩٨١ م ، ووجهة نظر الولايات المتحدة ، ومن خلفها الدول المصنعة الكبرى ، في ذلك هي أن اعتبار ثروات قاع البحار « إرثاً مشتركاً » للإنسانية بكاملها لا يعني بتاتاً الامتناع عن استغلال هذه الثروات مؤقتاً من قبل الدول القادرة على ذلك مالياً وفنياً في المرحلة الحالية بانتظار التوصل لإقرار نظام دولي بشأن استثمار هذه الثروات والانتفاع بها على أساس حرية الاستثمار فردياً .

ورغبة في انقاذ المؤتمر من الطريق المسدود الذي وصل إليه قام بعض مندوبي دول العالم الثالث بالاتصال بالحكومة الأميركية دبلوماسياً وطلبوا منها الموافقة على المشروع بعد إدخال بعض التعديلات عليه لتقريبه من وجهة النظر الأميركية ، وهكذا اجتمع المؤتمر من جديد ، لدورة إضافية وأخيرة في ربيع هذا العام (١٩٨٢ م) ، في مدينة نيويورك ، وتقدمت الولايات المتحدة خلال جلسات هذه الدورة بعدد كبير من « اقتراحات التعديل » ، واعتبرتها « شرطاً لا بد منه Conditio Sine Qua No » لقبولها بالتوقيع ، ولمّا لم تُقبل بعض هذه الاقتراحات أعلن رئيس الوفد الأميركي رفضه للمشروع . وهكذا انفضت الدورة الأخيرة لمؤتمر قانون البحار ، التي عقدت في نيويورك في ربيع هذا العام ، بدون التوصل إلى التوقيع النهائي من قبل ممثلي الدول على مشروع الاتفاقية الاجمالية التي توصل إليها المؤتمر الثالث لقانون البحار خلال دوراته السابقة بين ١٩٧٣ م ، و ١٩٨٠ م .

وقد صرح رئيس المؤتمر بأنه من الممكن توقيع مشروع الاتفاقية دون الولايات المتحدة الأميركية والدول الثلاث أو الأربع الأخرى التي تناصرها في موقفها ولكن هذا لن يكون شيئاً محموداً ، بينما صرح مندوبون عن كتلة السبعة وسبعين (مجموعة دول العالم الثالث) بأن دول المجموعة ستوقع المشروع بدون الولايات المتحدة الأميركية في الاجتماع الذي سيخصص للتوقيع على الاتفاقية رسمياً ، والذي سيعقد في كاراكاس عاصمة فنزويلا في الخريف المقبل .

ولم تقف الولايات المتحدة مكتوفة الأيدي تجاه هذه التصريحات ، فقد أعلنت **صحيفة « نيبيون كيزاي سيمبون » اليابانية** بأن الولايات المتحدة وألمانيا الاتحادية وبريطانيا قررت التوقيع على « إتفاقية مصغّرة » لقانون البحار فيما بينها تنفرد بمقتضاه باستغلال الموارد المنجمية (وخاصة معادن الكوبالت والمنجنيز والنيكل) الموجودة في أعماق البحار العليا .

وأضافت الصحيفة اليابانية المذكورة أن هذه البلدان الكبرى الثلاثة أبلغت الحكومة اليابان ، كخطوة أولى ، بدعوتها للاتفاق على تحديد مناطق خاصة بكل من هذه الدول لاستغلال الموارد المنجمية الموجودة في قاع **المحيط الباسيفيكي** فيما بين **جزر هاواي** والساحل الغربي للولايات المتحدة الأميركية ! . وهكذا تفاقم الخلاف بين دول العالم الصناعية الكبرى من جهة ودول العالم الثالث من جهة ثانية ، بخصوص اتفاقية قانون البحار هذه ، وأصبح هذا الوضع أحد المظاهر الرئيسية للصراع بين الشمال والجنوب .

وإذا لم تتوصل دول العالم إلى الاتفاق على توقيع مشروع « الصفقة الإجمالية » لقانون البحار في كاراكاس خلال الخريف المقبل ، فإن الدول النامية ستتفرج مكتوفة الأيدي على عملية نهب الثروات المنجمية الموجودة في أعماق البحار العليا من قبل الدول الصناعية الكبرى ، وذلك لعدم قدرتها هي بالذات على القيام بعملية استثمار هذه الثروات حالياً .

ولم يبق هناك إلا شعاع بسيط من الأمل في أن تنصاع الدول الكبرى وتمهر مشروع الاتفاقية بتواقيعها في اجتماع كاراكاس المقبل ، وعندها ستتقاسم جميع الدول ، صغيرها وكبيرها سواء كانت دولا شاطئية أو دولا حبيسة ، هذه الخيرات على أساس العدل والإنصاف .

الهوامش

(١) المياه الإقليمية : هي المياه المحاذية لشواطئ الدولة ، والتي تفرض الدولة سيادتها عليها وكأنها جزء من إقليمها ، وتختلف الدول في تحديد عرضها ولكن أغلبيتها تعتبره ١٢ ميلاً بحرياً (حوالي ٢٠ كم) .

(٢) المنطقة المتاخمة : هي منطقة تحاذي المياه الإقليمية في جهة البحر العالي ، ولا تملك الدولة حقوق السيادة الكاملة عليها وإنما تملك ممارسة سلطات الضابطة فيها (تطبيق قوانينها الصحية والجمركية ونعالم التلوث ومحاربة التهريب والمخدرات . . . إلخ) .

(٣) المنطقة الاقتصادية الخالصة : هي مساحات المياه التي تحاذي شواطئ الدولة حتى عرض ٢٠٠ ميل بحري ، والتي يقتصر حق استثمار الخيرات الموجودة فيها (من حيوانية أو منجمية) على الدولة الشاطئية ، بدون أن يكون لهذه الأخيرة حقوق سيادة عليها .

(٤) الجرف القاري : هو الامتداد الجغرافي لإقليم الدولة البري تحت سطح الماء حتى الوصول إلى منطقة المياه التي عمقها ٢٠٠ متر (وهذا ما يناسب بعد ٧٠ ميلاً عن الشاطئ) ، ويقتصر حق الدولة على استثمار الجرف اقتصادياً بينما تكون المياه التي تعلوه حرة أمام السفن الأجنبية إذا كانت خارج المياه الإقليمية .

(٥) الدول الحبيسة : هي الدول المغلقة التي ليس لها شواطئ بحرية مثل دولة مالي في إفريقيا ، وسويسرة في أوروبا ، وأفغانستان في آسيا . . . إلخ .

(٦) الدول المغبونة جغرافياً هي الدول ذات المساحة الشاسعة التي ليس لها إلا منفذ بحري ضيق لا يتناسب مع اتساع إقليمها البري (العراق مثلاً) ، أو التي تقابلها على مسافة بسيطة شواطئ دول أخرى بحيث لا يمكنها التمتع بمياه منطقة اقتصادية كافية (الإمارات العربية المتحدة ، الشاطئ الغربي لتركيا . . .) .

(٧) الدول الأرخبيلية هي الدول التي تتشكل من مجموعة من الجزر مثل أندونيسيا والفيليبين واليابان واليونان . . . . وقد ثارت مشكلة حادة بالنسبة للمياه الإقليمية لهذه الجزر : هل يجب حسابها لكل جزيرة على حدة أم لمجموعة جزر الدولة مجتمعة كما تنادي هذه الدول ؟ .

(٨) البحر العالي : High Sea : هو جملة المياه التي لا تدخل في المياه الإقليمية لأي دولة من الدول ، وتتمتع فيه جميع الدول بممارسة حريات معينة دون أي تقييد (حرية الملاحة ــ حرية الصيد ــ حرية مد الأنابيب البترولية والأسلاك الهاتفية) .

نفثة شاعر

شعر: د. عزت شندي موسى

سيذكرني قومي إذا غالني الردى
وغبتُ عن الدنيا وطال بيَ المدى
يرجُونني.. والموتُ بيني وبينهم
وفي حلكة الظلماء يرجون فرقدا
فيبكي دماً أهلي.. فقد كنتُ عنهمو
أذود عوادي الدهر إن جار واعتدى
وعشت لهم كالطير زقّتْ فراخها
ودُمت لهم، في فسحة العمر، مرشدا
ويذكرني الخلان إذ كنت إن كبا
صديق وناداني.. مددتُ له يدا
ويَشهد لي الأعداء أنّي لم أهن
ولم أكُ ممن قد أهان ونــدّدا

* * *

وسوف يقول الناس: قد كان عاشقاً
وقد عاش للحسن البديع مُمجّدا



وأشجاه في الروض الورودُ وطيبها
وصفو غدير في الرُبى سال مُزْبدا
وقدّس في الخلق الجمال وسحره
وهام به بين الورى وتوجّدا
.. وكم زهرة قد بات يستاف عطرها
ويهفو لطير في الخمائل غرّدا
وكم من جفونٍ راح يرنو للحْظها
ولو كان سهماً.. في الأضالع أُغمدا
وأغراه في سود العيون كحيلها
وفي وجنات البيض ما قد تورّدا

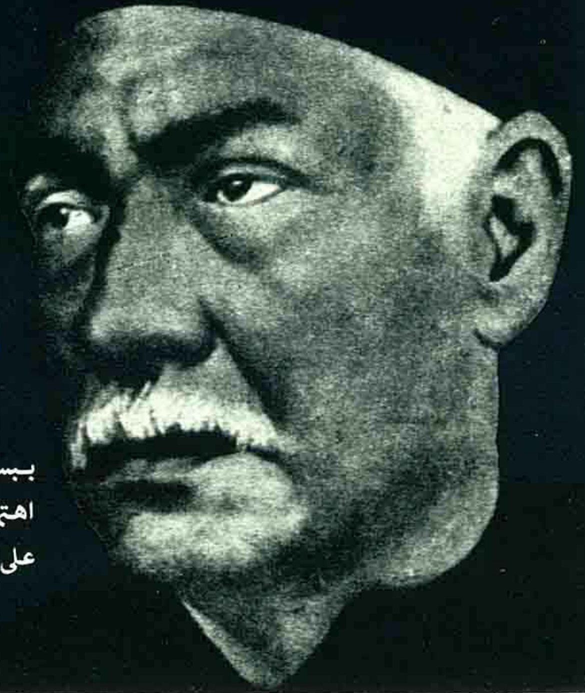
* * *

وسوف يقول الناس ما زاغ أو غوى
وما ضلّ يوماً أو أسفّ وعربدا
ولم يأت ذنباً دون توب وأوبة
وما زلّ يوماً عامداً متعمدا
وهاهو يسلو عشق هند وعبلة
وبات يحب الله.. ثم محمدا
فكلُّ جمال سوف يفنى وينتهي
ويبقى جلال الله في الخلد سرمدا

* * *

.. وقد كان في المستضعفين ضعيفهم
وفوق الألى اصطنعوا السيادة.. سيّدا
ولم يتزود من غنى أو مفاتن
ولكنه من خير تقوى تزوّدا
ولم ينس طول العمر نكران ذاته
وإلا.. لعاش العمر أغنى وأسعدا
وكم سهدت عيناه في الكدّ والعنا
وآن له أن يستريح ويرقدا
فلله ما قاسى ولله ما شكا
ولله قد أدّى.. ولله أخلدا
.. فيارب أكرمه وخفّف حسابه
وبيِّضْ من الألواح ما كان سوّدا

بمناسبة الاحتفال بمرور ٥٠ عاماً على وفاته



حافظ ابراهيم

والمواءمة بين الكلمة والموقف

درج الباحثون على الحكم على شعر «حافظ إبراهيم»[1] (١٨٧١ ـ ١٩٣٢ م) ببساطة التعبير، وسهولة المعاني، والاهتمام باللفظ، وصياغة الكلمة، أكثر من اهتمامه بما وراءهما من معنى، حتى ليبدو مفضلاً بساطة المعنى في عبارة سهلة، على دقته وعمقه في لفظ مبتذل.

بقلم: د. يوسف نوفل

والحق أن النظرة إلى قضية وسائل التعبير عند «حافظ إبراهيم» لا تكمن في مدخل اللفظ والمعنى، ومدى بساطة كل منهما أو تعقده، سموّه أو هبوطه، إذ تتعدى تجربته اللغوية ذلك الإطار إلى شيء أبعد من ذلك تماماً، وأعمق غوراً، هذا الشيء هو طموحه الفني نحو إيجاد **توازن فني بين الكلمة والموقف**.

المعجم الشعري

والشعر ـ في جوهره وحقيقته ـ تجربة لغوية ترق فوق التجربة اللغوية النثرية من ناحية، وفوق التجربة اللغوية العملية التي تلبي حاجات المتخاطبين في تعبيرهم البسيط من ناحية أخرى. أي أن اللغة الشاعرة، أو التجربة اللغوية الشعرية مستوى من الرقي اللغوي يأتي دونها مستويان: أحدهما بالآداب النثرية، ثم يليه مستوى لغة التعبير البسيط الفصيح، وما دام الأمر كذلك، **فالشعر فن وسيلته اللغة**. وقد ظل ـ على مدى العصور ـ النبع الأساسي لحياة اللغة واستمرارها وتجرّدها منذ أقدم صوره التراثية، وربما فتحت **الدراسة الإحصائية اللغوية** المجال أمام دارسي لغة «حافظ» أو غيره للإبانة عن دوره في ظهور الاستعمال الجديد للغة، وفي ظهور **معجم شعري** Poctic Diction خاص به، فمن الحتم أن نجد في كل جيل إحساساً نحو اللغة متطوراً بعض التطور عمن سبقه، ليمثل تعاقب الأجيال أطواراً من النمو اللغوي الشعري، حتى ليمكن أن نتمثل ـ مع «**اليزابيث درو**» ـ التجربة اللغوية بصورة صهر المعدن في المسبك، حيث يتناول الشاعر الألفاظ تناولا يخلق منها شيئاً جديداً، أو يصهر العملة القديمة المستعملة ويصدر عملة جديدة!

الضرورة الشعرية

ولهذا نرى الشاعر حريصاً على الصياغة والصنعة اللفظية، حتى لو أوقعه ذلك في تجاوزات لغوية، سماها القدماء «**الضرورة الشعرية**» حيناً، وأطلق عليها الأسلوبيون المحدثون «**الخروج على القاعدة**»، وعدّوا ذلك مقدرة فنية خالقة لدى الأديب، أي ليست عيباً لغوياً، كما اعتبرها الأقدمون، نقول إن «حافظاً» لم ينج من ذلك، فرأى النقّاد أنه لجأ إلى ألفاظ غير مستعملة، أو أتى بألفاظ زائدة في مثل قوله في قصيدة ألقاها في حفل عكاظ تحية «لشوقي» رئيس الحفل:

لم يجُبْها فضلُ شوقي ... بقيةٌ من **نسيس**

والنسيس بقية الروح، لذا رأى النقّاد أنْ لا حاجة إلى كلمتي «بقية من» حتى لا يصبح المعنى «بقية من بقية الروح»، إذ لا فرصة ـ في رأيهم ـ للتجزيء في البقية.

ولاحظ النقّاد أيضاً أنه يستعمل **كلمة «القاموس»** على غير ما ورد استعمالنا لها، إذ يقول في القصيدة السالفة:

ووِرْدُه كان أصفى ... من مورد القاموس

وهو هنا يقصد بالقاموس: البحر أو لجّته

لا المعنى المستعمل للدلالة على المعاجم . وهذا ـ في تصوري ـ ليس تجاوزاً لغوياً . بل هو منهج لغوي عند الشاعر يوظّف فيه الكلمة من أجل تجسيد الموقف ، في موجة طموحه التصويري ، وهو ـ هذا ـ لا يكتفي بتصوير بقية الروح ؛ بل يضيف «للبقية» بقية أخرى وأخيرة من باب تناهي الأشياء في الصغر ، في موكب عدسته البلورية المكبرة ، وقد مثل ذلك في «القاموس» ، فما أراده للكلمة من معنى أضفى عليها حياة وتموّجاً وحركة وحرارة اكتسبتها من طبيعة البحر ، ولو كان المعنى المقصود هو المعجم لفقدت الكلمة أمارات الحياة هذه ، وصارت جثة هامدة .

هذا ـ في نظرنا ـ ما يفسّر منهجه في الغوص على الألفاظ ، وتسمية هذه العملية اللغوية بأنها عملية تذوق . وقد تجلت هذه المقدرة في صوغه الأحداث الطوال الجسام في عمل شعري متكامل ، وليس أدلّ على ذلك من قصيدته العمرية الشهيرة في «**عمر بن الخطاب**» رضي الله عنه .

ولعل إحساسه بهذه المقدرة هو الذي دفعه إلى أن يقرر أنه لا ندّ له في الشعر إلا «شوقي» ، يقول :

لم أخش من أحد في الشعر يسبقني
إلا فتى ما له في السبق إلاه

إذ كان «**البارودي**» في خاتمة عمره ، و «**شوقي**» ذا صلة بالقصر ، و «**إسماعيل صبري**» بارزاً في شعر المقطوعات الصغيرة ، فحق له حينئذ أن يعتبر نفسه نداً لشوقي .

شعبية حافظ

فإذا ما أضفنا إلى ذلك حقيقة يذكرها الباحثون في صدد حديثهم عن جانب اجتماعي من حياة شاعرنا وهو «**شعبيته**» بكونه **شاعر الشعب** ، وبكونه يحزن لحزنه ، ويهتز للمناسبات : السياسية والوطنية والاجتماعية ، وللأحداث الإنسانية ، ويحنو على الضعفاء والبؤساء والمنكوبين والمشردين حتى ليقول عنه **مصطفى صادق الرافعي** : إنه لم يكن «إلا الصوت الإنساني الذي أُعِدّ ـ بخصائصه ـ للتعبير عن حوادث أمته» ـ إذا ما أضفنا ذلك ـ كان لنا أن نقف على حقيقة تفسّر لنا هذه الروح الشعبية عند «حافظ» .

وبذلك نقف على حقيقتين نصوغ تصور النقّاد لها في شكل تساؤلات ثلاثة هي :

حافظ ابراهيم

★ **لماذا آثر حافظ اللغة على المعنى فاهتم برواء الأولى وبهائها ولم يعبأ برحابة الثانية وعمقها ؟ .**

★ **لماذا كان «حافظ» شاعر الشعب ؟ .**

★ **لماذا كان شعره شديد الأثر في نفس سامعيه وقارئيه على سواء ؟ .**

الرثاء نصف الديوان

نسارع بإجابة موجزة عن هذا كله تتمثل في منهج «حافظ» في «**التواؤم الفني بين الكلمة والموقف**» .

وهو ما يفسر قضية اللغة عنده ، ويفسّر اتجاهه للشعب بشعره وفي شعره ، ويفسّر شدة تأثير شعره في جمهوره ، ذلك أن **تجربته الشعرية ـ كغيره من الأدباء ـ تفيض من نبعين** :

● **أولهما** : واد غامض مجهول لا نعرف عنه الكثير وهو «لا وعيه» أو **إفريقيا الباطنة** كما يعبر الكاتب الألماني «**جان باول**» ، ويستطيع مَن ألمّ بحياته البائسة الكادحة أن يتصور جانباً كبيراً منه ، ولعل هذا ما يفسر حرصه على «**الرثاء**» يقول :

إذا تصفحت ديواني لتقرأه

★ محمد سامي البارودي ★



وجدت شعر المراثي نصف ديواني

وهو فن من عظيم فنونه الشعرية ، كان معادلا موضوعياً لموقفه من الحياة والموت انتقل فيه من الخاص إلى العام دائماً ، ولم يكن دافعه إليه دافع مناسبات . بل دافعاً نفسياً ، ومن الناحية الإحصائية سنجد هذا الفن يحتل الجزء الثاني من ديوانه[3] ، وعثر شارحو ديوانه على بيتين سموهما «**مرثية وهمية**» ، يقول في أولهما :

إن الذي كانت الدنيا بقبضته
أمسى من الأرض يحويه ذراعان

للرثاء عنده منزلة فنية إذن يتقنه أيما إتقان لقوة حسه وعاطفته ، وشدة حبه لأصدقائه ، وشغفه بالإنسانية والإنسان ، حتى ليبلغ بمستمعيه وقارئيه مثل ما في نفسه من الحزن واللوعة على نحو لا يدانيه فيه كثيرون كما قرر «**طه حسين**» بحق[4] ، لأنه كان يرثي لأنه يحزن ، ويحزن لأنه يحب ؛ يحب الأفراد ، ويحب مصر ، فإذا رثى علماً فكأنما يرثي نفسه أولا وأمته ثانياً[5] ، وتجلى من ذلك أمثلة من بينها رثاؤه للإمام **الشيخ** «**محمد عبده**» ، وللزعيم «**مصطفى كامل**» وأضرابهما .

أما النبع الثاني ، فهو بسيط حاضر ، وهو «وعيه» ، ومن اختلاط هذين النبعين : النبع الغائب اللاشعوري ، والنبع الحاضر الشعوري ، تظهر تجربة «**اللفظ والمعنى**» عنده ، أو «المبنى والمعنى» كما يقولون ، وبذلك نجد أن شدة تأثر جمهوره بشعره لا يقتصر على «**الصدق الوجداني**» الواضح في حياته وسلوكه وشعره ـ كما هو معلوم ـ بل يتعدى ذلك إلى أنه يسلك بشعره طريقاً يوقظ فينا إحساساً بالعالم الذي يتمثله في رؤياه الشعرية ، وهذه الرؤيا تتمثل في «توظيف» اللفظ لتجسيد الموقف طموحاً إلى التعبير بالصورة حتى لنكاد ، ونحن نسمع شعره أو نقرؤه ، نحس كما أحس «**هاوسمان**» بعد سماعه الشعر :

«برجفة في السلسلة الفقرية ، وغصّة في الحلق ، ورسوب ماء في العينين» أو كما أحس «**إيميلي دكنسون**» بأن «قمة رأسه قد انتزعت» ! .

وقد عاقه ـ في تصوري ـ عن استكمال ذلك أمور منها :

قيام معظم شعره على الإلقاء جرياً على عادة أن الشعر يؤلف ليُلقى ، لذا كان «حافظ» متفوقاً على

«شوقي» في هذا الجانب، ولهذا نجد أن الصدى الوجداني لقصائد «حافظ» عند المستمع إليها أكثر من الصدى الوجداني عند من يقرأ شعره، أو يعيد قراءته. هناك يتلاحم الإلقاء مع منهجه اللغوي، وتجسيده الموقف؛ إذ تؤثر القصيدة كلها في سامعيها، أما في حالة القراءة وإعادة قراءتها فتجد أن ما يهزك من شعره هو ما يطمح لتصوير الموقف وتجسيده، وما عداه يأتي بارداً جامداً هامداً لا روح فيه، أو لا ماء ولا رواء فيه كما يقولون، ذلك أن إلقاءه لقصائده عامل ذاتي خارج عن القصيدة ذاتها، لأنه يضيف إلى مبناها ومعناها عوامل خارجية مؤثرة هي: التلفظ وطريقته، وطبقة الصوت وتنغيمه، وتوقيت الوقف وإحكامه، وتوزيع النبر والإيقاع.

الصورة في شعره

ومما عاقه عن إحكام التعبير بالصورة ـ أيضاً ـ خضوعه ـ وشعراء جيله ـ إلى بعض آثار السلف في الأعراف الشعرية، ولولا ذلك لاشتد طموحه إلى التعبير بالصورة، وهذا نصفها بالتواؤم بين الكلمة والصورة، وسنرى ـ فيما أحصيناه من وسائل التعبير عنده في شعره ـ **أن الغلبة في شعره تتمثل في تجسيد الموقف في شكل تصويري تتراءى فيه الحركة واللون والصوت والرائحة والحرارة والبرودة حتى في تهكمه وبساطته حين يتجه إلى خاله ـ الذي كفله صغيراً ـ مودعاً «بيته» ببيتيه الشهيرين التهكميين:**

ثقلت عليك مؤونتي ... إني أراها واهيهْ
فافرح فإني ذاهب ... متوجهٌ في «داهيهْ»

أو في هجائه رئيس فرقته بالسودان:

تراه إذ ينفخ في المزمار ... تحسبه في رتبة السردار

وفي الإلمام بمنهجه ما يفسّر لنا لماذا نظفر لديه ببعض الأبيات التي تأتي جامدة باردة كقطعة الثلج، وبالأبيات التي تتوالى دفّاقة زاخرة بالحياة والطاقة تهزنا هزاً ظن به بعض الباحثين الظنون فأرجعوه إلى بريق اللفظ وسحره، وليس الأمر ـ في تصوري ـ راجعاً إلى «**بيت القصيد**» عنده، أو إلى **الزخارف البديعية**، بل يرجع إلى تصوير الموقف وتجسيده في علاقة فنية مع الكلمة، وسنجد أن ما اشتهر وسار من شعره، وتناقله الناس وأذاعوه يحمل هذه السمة التصويرية[٦]. من ذلك قصيدته (**اللغة العربية تنعى نفسها**)، ونقف على بعض أبياتها التي تتجلى فيها هذه الظاهرة، يقول:

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي ... وناديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعقم في الشباب وليتني ... عقمت فلم أجزع لقول عداتي
ولدت ولمّا لم أجد لعرائسي ... رجالا وأكْفاءً وأدت بناتي
وسعت كتاب الله لفظاً وغاية ... وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق أسماء لمخترعات

ويقول في قصيدة (**حادثة دنشواي**) سنة ١٩٠٦م، بعد المطلع:

وإذا أعوزتكم ذات طوق ... بين تلك الربى فصيدوا العبادا (!)
إنما نحن والحمام سواء ... لم تغادر أطواقُنا الأجيادا (!)

. . . .

لا تقيدوا من أمة بقتيل ... صادت الشمس نفسه حين صادا (!)

. . . .

★ د. طه حسين ★



ليت شعري أتلك محكمة التفـ ... ـتيش عادت أم عهد نيرون عادا (!)
كيف يحلو من القوي التشفي ... من ضعيف ألقى إليه القيادا (!)
إنها مُثْلَة تشف عن الغيـ ... ـظ ولسنا لغيظكم أندادا

ثم يتهيأ لختام قصيدته بقوله:

لا جرى النيل في نواحيك يا مصـ ... ـر ولا جادك الحيا حيث جادا (!)
أنت أنبت ذلك النبت يا مصـ ... ـر فأضحى عليك شوكاً قتادا (!)
أنت أنبت ناعقاً قام بالأمـ ... ـس فأدمى القلوب والأكبادا (!)

. . . .

أنت جلادنا فلا تنس أنا ... قد لبسنا على يديك الحدادا (!)

ومن علامة التأثر التي وضعناها يتجلى هدف مهم لديه وهو النقد والتهكم والسخرية، والتحسر، ولم يكتف حافظ بدفقته الشعورية العاجلة، حين نشر هذه القصيدة بعد صدور الحكم بالشنق، والسجن بخمسة أيام أي في الثاني من يوليو (تموز) عام ١٩٠٦م، بل نظم ثانية بمناسبة استقبال **اللورد «كرومر»** الحاكم الإنجليزي إثر عودته بعد الحادثة، ونشرت في السابع عشر من أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٠٦م، ومنها قوله:

حسبوا النفوس من الحمام بديلة ... فتسابقوا في صيدهن وصوّبوا

وكتب الثالثة في استقبال خلف «كرومر» ونشرت في العاشر من أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٠٧م، ومنها قوله:

قتيل الشمس أورثنا حياة ... وأيقظ هاجع القوم الرقودا
فليت «كرومرا» قد دام فينا ... يطوّق بالسلاسل كل جيد (!)
ويتحف مصر آناً بعد آن ... بمجلود ومقتول شهيد (!)
لننزع هذه الأكفان عنا ... ونُبعث في العوالم من جديد

وواضح أيضاً استخدام التهكم والتحسّر هنا.

حافظ ابراهيم

وقد وقفنا على بعض الأبيات النازعة للتصوير ، وفيها يتجلى صدق شاعرنا في قصائد ثلاث رآها النقّاد آية على صدق عاطفة إذا ما قورنت بعاطفة شوقي الذي كتب قصيدة متكلفة بعد مضي عام على الحادثة فكان واصفاً من الخارج لا مستبطناً كحافظ من الداخل وحاول أن يحاكي « حافظاً » بقوله :

يا ليت شعري في البروج حمائم
أم في البروج منية وحمام

فجاء دون بيت حافظ : حسبوا النفوس من الحمام بديلة . . . إلخ . وانشغل شوقي بالمحسنات البديعية ، وكان تساؤله هامداً لا حياة فيه ، أما حافظ فأضاف إلى نزعته التصويرية صدقه ، وفوق ذلك واتته موهبته الفذة في التهكم والسخرية ، فتهكم بالمستعمر « ويكرومر » أيّما تهكم . وقد وهم بعض الدارسين فظن ذلك استعطافاً[7] ناسياً أداة التهكم في شعر « حافظ » .

وسنرى من الأبيات المختارة التالية صدق تجربة أجريناها على شعره ، إذ وقفنا على بعض شعره السائر ، أي ما اشتهر وذاع منه على ألسنة الناس ، وسنجد أنه خالف المألوف ، إذ قد ألفنا أن ما يلفت النظر في القصيدة : حسن مطلعها ، أو جودة ختامها ، أو بيت قصيدها ، أما مشهور أبيات « حافظ » فلم تطرد فيه هذه القاعدة . بل ما أفلح فيه في تصوير الموقف وتجسيده .

من مشهوراته

يقول للبارودي :

أمير القوافي إن لي مستهامة
بمدح ومن لي فيه أن أبلغ المدى
أعزّني لمدحيك اليراع الذي به
تخطّ وأقرضني القريض المسدّدا

وعن اللغة العربية :

أنا البحر في أحشائه الدر كامن
فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتي

وفي حريق ميت غمر سنة ١٩٠٢م :

سائلوا الليل عنهم والنهارا
كيف باتت نساؤهم والعذارى
كيف أمسى رضيعهم فقد الأ
م وكيف اصطلى مع القوم نارا

وقوله :

شبحاً أرى أم ذاك طيف خيال
لا . بل فتاة في العراء حيالي

وقوله :

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعباً طيب الأعراق

وهذه الأبيات ــ ومثلها كثير ــ مما اشتهر من شعر حافظ وشاع وتناقلته الألسنة ، لا لأنها « بيت القصيد » كما سنّ النقد القديم ، ولا لأنها من « الأبيات الملاح » كما قال **الزمخشري** ، ولكنها ذاعت لتحقق منهج حافظ في « المواءمة بين الكلمة والموقف » ، وفي كل بيت مما ذكرنا ــ وما لم نذكر ــ يحمل تجسيداً للموقف في تصوير فني دقيق .

وهكذا نصل إلى أن ميلاد الكلمة الشعرية عند شاعرنا نتيجة فنية لتجسيد الموقف وتصويره ، وأن فهم ذلك ودرسه يكون مبنياً على الأسس التالية :

● **كان ديوانه ماضياً في تطور فني ، وظهر الضعف اللغوي عائقاً عن تجسيد الموقف في مطلع عهده بالشعر** ، ولهذا كان رثاؤه فناً عظيماً ، لكنه كان ضعيفاً في أول عهده ، لا سيما ونحن نعلم أن **ثقافته غير نظامية ، وأنه**

★ الإمام محمد عبده ★



ثقّف نفسه بالمخالطة والمنادمة والمجالسة .

● **كان لقدرته على الإحساس بالشعب وآلامه ، وخبرته بالآلام والتعاسة خير معين له على قدرة التصوير من الداخل لا من الخارج** ، ونبع ذلك من حساسية مفرطة لديه .

● **بساطة تعبيره نابعة من بساطة حياته ، وبساطة تكوينه .**

● **ارتباطه بمستمعيه في المحافل ، والمجالس جعله ميالا إلى تنويع وسائل الخطاب والتعبير بين الخبرية والإنشائية** ، واستعمال النداء والأمر والنهي والاستفهام ، واستخدام ضمير المتكلمين ، وضمير المخاطبين ، وضمير الغائبين ، أي على نحو يغلب فيه الجمع على الإفراد ، وتلك سمة تعني ارتباطه بجمهوره ، وتعبيره عنه ، ومخاطبته إياه . ولمن شاء استقصاء ذلك في ديوانه .

وانتهاءً نقول .. لن نذهب مذهب طه حسين في الحكم بأن حافظاً وشوقياً أشعر أهل الشرق العربي ، وختام الحياة الأدبية الطويلة الباهرة ، وأشعر العرب في عصرهما . بل نقول إن حافظاً وجيله أسهما في بناء صرح النهضة الشعرية الحديثة .

الهوامش

(١) اقرأ عن حافظ إبراهيم : أحمد عبيد ، ذكرى الشاعرين . وطه حسين ، حافظ وشوقي ، وحسن كامل الصيرفي ، حافظ وشوقي ، وسامي الدهان ، شاعر الشعب ، ورفائيل مسيحة ، حافظ إبراهيم الشاعر السياسي ، والدكتور أحمد هيكل ، تطور الأدب الحديث في مصر (في صفحات عديدة) ، والدكتور شوقي ضيف ، الأدب العربي في مصر .
وأعداداً خاصة من : السياسة الأسبوعية ــ ١٩٣٢م ، وأبوللو ــ يوليو (تموز) عام ١٩٣٣م ، وديوانه في طبعة ١٩٣٩م ، وغيرها .

(٢) الشعر كيف نفهمه ونتذوقه ، ترجمة الدكتور محمد إبراهيم الشوش .

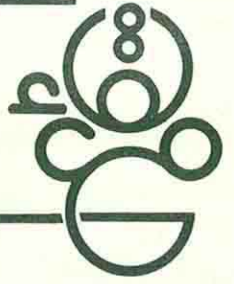
(٣) فيما يزيد على مائة صفحة .

(٤) حافظ وشوقي ، ص ١٥٤ . الخانجي بمصر ، والمثنى بغداد ، ١٩٥٦م .

(٥) نفس المصدر ، ص ١٥٥ .

(٦) طمح الشاعر للتجربة القصصية التصويرية ، فكتب (ليالي سطيح) ، وحاول تقديم ترجمة لأدب من « روسو » ، وللبؤساء على ما بالترجمة من عيوب (انظر حافظ وشوقي لطه حسين) .

(٧) عزيزة مريدان ، دراسة نصوص ، ص ٩٤ .





الإسلام والقرآن جعلا الإنسان هو السيد على الأرض

المستشرق
الياباني المسلم
د. شيروتا ناكاشيرو

أجرى الحوار:
احمد حامد

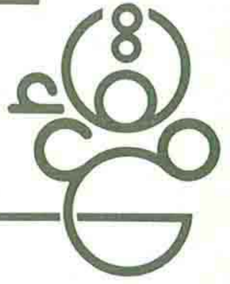


اللغة العربية

●● ما الذي دفعك للتعرف على اللغة العربية .. حتى أصبحت تتقنها قراءة وكتابة ؟!

● حب الاستطلاع هو بالدرجة الأولى ، الذي دفعني إلى ذلك ، فقد كنت مولعاً بالتعرف على قضايا العالم التي كنا لا نعرف عنها الكثير ، واخترت التعرف على مشاكل وقضايا الشرق الأوسط ، من خلال القصص والروايات العربية المترجمة لأدباء وكتاب المنطقة العربية .. باعتباري كاتب قصة ورواية .

لكني وجدت أن المترجم منها إلى اللغة اليابانية قليل جداً ، ولا يفيد ، ولا يشفي نهم



حب الاستطلاع في التعرف على القضايا بالمنطقة العربية ، من خلال الأدب . لذا . . آثرت أن أتعلم اللغة العربية ، حتى أنقل للقارئ الياباني ، العالم العربي ، والشرق الأوسط ، بشكل ما يحمل بين يديه ، حتى لا ينقطع عن العالم .

ولهذا . . التحقت **بجامعة العلوم الأجنبية ، في أميريكا** ، وكان حماس الشباب يملأني آنذاك . . حيث كان عمري ، ستة وعشرين عاماً ، ورحت أدرس في نهم وحب ، اللغة العربية ، وبعد أربعة سنوات من الدراسة المستمرة ، استطعت أن أقرأ وأكتب ، وأتحدث اللغة العربية ، وأكتب بها وأفهم ما بين سطورها .

حفظت القرآن

●● وهل استطعت أن تنقل للقارئ الياباني ، صورة حقيقية ، لما يدور في المنطقة العربية والشرق الأوسط؟!

● كتبت العديد من الدراسات والأبحاث ، عن قضايا الشرق الأوسط من خلال تعرفي عليها ، وحازت إعجاب القارئ الياباني ، على جميع المستويات . إلا أنني استطعت أن أقرأ الإسلام في كتب كثيرة ، وقدمته للقارئ الياباني الذي طلب المزيد ، مما جعلني أزيد قراءتي عن الإسلام ، وتاريخه منذ **البعثة المحمدية** حتى اليوم ، ووجدتني مشدوداً إلى التاريخ الإسلامي أكثر من أي شيء آخر ، وقرأت **القرآن الكريم** ، وقرأت تفاسير كثيرة للقرآن ، ورحت أقدمها للقارئ الياباني ، على صفحات الصحف والمجلات . . . ، التي أعطتني المساحة التي أريدها ، كي أكتب عن **الإسلام والقرآن وبني الإسلام** .

ووجدتني مشدوداً إلى الإسلام ، بشكل جعلني أحفظ **القرآن الكريم** ، وأقدم فيه تفسيرات من اجتهاداتي ، التي استطاعت أن تشد المسلمين في اليابان وغير اليابان ، حيث تعرفت على مسلمين كثيرين من شتى أنحاء العالم العربي والإسلامي .

وأصبحت مجيداً في الكتابة عن الإسلام ، والتحدث عنه ، فاختارتني الجامعة ، لأكون مدرّساً لتاريخ الثقافة الإسلامية ، وتاريخ الشرقين الأدنى والأوسط .

وأصبحت مهمتي أكثر جدية من ذي قبل ، إذ التف حولي عدد كبير من محبي الاستطلاع الذين يطلبون المعرفة ، ورحت أعطي كل ما أملك حتى إن تلاميذي أطلقوا عليَّ اسماً عربياً خالصاً ، وسبقوه بكلمة **الشيخ** ، وكنت سعيداً بذلك .

خمسة عشر عاماً

●● هل وصلت بدراستك للإسلام ، وحفظك للقرآن ، وتفسيرك المجتهد لسوره ، وتدريس التاريخ الإسلامي ، والثقافة الإسلامية ، عند هذا الحد فقط؟!

● ظللت على هذا الحال مدة طويلة ، وتزوجت يابانية ، ولم أكن مسلماً ، وأنجبت منها ثلاثة ذكور ، وعلى مر الزمن ، وبالتحديد بعد زواجي ، وجدتني مسلماً ، بيني وبين نفسي ، وآثرت أن أؤخر إعلان إسلامي مدة غير قليلة ، وبالفعل مرت سنوات خمسة عشر ، منذ عرفت الإسلام وقمت بتدريسه ، **وأعلنت إسلامي ، وجاهدت به** .

ولم أطلب من زوجتي وأولادي ، الدخول في الإسلام ، بل تركتهم يتعرفون عليه ، ويسألوني عنه ، ويروني أؤدي شعائر ديني الحنيف .

ولم أطلب ذلك من أحد ، ورغم ذلك ، وجدت من يتبعونني في اعتناق الإسلام ديناً ، كثرة هائلة ، وأصبح لي تلاميذ يسألونني عن الإسلام ، وكنت وما زلت أسعد بذلك .

الله . . والإسلام

●● قل لنا . . ما الذي عرفته في الإسلام ؟





★ المستشرق الياباني د. شيروتا ناكاشيرو مع فضيلة الشيخ احمد فرحات، إمام المسجد الحسيني بالقاهرة في المسجد ★

● وهنا ابتسم المستشرق الياباني المسلم، **الدكتور شيروتا ناكاشيرو..** ومرت لحظات راح يتأمل فيها السماء، وقال:

الإسلام.. هو الحب والسلام. وهو الله.

فالذي يعرف الإسلام، يجده خالياً من التعقيدات، بسيطاً، يدخل قلبك وعقلك، هادئاً، دون أن تجد ما يصده فيها، وهذه البساطة واضحة في تعاليمه وشريعته، وقرآنه الذي يعتبر بكل الحق، الإعجاز في البساطة والحب والسلام، حيث يوجد الله.

الجهل باللغة العربية

●● **إذن أنت تختلف عن أغلب المستشرقين الذين يفترون على الإسلام؟!**

● **المستشرقون على كثرتهم، لا يعرفون الإسلام على حقيقته، فالإسلام انتشر وما زال بقوة الحجة، والوحدانية التي انفرد بها.**

وقبل كل شيء، أريد أن أقول لك، إنني أسميت نفسي بعد إعلان إسلامي باسم «**السيد**»، واخترت هذا الاسم، ليسبق اسمي القديم، لأن **الإسلام والقرآن، جعلا الإنسان هو السيد على الأرض**، حيث تحمل الأمانة التي ناءت بها الجبال والطبيعة بكل ما تحمل.

وقد نلت درجة الدكتوراه عن «**الإنسان.. والقرآن**».

وقد شرفت بالسيد الذي حققته في الرسالة، فأسميت نفسي به.

●● **إذن ما الذي تراه في المستشرقين الذين لا يعرفون حقيقة الإسلام.. وإلى أي مدى سيظلون هكذا؟!**

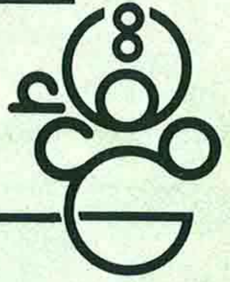
● سيظل المستشرقون هكذا.. لا يعرفون حقيقة الإسلام، ويقدمون بذلك تشوهات مقصودة، وغير مقصودة للدين الحنيف، باعتبارهم لم يقفوا على اللغة العربية، التي تعتبر المورد الحقيقي، للتعرف على الإسلام. **فالذي يود أن يعرف حقيقة هذا الدين العظيم، عليه قبل كل شيء أن يعرف العربية، ويغوص في أعماقها**، وبعد ذلك، لن يجد مقراً من أن **هذا الدين العظيم، يحمل بين طياته الحب والحقيقة في هذا العالم.**

وسيظل المستشرقون على حالهم هذا ــ والحديث ما زال للمستشرق الياباني ــ يحاولون عرقلة المسيرة الإسلامية، بعدم فهمهم للغة الإسلام، ولكن إلى المدى الذي يمكن أن يجدوا به ردوداً من علماء الإسلام، ما داموا لا يودون التعرف على اللغة العربية ليعرفوا، فعلى علماء الإسلام، أن يجدوا لهؤلاء الذين يقدمون افتراءاتهم، الإجابات التي تفند هذه الإفتراءات.

وهذا لن يأتي من فراغ، بل يجب أن يكون الرد عليهم نابعاً عن إيمان حقيقي بالرسالة المحمدية، وفهمهم الحقيقي للإسلام، وتفاسير القرآن.

دعاة لا يخدمون الإسلام

●● **أترى أن الدعوة الإسلامية،**





تمر بأزمة ، باعتبارك مسلماً منذ عشرين عاماً ، ومتعرفاً على الإسلام منذ خمسة وثلاثين عاماً ؟!

● أعتقد ذلك .. فدعاة الإسلام في البلاد غير الإسلامية ، غير مؤهلين تأهيلاً علمياً ولغوياً ، لمواجهة جماهير محبي الاستطلاع ، ولو أنهم عرفوا لغة القوم الذين يذهبون إليهم ، لدخل الإسلام قلوبهم وعقولهم ، لكني أعتذر إن قلت إن دعاة الإسلام في الدول غير الإسلامية ، شأنهم ، شأن المستشرقين ، وهم لا يخدمون الإسلام ، ولا يدعون إليه ، بل يشاركون بكل الأسف في هجمات المستشرقين بغير قصد .

كيف عرفت الله ؟!

●● أهذه هي المرة الأولى ، التي تزور فيها مصر ؟!

● زرت مصر كثيراً ، وأنا مولع بالصلاة في مساجدها ، ولن تكون هذه المرة هي الأخيرة .

ملاحظة : كنت أصلي والمستشرق الياباني المسلم ، بمسجد مولانا الحسين ، وبعد أن فرغنا من الصلاة ، طلب أن يلتقي بإمام المسجد ، وأخذته إليه ، وإمام المسجد الحسين هو فضيلة الشيخ أحمد فرحات ، الذي دار بينه وبين الدكتور شيروتا ناكاشيرو ، هذا الحوار :

● **الشيخ فرحات** : يا سيد شيرو .. كيف عرفت الله ؟ .

●● وحدة المسلمين في العالم كله .. ضرورة لإعلاء شأن الإسلام



★ **د . شيرو** : عرفت الله في قلبي ، وعقلي ، وكياني ، وفي الإسلام الذي آمنت به دارساً ، ومسلماً بعد ذلك .

● **الشيخ فرحات** : الله أكبر .. الله أكبر . أريد يا شيخ شيرو أن أسمع صوتك وأنت تقرأ القرآن .

وهنا تربع الدكتور المستشرق ، المسلم ، الياباني ، وراح يقرأ القرآن بصوت هادئ وجميل .

وبعد أن انتهى **دكتور شيرو** خرجنا ، تاركين **الشيخ فرحات** يهلل ويكبّر ، لإسلام الياباني المستشرق ويدعو الله له .

عودة القدس

●● كيف ترى الحلول لمشاكل وقضايا الشرق الأوسط والعالم العربي ؟!

● وحدة الكلمة ، ووحدة الصف ، ضرورة واجبة ، لحل كل قضايا ومشاكل الشرق الأوسط .

●● كيف ترى عودة القدس ؟!

● على المسلمين في شتى أنحاء العالم الإسلامي ، والعالم أجمع ، أن يتوحدوا لتعود القدس عربية إسلامية . ولا شيء غير ذلك ، تعود به القدس .

○○



بمناسبة الاحتفال بذكرى مرور خمسين عاماً

شوقي... والريادة الشعرية

بقلم: د. طه وادي

● إن شوقي لظاهرة أدبية مؤثرة في تاريخ الشعر العربي الحديث، وإن شعره لخلاصة مصفاة للتراث العربي.. شكلاً ومضموناً، بطريقة فنية، تصل القارئ العربي بكل موروثاته في مجال الحضارة والفن.

هناك من الشعراء العظام من يتجاوز حدود عصره وإطار مدرسته الأدبية ليصبح شاعراً خالداً، ومن هؤلاء الشعراء في الأدب العربي كثيرون أمثال امرئ القيس، وطرفة بن العبد، وعنترة بن شداد، وأبي نواس (الحسن بن هانئ)، وأبي الطيب المتنبي، وأبي العلاء المعري، وأبي فراس الحمداني وغيرهم من شعراء العربية الكبار في العصور الأولى والوسطى.. أما في العصر الحديث فلا إخال أحداً يبلغ هذه المنزلة سوى جبران خليل جبران، ومحمود سامي البارودي، وأحمد شوقي، وإبراهيم ناجي، وأخيراً بدر شاكر السياب، وصلاح عبد الصبور.



شوقي .. والريادة الشعرية

والذي لا شك فيه أن سر عدم ذيوع الأدب العربي بصفة عامة والشعر على وجه الخصوص، يرجع إلى تكاسلنا، نحن العرب، في ترجمة الأعمال الأدبية العظيمة في تراثنا إلى لغات عالمية، توضح دورنا الثقافي وتبرز وجهنا الأدبي مشرقاً عالياً.. وبهذه المناسبة فإني أتمنى أن تقوم **الجامعة العربية** أو إحدى بلادنا العربية بإنشاء **جهاز للترجمة من العربية وإليها**.. وهذا شجنٌ شرحه يطول...!.

ولنعدْ إلى موضوع حديثنا وهو أمير الشعر العربي **أحمد شوقي (١٨٧٠ ـ ١٩٣٢م)**.. الذي يعدّ **من أشهر وأشعر شعراء العربية في العصر الحديث**. وشوقي مثل **المتنبي** في أشياء كثيرة منها في البداية أن كليهما بدأ يقول الشعر في صباه، وأن شعر البدء عندهما وُلد ناضجاً مستوياً.. ومن أقدم شعره قصيدة نشرت **في الوقائع المصرية** في ٧ أبريل (نيسان) ١٨٨٨م، ومطلعها:

همُ الملوك علوُّها لا يُنكرُ
والخير يَلقى والمآثر تُذكر

ومما يثير العجب في نشأة شوقي أنه درس الحقوق في **مصر** (**١٨٩٠م**)، ثم سافر في بعثة لمدة ثلاث سنوات إلى فرنسا ليحصل على دبلوم في الترجمة. **وهذا يعني أن الهواية والعبقرية لا صلة لها بالتعليم المدرسي أو التدرّج الوظيفي**.

لقد كان **شوقي** وفياً للعربية والعروبة.. فقد حفظ القرآن الكريم في السادسة من عمره في «**كُتّاب الشيخ صالح**» ثم درس قواعد اللغة والأدب على يد عالمين فاضلين من علماء عصره هما: الشيخ **حسين المرصفي** صاحب كتاب «**الوسيلة الأدبية**» وهو يعدّ أول كتاب نقدي في العصر الحديث، والرجل الثاني هو الشيخ **عبد الكريم سلمان**.. بالإضافة إلى أن **شوقي** حفظ كثيراً من الشعر القديم وقرأ ديوانه كله تقريباً، بل الأعجب من هذا أن **شوقي كان يحفظ بعض المعاجم عن ظهر قلب مثل «لسان العرب» لابن منظور**.


★ المتنبي ★


★ صلاح عبد الصبور ★

كل هذه الروافد الثقافية واللغوية بالإضافة إيمان شوقي القوي بالإسلام والعروبة، جعله في كل ما كتب يصدر عن مزاج عربي أصيل وعن لسان عربي متين، لذلك يفتخر كثيراً بأن شعراء العربية أفضل من شعراء الفرنسية. وقد ظل مقتنعاً بهذا حتى آخر حياته (١٩٣٢م) حين قال:

سائل بني عصرك هل منهمو
من لبس الإكليل بعد الكليل
وأيهم كالمتنبي امرؤ
صوّاغ أمثال عزيز المثيل
والله ما «موسى» وليلاته
وما «لمرتين» ولا «جرزيل»
أحق بالشعر ولا بالهوى
من قيس المجنون أو من جميل

● ● ● ●

تراث شوقي

وحين نحاول أن نستعرض آثار شوقي نجد أنه **ترك تراثاً عريضاً في النثر الفني والرواية.. وفي الشعر الغنائي والمسرحي**.

أ ـ تراثه النثري:

● عذراء الهند أو تمدّن الفراعنة، **رواية نثرية** ١٨٩٧م.

● لادياس أو آخر الفراعنة، **رواية نثرية** ١٨٩٩م.

● دل ويتمان، **رواية** تعد الجزء الثاني للرواية السابقة ١٩٠٠م.

● ورقة الآس أو النضيرة بنت الضيزن، **رواية** ١٩١١م.

● شيطان بنتاؤور، **حكاية على أسلوب المقامة** ١٩٠٠م.

● أسواق الذهب، **كتاب نثري يشتمل على موضوعات أدبية مختلفة بأسلوب نثري مسجوع، ويبدو أن شوقي متأثر فيه بأسلوب الزمخشري في «أطواق الذهب» والأصفهاني في «أطباق الذهب»** ١٩٣٣م.

ب ـ تراثه في الشعر الغنائي:

● **الشوقيات: ديوان** يشتمل على الكثير من شعر شوقي ويقع في أربعة أجزاء، تبدأ بمقدمة **لمحمد حسين هيكل**، بعد أن أُسقطت المقدمة العظيمة التي كتبها **شوقي** في الطبعة الأولى للشوقيات.

● **دول العرب وعظماء الإسلام: أرجوزة أو ملحمة شعرية** تناول فيها شوقي تاريخ الإسلام ورجاله حتى نهاية العصر الفاطمي، لأن شوقي فيما يبدو كان يُعدّ هذه المرحلة نهاية الحكم العربي الخالص. وقد كتب شوقي هذه الملحمة أثناء وجوده في إسبانيا (١٩١٤ ـ ١٩١٩م)، لذلك تأثر فيها بالشاعر الأندلسي

«لسان الدين بن الخطيب» في أرجوزته «رقم الحلل في نظم الدول» وقد نشرت عام ١٩٣٣م.

● **الشوقيات المجهولة**: وهي كتاب في مجلدين، جمع فيه المرحوم **الدكتور محمد صبري الربوني**.. كثيراً من شعر شوقي الذي أسقطه من ديوانه، وبعض شعره الذي نشره دون توقيع منه، والكتاب به بعض تجاوزات، لأنه نسب فيه لشوقي بعض قصائد ومقالات ليست له، وقد صدرت سنة ١٩٦١م.

جـ - تراثه في المسرح الشعري والنثري:

● **مصرع كليوباترا**: مسرحية شعرية ١٩٢٧م.

● **مجنون ليلى**: مسرحية شعرية ١٩٢٨م.

● **عنترة**: مسرحية شعرية ١٩٣٠م.

● **علي بك الكبير**: مسرحية شعرية ١٩٣٠م. وقد سبق أن نشرت سنة ١٨٩٣م.

● **قمبيز**: مسرحية شعرية ١٩٣٠م.

● **الست هدى**: مسرحية شعرية.. وهي الملهاة الوحيدة التي كتبها شوقي، وهي قريبة في مضمونها من مسرحية لم يكملها شوقي من قبل بعنوان «**النجلية**».

● **أميرة الأندلس**: وهي المسرحية النثرية الوحيدة في تراث شوقي، وقد كتبها من قبل أثناء النفي، لكنه أعاد كتابتها من جديد.

مضامين شعر شوقي

حين نتأمل شعر شوقي باحثين فيه عن (**رؤية قومية**)، فإن ديوانه كله يعبّر عن ذلك بشكل واضح.. فقد تغنّى شوقي بالإسلام ورسوله والحضارة الإسلامية في أكثر من قصيدة وفي أكثر من مناسبة.. من ذلك قوله في قصيدة بعنوان «**ذكرى المولد النبوي**».

نبيُّ البرِّ بيَّنَهُ سبيلاً ... وسنَّ خلاله وهدى الشِّعابا

تفرَّق بعد عيسى الناسُ فيه ... فلما جاء كان لهمْ متابا

وشافي النفس من نزعات شرٍ ... كشافٍ من طبائعها الذئابا

وكان بيانُه للهدي سُبْلاً ... وكانتْ خيْلُه للحق غابا

وعلّمنا بناءَ المجد حتى ... أخذْنا إمْرةَ الأرض اغتصابا

وما نيل المطالب بالتمنّي ... ولكن تُؤخَذُ الدنيا غِلابا

وما استعصى على قوم منالٌ ... إذا الإقدام كان لهم ركابا

وفي قصيدة أخرى بعنوان «**إلى عرفات الله**» يصف فيها مناسك الحج وأماكنه الطاهرة قائلاً:

إلى عرفات الله يا خير زائرٍ ... عليك سلام الله في عرفاتِ

ويوم تُولّي وجهة البيت ناضراً ... وسيم مجال البِشْر والقسماتِ

على كل أفقٍ بالحجاز ملائكٌ ... تَزُفُّ تحايا الله والبركاتِ

إذا حُديتْ عيسُ الملوك فإنهم ... لعيسك في البيداء خير حُداةِ

لدى «الباب» جبريل الأمين براحه ... رسائل رحمانية النفحاتِ



★ بدر شاكر السياب ★



★ الدكتور محمد حسين هيكل ★

وفي الكعبة الغرّاء ركن مرحّبٌ ... بكعبة قُصّادٍ وركن عُفاةِ

وما سكبَ الميزابُ ماءً وإنما ... أفاض عليك الأجرَ والرحماتِ

و«زمزم» تجري بين عينيك أعيناً ... من الكوثر المعسول مُنْفجراتِ

ويرمون إبليس الرجيم فيصْطلي ... وشانيك نيراناً من الجمراتِ

يُحيِّيك «طه» في مضاجع طُهْره ... ويعلم ما عالجتَ منْ عقباتِ

ويُثني عليك «الراشدون» بصالحٍ ... وربَّ ثناء من لسان رُفاتِ

لك الدين يا ربَّ الحجيج جمعْتَهم ... لبيت طهُور السَّاح والعرصاتِ

ويتحدث شوقي عن **القرآن**، وعن أمة الإسلام، في قصيدة طويلة له بعنوان «**كبار الحوادث في وادي النيل**» ومما جاء فيها:

تلك آي الفرقان أرسلها اللـ ... ـه ضياءً يهدي به من يشاءُ

نسختْ سنَّة النبيّين والرسـ ... ـل كما ينسخُ الضياءَ الضياءُ

وحماها غُرٌّ كرامٌ أشدّا ... ءُ على الخَصْم بينهم رُحماءُ

أمةٌ ينتهي البيانُ إليها ... وتؤولُ العلومُ والعلماءُ

وفي **قصيدة أخرى يتحدث عن فضل**





شوقي .. والريادة الشعرية

العلم والتعليم وأهميتها في تطور الأمم والشعوب فيقول :

سبحانك اللهمَّ خيرَ معلِّم
علمتَ بالقلم القرون الأولى
أخرجتَ هذا العقل من ظلماته
وهديته النور المبين سبيلا
وطبعته بيد المعلم تارة
صدئ الحديد وتارة مصقولا
أرسلت بالتوراة موسى مرشداً
وابن البتول فعلّم الإنجيلا
وفجّرت ينبوع البيان محمّداً
فسقى الحديث وناول التنزيلا

وفي نهاية قصيدة « **نهج البردة** » يناجي **الله سبحانه وتعالى** بأن يلطف بالمسلمين ، ويوحّد بينهم ، ويزيل ما هم فيه من ضعف ومحن فيقول :

يا ربّ هبتْ شعوبٌ من منيَّتها
واستيقظتْ أممٌ من رَقْدةِ العدَم
فالطفْ لأجل رسول العالمين بنا
ولا تزد قومه خسْفاً ولا تسُم

وخلاصة ما نودّ التأكيد عليه في هذا المجال أن شوقي لم يترك مناسبة دينية أو شخصية من شخصيات الإسلام في القديم أو الحديث إلا وكتب فيها شعراً عذباً . . فقد وهب شوقي نفسه للتعبير عن دينه وعن قوميته ، **من هنا لا نقرر سوى الحق والحقيقة عندما نقول إن شوقي شاعر قومي الهوى والعقيدة ، وإنه كان أعظم من تغنّى بتاريخ الإسلام ورسوله وحضارته في العصر الحديث .**

كذلك فإن شوقي لم يكن الصوت الباكي والمبكي والداعية والمرشد فيما يتصل بمصر فقط من أحداث ، بل كان يصوّر كل ما يدور في الشرق العربي من أحداث وخطوب ، وكل ما يطرأ من مناسبات وقضايا ، من ذلك قصيدته الشهيرة في وصف **نكبة دمشق (١٩٢٦ م)** بعد أن اعتدى عليها المستعمرون الفرنسيون والتي يقول في مطلعها :

سلام من صبَا بردى أرَقُّ
ودمعٌ لا يُكَفْكَفُ يا دمشقُ
ومعذرة اليراعة والقوافي
جلال الرُّزْءِ عن وصف يُدقُّ

إلى أن يقول :

لحاها اللّهُ أنباءً توالتْ
على سمع الوليّ بما يَشُقُّ
يفصّلُها إلى الدنيا بريدٌ
ويجْمِلُها إلى الآفاق بَرْقُ
تكاد لروعة الأحداث فيها
تُخالُ من الخرافة وهي صِدْقُ

. . . .

نصحْتُ ونحن مختلفون داراً
ولكن كلُّنا في الهمِّ شَرْقُ
ويجْمعنا إذا اختلفتْ بلادٌ
بيانٌ غيرُ مختلف ونُطْقُ

كذلك يُعد شوقي أعذب صوت وأصدقه في التعبير عن الحس الوطني ، ولعلّ من أصفى شعر الحنين إلى الوطن في ديوان شوقي وأكثره تأثيراً في النفس ما قاله أثناء وبُعيْد نفيه إلى إسبانيا في المدة من سنة ١٩١٤ ـ ١٩١٩ م .

من ذلك قوله :



★ لامارتين ★

وطني لو شُغلتُ بالخُلْد عنه
نازعتني إليه في الخُلْد نفسي
شهد اللهُ لم يغب عن جفوني
شَخْصُهُ ساعة ولم يخْل حسّي

وفي قصيدة أخرى بعنوان **العودة من المنفى** ، يقول عندما هبط أرض مصر لأول مرة بعد النفي :

فيا وطني لقيتُك بعْدَ يأس
كأني قد لقيتُ بك الشبابا
وكل مسافر سيؤوب يوماً
إذا رُزقَ السلامة والإيابا

وعلى العموم فإن شوقي قد كتب في كل موضوعات الشعر تقريباً ، ولم يكدْ يغادر غرضاً من أغراضه إلا وأنشد فيها وغنّى وأغنى . . ولعل من أكثر شعره عذوبة ورقة ما لم نتحدث بعد عنه هنا وهو شعره (**الغزلي**) ، الذي يدور في إطار عاطفة الحب . وشوقي حينما يتحدث عن الحب والحبيبة **لا يفحش في الوصف أو التعبير ، وإنما يدور في إطار المثل السامية والمعاني النبيلة ، وليس في غزله ـ مع كثرته ـ ما يخْدش الحياء أو ما يُصرّح بمعنى أو صورة مبتذلة ، فغزله في جملته سواء أجاء في مقدمات قصائد أم في قصائد مستقلة ، يدور في إطار المعاني المثالية والصور العذرية للحب والمحبوبة .** من ذلك قوله في بداية مدائحه :

اللهُ في الخلق من صَبّ ومنْ عاني
تَفْنى القلوب ويبقى قلبك الجاني
صوني جمالك عنا إننا بَشَرٌ
من التراب وهذا الحُسْنُ روحاني

وفي قصيدة بعنوان « **زحْلة** » في لبنان جاء هذا الجزء الغزلي الذي يقول فيه :

يا جارة الوادي طربْتُ وعادني
ما يشْبهُ الأحلام من ذكراكِ

وفي قصيدة أخرى بعنوان «**بيني في الحبّ وبينك**» يقول فيها :

بيـــني في الحـــب وبينـــك مـــا
لا يقـــدرُ واشٍ يُفْسِدُهُ
مـــا بـــال العـــازل يفتـــح لي
بـــاب الســلوان وأُوصِـــدُهُ
ويقـــول تـــكاد تُجنُّ بـــه
فـــأقول وأوشـــك أعْبُدُهُ
مـــولاي وروحـــي في يـــده
قـــد ضَيَّعَها سَلمتْ يَـــدُهُ

إلى أن ينهي القصيدة مؤكداً حبّه للحبيب بقوله :

مـــا خُنْتُ هـــواكَ ولا خَطَرتْ
ســـلوىً للقلـــب تُبَرِّده

وهذه المقطوعة (**معارضة**) لقصيدة الشاعر الأندلسي **الحصري القيرواني** والتي مطلعها :

يـــا ليـــلُ الصـــبُّ مـــتى غَدُهُ
أقيامُ الســـاعة مـــوعدُهُ
أرقَ السُمَّارُ وأرّقَهُ
أسفٌ للبيْن يُـــردِّدهُ

شعر شوقي .. والتشكيل

كل الموضـوعات الـتي عبّر فيها شـوقي كان المحتوى الشعري يتشكّل من أفكار وصور ومعاني عربية خالصة مستمدة مـن (**الـتراث**) ، فـالتراث القديم بجميع روافده كان المعين الذي يستمد منه شوقي كل معانيه وصوره ، ولا تـأخذنا الـدهشة أحياناً إذ نجده يتحدث مثلاً عن موقف من مواقف التاريخ الفرعوني القديم فنراه يستلهم معاني عربية إسلامية لهذا الموقف بسبب مـن سيطرة الـتراث عليه ، **فهو مثلاً حين يصوّر في قصيدة (النيل)** زيارة الفراعنة لمقابر ملوكهم يستعير لهذا المشهد مثيلاً عربياً إسلامياً فيقول :

وإذا همُو حجُّوا القبـــور حسبْتَهمْ
وفْدُ العتيـــق بهـمْ تـرامى الأنيـــقُ



★ امرؤ القيس ★

يـــأتون طيبـــة بـــالهدي أمـــامهم
يغشى المدائـــن والقـــرى ويُطبِّقُ
وجـــرتْ زوارقُ بالحجيج كأنهـــا
رُقَـــطٌ تَدافعُ أو ســـهامٌ تَمْرُقُ

ليست المعاني عنده وحدها المستمدة من التراث العربي بجميع روافده التاريخية والأدبية والـدينية بـل إن مصادر الخيال ومنابع الصـورة في شعره أيضـاً كلهـا مستمدة من الـواقع الصحراوي العربي ومن مثاليات الشعر العربـي القـديم .. خـاصة في مـراحل التحضُّر الإسـلامية والعباسية والأنـدلسية . فـكل تشـبيه أو استعارة أو كناية عنـد شـوقي يسـهل ردّها إلى مثيل لهـا مـن الـتراث الشـعري العربـي القـديم .

فقصيدة شوقي التي يرثي فيها أمّه ومطلعها :

إلى الله أشكو من عـوادي النّوى سَهْماً
أصابَ سُـويداءَ الفـؤاد ومـا أصْمى
مـن الهـاتكات القلـب أول وهلـة
ولا داخلـتْ لحماً ولا لامَسَتْ عَظْما

فـالصور في هـذه القصـيدة ــ **على سـبيل المثال** ــ صدىً لصور أستاذه المتنبي الذي عارضه في هذه القصيدة وفي غيرها .

فإذا أضفنا إلى هذا سمة أخرى يشترك فيها شوقي مع أستاذه **المتنبي** وهي **البناء المعجز للجملة العربية** ، فلغة المتنبي وشوقي لغة ذات صفاء ونقاء ، بحيث يقدّم شعر كل منهما الصياغة المثلى لبناء الجملة العربية على مستوى المجاز والإعجاز ، **فمن أراد أن يتعلم العـربية لغة فعليه بالمتنبي وشوقي وغيرهما من شعراء العربية الفحول ، وإذا كان شوقي قد أخذ عن المتنبي جمال الصياغة فقد أخذ عن أستاذ آخر هو أبو عبادة البحتري إشراق الـديباجة وسـهولة العبـارة ومـوسيقية التعبـير** . وليس هـذان الشـاعران : المتنبي وأبو عبادة البحتري وحدهما فقط هما اللذان تأثر بهما شوقي ، فمن يدرس مجال (**المعارضة**) في شعره وفي مسرحه تتضح له البنانوراما الواسعة لشعراء العربية التي تغذى عليها شوقي واستمدّ منها عروبة الفن .

وهذا ما يقرّب شعر شـوقي إلى اليـوم إلى الوجدان العربي .. وهـو الـذي جعـل شعـراء العربية يجمعـون على مبـايعته **أميراً للشعـر العربـي** سنة ١٩٢٧ م .

غاية ما نريد أن نؤكده بالنسبة لشوقي أنه أصبح (ظاهرة) أدبية مؤثرة في تـاريخ الشعر العربـي الحديث ، وأن شعره قـدم ــ ولا يـزال ــ للقـارئ العربـي خـلاصة مصفاة للتراث العربـي : شكلاً ومضمونـاً بطريقة فنية تصل القـارئ العربـي بكل موروثاته في مجال الحضارة والفن .



الصناعة النحوية بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى

لا شك أن للصناعة النحوية قوانين وأصولا خاصة بها . وهي قائمة في أساسها على علاقات لفظية معيّنة . وعلى الرغم من أن النحوي لا بد أن ينظر إلى المعنى في وضع قواعده وأصوله فإن اعتماده على المعنى كان محدداً وبقدر معين وبشكل لا يسيء إلى الصناعة النحوية ولا يخرج عن قواعدها . ولقد تطرقت إلى هذا الموضوع في عدة مناسبات ومواقع . ولكن تلك المعالجات لم تكن كافية في إعطاء نظرة محددة إلى هذا الموضوع . وذلك إما لأنها كانت أبحاثاً ضافية ، وإما لأنها كانت إشارات خاطفة . فلا الأبحاث الضافية ولا الإشارات الخاطفة بقادرة على تقديم الصورة الواضحة عن أفكاري وآرائي بهذا الصدد . ولذلك أحببت أن ألمَّ بالموضوع إلمامة شاملة تلمُّ بشوارده وتجمع أطرافه ، فتجعله بارز المعالم واضح الحدود في ذهن القارئ الراغب في الاطلاع على حدوده وأبعاده .

بقلم : د. جميل علوش

وسرُّ الإشكال في هذه القضية الاعتماد الكامل على المعنى والانفلات من قيود الصناعة النحوية . فالمبالغة في الجري وراء المعنى وتحكيم هذا المعنى في صياغة القواعد النحوية كان لا بد أن يجر إلى الخلل والفوضى والخروج عن روح الصناعة النحوية التي تعتمد على اللفظ كما أسلفنا .

ومن المواضع التي يخرج فيها المعربون عن حدود المقبول في تتبع المعنى والاعتماد عليه **موضوع الفاعل** . فكثير من الدارسين لا يفرقون بين الفاعل في المعنى والفاعل في الصناعة الإعرابية إذ إنهم يجعلون المضاف إليه فاعلاً في نحو : اقترافُ زيدٍ الذنْبَ وقراءةُ خالد الدرسَ . فكل من « الذنبَ » و « الدرسَ » هنا مفعول به . وهذا لا خلاف عليه ولكنهم يتوهمون أنه لا يمكن أن يكون مفعول به إلا إذا كان ثمة فاعل . فيعتبرون كلاً من زيد وخالد فاعلاً . ويزعمون أن هذين اللفظين مجروران لفظاً مرفوعان محلاً . ومن المعروف أن الحديث عن اللفظ والمحل لا يكون إلا في حالة الاسم المبني والاسم المجرور بحرف الجر الزائد فضلاً عن إعراب الجمل . وفي الجملتين السابقتين جاء الفاعل إسماً معرباً فكيف يجوز إذن الحديث عن اللفظ والمحل ؟ . أما أن يكون كل من « زيد » و « خالد » فاعلاً في المعنى فهذا ما لا قيمة له ، لأن الفاعل في المعنى لا يترتب على وجوده شيء في الصناعة النحوية .

الفاعل في المعنى والصناعة النحوية

وقد أشار النحاة إلى عدة مواضع يجيء فيها اللفظ فاعلاً في المعنى دون أن يكون فاعلاً في الصناعة النحوية . فمن تلك المواضع ما يلي :

(١) **التمييز** في مثل قولهم تفقأ الكبش شحماً ، وتصبب الجسم عرقاً ، وتفجرت الأرض عيوناً[١] . فالتمييز في هذه المواضع كلها فاعل في المعنى لأنه منقول عن فاعل وهو مع ذلك تمييز منصوب .

(٢) **التمييز** الواقع بعد اسم التفضيل في نحو : زيدٌ أكرمُهم أباً[٢] . فالتمييز هنا فاعل في المعنى لأنه في تقدير « كرُمَ أبوه » ولكنه تمييز في الوظيفة .

(٣) **الحال** في نحو : جاء زيدٌ راكباً . فالحال هنا فاعل في المعنى ، كما ذكر أبو علي الفارسي[٣] .

(٤) **اسم الأحرف المشبهة بالفعل ،** وذلك في مثل قول الشاعر :

كأنّهُ خارجاً من جنب صفحته
سفّودُ شَرْبٍ نسوه عند مُفتأدِ

قال صاحب **خزانة الأدب** في التعليق على هذا البيت : إنَّ خارجاً حال من الفاعل المعنوي وهو الهاء لأن المعنى يشبه خارجاً[٤] .

(٥) **المبتدأ إذا كان الخبر فعلاً** نحو : خالدٌ حضرَ وزيدٌ جاءَ فكل من « خالد » و « زيد » فاعل في المعنى وإن كان مبتدأ في الوظيفة . واعتماداً على المعنى هذا أجاز **الكوفيون** أن يتقدم الفاعل على الفعل أو الصفة في مثل قول الشاعر :

ما للجمال مشيُها وئيداً
أجندلا يحملن أم حديدا ؟

فقد جعلوا « مشيُها » هنا فاعلاً للصفة المشبهة « وئيداً » على الرغم من تقدمه عليها[٥] .

(٦) **بعد أفعل التعجب** في نحو قولنا : ما أحبّه إليّ . ضمير الغائب هنا مفعول به في المعنى وضمير المتكلم فاعل بعكس قولهم : ما أحبّه لي فضمير الغائب هنا فاعل في المعنى وضمير المتكلم مفعول به[٦] . ولكنَّ الإعراب يختلف عن ذلك كله إلا في المثال الأول حيث جاء ضمير الغائب مفعولا به في المعنى وفي المحل .

ونستطيع أن نعرض مواضع أخرى يكون فيها **اللفظ فاعلاً في المعنى** وإنْ كان تمييزاً أو حالاً أو مجروراً بالحرف في الصناعة النحوية . وهو لا يذكر إلا لغايات معنوية بحتة كالرغبة في الإيضاح أو الموازنة أو تحديد العلاقات في الجملة .

ولو توقف الأمر عندَ هذا الحد لهانَ الأمر ولكنَّ دارسي النحو يتورطون في مزالق أكبر من هذه وأخطر حين يرتبون على كون اللفظ فاعلاً

في المعنى تخريجات عجيبة عندما يصفون هذا اللفظ المجرور لفظاً الفاعل معنى أو يعطفون عليه على المحل حسب زعمهم ، فيقولون مثلاً : سرّني قدومُ زيدٍ وعمرو . بجر زيدٍ على الإضافة وهو صحيح ورفع «عمرو» على محل «زيد» الذي هو فاعل في المعنى[٧] .

ولقد أنكر هذا الاستعمال بالاتباع على المحل كل من **سيبويه وابن جني وابن هشام** . وأكّد ابن هشام أنّ حذاق النحاة يمنعون هذه المسألة لأسباب عرضها في مغني اللبيب[٨] ، فلم يبق إذن مجال للقول بصحة الاتباع على المجرور بالرفع بل إن الاتباع بالرفع على المجرور هو من قبيل العطف على التوهم الذي لا تجيزه شروط الكلام الفصيح ولا تقبله قواعد العقل والمنطق . لقد آن لدارسي النحو أن يعلموا أن الفاعل في الصناعة النحوية لا يمكن أن يوجد حتى تنعقد عملية الإسناد الذي هو علة الرفع في الفاعل . أمّا أن يكون فاعلاً بلا إسناد فشيء مستحيل . فالإسناد هو علة الفاعلية بدليل أنَّ المفعول به إذا ما أسند إليه ارتفع كما يرتفع الفاعل فنقول : كُشِفَ السرُّ . فالسرُّ هنا مرفوع لأنه نائب فاعل على الرغم من أنه مفعول به في المعنى . مما يدلُّ على أنَّ المعنى لا يقرر الوظيفة الإعرابية .

هذا في المرفوعات ، أمّا في المنصوبات فالشأن أدمى وأخطر . ونستطيع أن ندلل على ذلك في ثلاثة مواضع :

١ ـ التمييز

حيث يخرج فيه النحويون من النصب إلى الجر بالإضافة ثم إلى الجر بالحرف . ويصرون على أن اللفظ في حالة نصبه وجرّه بالإضافة وجرّه بالحرف تمييز ؛ وذلك في نحو قوله : اشتريت رطلاً عنباً واشتريت رطلَ عنبٍ واشتريت رطلاً من عنب[٩] . وهم يصرّون في كتب النحو على أنّ «عنباً» بالنصب و «عنب» بالإضافة و «من عنب» على الجر بالحرف ، يصرّون على أنَّ عنباً في حالاتها الثلاث تمييز . ومن المعروف أن التمييز يجيء منصوباً وأنّ ما جاء مجروراً ليس تمييزاً أو إن كان تمييزاً في المعنى ، فالمعنى كما قلنا لا يحدد الوظيفة الإعرابية .

ومن هذا القبيل ، حديثهم عن **تمييز «كم» الاستفهامية و «كم» الخبرية** . أمّا «كم» الاستفهامية فلا شك أن الاسم الواقع بعدها يكون منصوباً على التمييز . ولكن «كم» الخبرية يكون الاسم الواقع بعدها مجروراً على الإضافة . فما علاقة التمييز بالموضوع ؟ بل ما قيمة التمييز في المعنى إن كانت حجّتهم أنه لذلك أعرب تمييزاً ؟ .

أليس مما يدعو إلى الفوضى أن يكون التمييز تارة منصوباً وطوراً مجروراً بالإضافة وطوراً آخر مجروراً بالحرف ؟ وإذا كان التمييز يُعَدُّ في المنصوبات ، وإذا كانت كتب النحو تذكر أن التمييز حكمه النصب ، فكيف نقنع الطالب بعد ذلك أن التمييز قد يجيء مجروراً ولا سيما بعد الأعداد والمقادير ؟ كيف يقبل الطالب أن تكون المعدودات بعد العدد المفرد مجرورة على التمييز والتمييز منصوب ؟ . وذلك في نحو : ثلاثة رجال وأربعة كتب وخمسة دواوين إلخ . . . ولذلك نرى أن نقرر أن التمييز لا يكون إلا منصوباً وأنَّ ما وقع مجروراً بالإضافة أو بالحرف ليس له علاقة بالتمييز ولا فائدة من إعرابه تمييزاً . فالكلمة الواحدة لها إعراب واحد في الموقع الواحد وبتقدير واحد . وقد يكون لها إعراب آخر بتقدير آخر .

وعلى هذا الأساس يمتنع من الآن فصاعداً الحديث عن التمييز بعد «كم» الخبرية و «كم» الاستفهامية فلكل حادث حديث . بل ينبغي أن نقول : الاسم الواقع بعد «كم» الاستفهامية يكون منصوباً على التمييز والاسم الواقع بعد «كم» الخبرية يكون مجروراً على الإضافة .

والسؤال هو : **هل جر الاسم الواقع بعد «كم» الخبرية مثلاً لأنه مجرور بالإضافة أم لأنه تمييز؟** الجواب الصحيح هو أنه جرٌّ لأنه مضاف إليه ، وإذا كان الأمر كذلك فما قيمة الحديث عن التمييز بالنسبة لاسم قد جرّ بالإضافة ؟ إن المسوغ لهذا الخلط هو عدم وضع الحدود بين تفسير المعنى وتقدير الإعراب . فماذا يفيد ذكر المعنى الذي يحمله المضاف إليه بعد أن نراه مجروراً بالإضافة ؟ أليس الحديث عن التمييز بعد ذكر الجر هو من الكلام الذي لا فائدة من ذكره . وإذا كان من غير الجائز إطلاق التمييز على ما يجيء مجروراً بعد المقادير والعدد وكناياته . فماذا نطلق على تلك الأسماء ؟ من الواضح أن تلك الأسماء ليست بحاجة إلى وظيفة ننسبها إليها لأنها كما ذكرنا مجرورة بالإضافة أو بالحرف . فالمقصود إذن البحث عن تسمية غير وظيفية لها لأن التسمية الوظيفية التي يتطلبها الإعراب موجودة وهي بالإضافة أو الجر بالحرف . وما دام الأمر كذلك فإنه من الجدير بنا أن نجد التسمية المناسبة لهذه الأسماء المجرورة .

ولنا أن نستفيد من خبرة المتقدمين في هذا الموضوع . فهذا **ابن الأنباري في «أسرار العربية»** يقول في حديثه عن «كم» الاستفهامية : فلهذا كان ما بعدها في الاستفهام منصوباً[١٠] . ويقول عن «كم» الخبرية : ولهذا كان ما بعدها مجرور في الخبر[١١] فابن الأنباري لم يقل «مميزها» أو تمييزها بل قال : ما بعدها . وقد سار على هذا المنهج **ابن الخشاب** أيضاً فقال في حديثه عن «كم» الاستفهامية : والمذكور بعد «كم» في الاستفهام منصوب على التمييز إن كان منكوراً[١٢] وقال عن «كم» الخبرية : هذا الاسم بعدها مجرور[١٣] . فقولها الاسم المذكور بعد «كم» أو الواقع بعدها أو الذي يقع بعدها أو يذكر ، كل ذلك صحيح ومناسب ومقبول وهو التعبير الذي يلتزمه النحاة الحذاق الذين يقدرون مطارح الكلام ويعرفون أبعاده .

وقد رأيت بعض النحاة يستخدمون لفظ «المبيّن» في مثل هذه الحالات . وعلى الرغم من أن المبيّن والتبيين والمفسر والتفسير والمميز والتمييز كلها مصطلحات مستخدمة في هذا المعنى . فإنه من الممكن أن نستخدم كلمة المبيّن في هذا الموضوع ، لأنها ليست متداولة ولا مشهورة مثل التمييز فلن يحصل من جرّاء استعمالها التباس كما لو استعملنا التمييز : فيكون المبيّن لما يدل على معنى والتمييز لما يدل على

وظيفة . ونخلص بذلك من كل إشكال ينشأ من استخدام التمييز في المنصوب والمجرور .

هذا اقتراح ؛ والاقتراح الآخر أن نستخدم لفظ المعدود والمكني بعد العدد وكناياته ، فالمعدود بعد الأعداد والمكني بعد كنايات العدد مثل «كم» الخبرية ، فلا نستخدم التمييز إلا لما حكمه النصب من الألفاظ التي تبيّن الأسماء المبهمة .

٢ ـ المفعول لأجله

يقول بعض النحاة : يجوز في **المفعول لأجله** إذا كان مصدراً مضافاً النصب والجر ، وذلك في نحو : تصدقت ابتغاء مرضاة الله أو لابتغاء مرضاة الله[١٤] والصحيح أن هذين أسلوبان جائزان في الاستعمال العربي . ولكنّ الخطأ يكمن في كيفية عرض هذا الجواز ، إنه من الخطأ أن نقول : إن المفعول لأجله يجوز فيه النصب والجر إذا كان مضافاً . والخطأ الكبير والشنيع هو اعتبار «ابتغاء» في حالة الجر مفعول لأجله دون شك ولكن أن تحتفظ بهذه الوظيفة في حالة الجر فشيء عجيب . إن المفعول لأجله كالتمييز منصوب ولا يمكن أن يكون مجروراً . فإذا جرّ أصبح مجروراً بالحرف ؛ وصار الحديث عن المفعول لأجله ضرباً من الخلط وعدم التمييز بين الوظائف الإعرابية .

ومن هذا القبيل الخطأ الذي يقع فيه بعض الدارسين أو المدرسين في إعراب هذا البيت :

وإني لتعروني لذكراك هزة
كما انتفض العصفور بلله القَطْرُ

فهم يعربون «لذكراك» مفعولاً لأجله مع أنها مجرورة باللام . ومن المعروف أنه يشترط أن يكون فاعل الفعل وفاعل المصدر واحداً . نقول : وقف الطالب احتراماً لأستاذه ، فالذي حَصَل منه الوقوف هو الذي حَصَل منه الاحترام . فهذا شرط أساسي في المفعول لأجله . أما في البيت السابق فالأمر يختلف عن هذا ففاعل «تعروني» هي «هزة» وفاعل «ذكراك» هو المتكلم . وإذا اختلف الفاعلان فاعل الفعل وفاعل المصدر لم يبق ثمة مسوغ لانتصاب المفعول لأجله .

ويبدو مما سبق أن إعراب «ذكراك» مفعولا لأجله هو ضرب من الخلط بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى . فإن «ذكراك» هنا مجرور باللام ، وهو مضاف وضمير المخاطبة في محل جر مضاف إليه ولا مكان للمفعول لأجله في البيت .

٣ ـ الاستثناء

يقع في هذا الموضوع كثير من الخلط الذي لا يقبله عاقل . فهم يجعلون **المستثنى** منصوباً حكماً ثم يروحون يحشدون تحت باب المستثنى المرفوع على البدلية والمجرور بالحرف والمرفوع على الفاعلية وهكذا[١٥] . وأحب أن أؤكد بهذا الصدد الحقائق التالية :

أ ـ أن المستثنى لا يكون إلا منصوباً .

ب ـ ما جاء بدلا في الجمل التامة المنفية في نحو : ما جاءنا أحد إلا زيداً أو زيدٌ . فزيد في حالة النصب منصوب على الاستثناء . ولكنه حين يرفع على البدلية لا يكون مستثنى البتة ؛ بل لا تبقى له علاقة بالاستثناء إلا من حيث المعنى فقط .

جـ ـ حين يقع الاسم بعد عدا أو خلا أو حاشا إذا جاء منصوباً اعتبر مستثنى وجاز لنا إدراجه في موضوع الاستثناء . أمّا إذا جاء مجروراً فالأجدر بنا وضع إشارة في الحاشية نردّه فيها إلى باب المجرورات .

د ـ أمّا غير وسوى فتنصبان على الاستثناء عند استيفاء شروط النصب . وأمّا ما يضافان إليه من أسماء فلا علاقة له بالاستثناء لأنه مضاف إليه في الإعراب لأن عمل الاستثناء وقع على غير وسوى .

هكذا ينبغي أن يعالج موضوع الاستثناء لا أن يخلط فيه المرفوع والمنصوب والمجرور والبدل . **فأيّ استثناء هو الذي يكون حكمه النصب في الأصل ثم نجد هذا الحكم وقد تنازعته أحكام أخرى حتى صرنا لا نعرف هل المستثنى منصوب أو مرفوع أو مجرور .**

لقد آن الأوان لأن نتوقف عن الحديث عن المستثنى في المعنى ، بل ينبغي أن نتحدث عنه باعتباره وظيفة إعرابية . وهو في هذه الحالة لا يكون إلا منصوباً ليس غير . أمّا حالاته الأخرى من اتباع أو جر أو حصر فهي حالات تمتُّ بصلة ضعيفة إلى موضوع الاستثناء كما فهمه النحويون . بل إن الحصر يمتُّ بصلة وثيقة إلى علم البلاغة .

ويبدو مما سلف أن تحكيم المعنى في تحديد الوظيفة الإعرابية عمل مضلل ، بل هو عمل غير علمي لأن الوظيفة الإعرابية تقوم على علاقات خاصة بين أجزاء الكلام . وهذه العلاقات قد تتفق مع المعنى وهذا هو الأصل ولكن الاتفاق مع المعنى ليس شرطاً لأن اللفظ يبقى هو الأساس في تحديد الحالة الإعرابية . وعلى هذا الأساس ينبغي لنا أن نلتزم الدقة في معالجة هذه القضايا وأن نقتدي بحذّاق النحاة كما يقول **ابن هشام** لا بأوساطهم ومغفليهم خدمة للنحو وحرصاً على عرض مسائله وقضاياه بكل وضوح وجلاء .

الحواشي

(١) جامع الدروس العربية : الشيخ مصطفى الغلاييني ، ج ٣ ، ص ١١١ . وانظر الأنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري ، ج ١ ، ص ١١١ ، ١٧٤ . وأسرار العربية لنفس المؤلف ص ١٩٦ .
(٢) شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم ، ص ١٣٨ وانظر حاشية العثبان ، ج ٢ ، ص ١٩٩ .
(٣) الإيضاح العضدي : تحقيق حسني فرهود ص ٢٠٣ .
(٤) خزانة الأدب ، ج ٣ ، ص ١٨٥ .
(٥) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام ، تحقيق الشيخ محيي الدين عبد الحميد ، ج ١ ، ص ٣٣٧ .
(٦) جامع الدروس العربية ، ج ١ ، ص ٧٠ ـ ٧١ .
(٧) جامع الدروس العربية ، ج ٣ ، ص ٢٨٠ .
(٨) مغني اللبيب . تحقيق الشيخ محيي الدين عبد الحميد ، ج ٢ ، ص ٤٧٥ . وانظر المرجع في اللغة العربية للشيخ علي رضا ، ج ١ ، ص ٧١ .
(٩) جامع الدروس العربية ، ج ٣ ، ص ١١٠ .
(١٠) أسرار العربية ، ص ٢١٥ .
(١١) نفس المصدر والمكان .
(١٢) المرتجل . تحقيق علي حيدر ، ص ٣١٧ .
(١٣) نفس المصدر والمكان .
(١٤) المرجع في اللغة العربية ، ج ٢ ، ص ٧٠ .
(١٥) انظر مثلاً جامع الدروس العربية ، ج ٣ ، ص ١٢٣ وما بعدها .



من المكتبة السعودية

يسعد مجلة «الفيصل» أن تفتح هذه النافذة الجديدة إلى جانب النوافذ الأخرى، للإسهام في تسليط الأضواء على الحركة الفكرية والأدبية والعلمية في المملكة العربية السعودية من خلال إصدارات الكتب العديدة في مختلف فروع المعارف الإنسانية.. وذلك لإيمانها بفاعلية هذا الاهتمام الهادف إلى مد جسور جديدة بين الحركة الأدبية والعلمية في المملكة، وبين القراء في الوطن العربي الكبير.

وقد استقطبت المجلة لتحقيق هذا الهدف أقلام النقاد والباحثين والدارسين في مختلف أقطار الوطن العربي.

ولكي نحقق ما نطمح إليه فإن الكتّاب والأدباء والمؤسسات الثقافية السعودية مدعوة للتعاون معنا بتزويدنا بنسخ من الإصدارات القديم منها والجديد.. والله الموفق.

● الكتاب: حصاد الكتب. عرض وتحليل ونقد.

● المؤلف: علي محمد العمير.

● الناشر: دار العمير للثقافة والنشر - جدة، ط١، (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ١١٩ صفحة.

قدم لنا المؤلف علي العمير في كتابه حصاداً لمجموعة من الكتب العربية.. وكلها لمؤلفين معاصرين ما عدا واحداً قديماً. وإنه لمن الصعب علينا في هذا المجال الضيق أن نلم بمحتويات تلك الكتب، أو نعرض شيئاً مما تناوله المؤلف عنها. وكل ما في مقدورنا هو أن نقف عند شخصية المؤلف في طريقة عرضه وتحليله ونقده.. بعد أن عرفنا ما هي الكتب التي عرضها: وهي الكتب التالية:

(الأغاني) لأبي فرج الأصفهاني، و(في شمال غربي الجزيرة) لحمد الجاسر، و(تاريخ المخلاف السليماني) لمحمد بن أحمد العقيلي، و(المعجم العربي.. نشأته وتطوره) لحسين نصار، و(الأدب العربي في آثار الدارسين) لعدد من الأدباء العرب، و(قصة الأدب في اليمن) لأحمد محمد الشامي، و(الحميني.. الحلقة المفقودة في امتداد عربية الموشح الأندلسي) لعبد الرحمن الرفاعي، و(في الأدب الجاهلي) لطه حسين، و(تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية) لعثمان حافظ، و(الصحافة في الحجاز: ١٩٠٨ - ١٩٤١م) لمحمد الشامخ، و(موجز تاريخ الصحافة في المملكة العربية السعودية) لمحمد ناصر بن عباس، و(أرض بلا مطر) لإبراهيم الناصر، و(أدب السجون) لعبد العزيز الحلفي، و(ذكريات في البادية) لحسن نجيلة.

وإن المؤلف لا يظل محصوراً - في اهتماماته الأدبية - ضمن إطار الكتاب السعودي، وإنما يخرج إلى دائرة الكتاب العربي الأوسع.

ولقد نشر المؤلف مقالاته عن تلك الكتب اللغوية والأدبية والتاريخية - كما هو مثبت في نهاية كل مقال من كتابه - في أوقات مختلفة، وفي الدوريات السعودية كمجلتي العرب واليمامة، وصحيفتي البلاد وعكاظ. وأكثرها كتبت عام ١٣٩٢هـ، ونُشرت في البلاد، بينما البقية في الأعوام: ١٣٨٦هـ، و١٣٨٧هـ، و١٣٨٩هـ، و١٤٠٢هـ، وهناك مقالات بلا تواريخ، ولا ندري: أنشرت من قبل أم لا؟!.

ويحاول المؤلف - من مقدمة الكتاب - أن يعرفنا بشخصيته. فيبدو أنه لم يحقق شيئاً في الحياة سوى ما اشتهر به الأدباء الذين احترفوا صحبة الكتب من بؤس وتعاسة.. ولم يحقق إلا الحد الأدنى مما حققه غيره في كثير من شؤون الحياة العامة، مع أنهم يقلون عنه شأناً.

وأول ميزة بارزة تصادفنا في كتابة المؤلف هي: الاستطراد قبل أن يتلمس موضوعه الرئيسي. حتى أنه أشار إليها في إحدى مقالاته، واعتبرها ليست مذمة: «ولقد استطردت كثيراً، وهذا الاستطراد يجرني إلى استطراد آخر... الاستطراد في الأدب العربي ميزة وليست مذمة» (ص ٦٤). ولكنها في النقد تظل غير مستحبة، خاصة وأن المؤلف في كتابه ارتأى له منهج العرض والتحليل والنقد، أي أن تسوده الروح النقدية لا الأدبية التي يمكن لها أن



★ علي محمد العمير ★

تستطرد مع تداعي الخواطر، والتذوق الشخصي.

ويبدو أن المؤلف متأثر بأسلوب الروّاد من النقّاد والأدباء وعلى رأسهم طه حسين الذي طبع على الاسترسال الفكري، والدوران حول الفكرة طويلاً قبل أن يلامسها. لذلك فقد يتخذ الاستطراد ـ عند المؤلف ـ شكلاً آخر من أشكال التلاعب أو التشقق الصياغي الذي لا طائل من ورائه.. كأن يقول: «فهل في هذا الرأي الحق كل الحق؟ أم هو الحق يشوبه شيء من الباطل؟ أم هو الباطل فيه شيء من الحق؟» ص (١٠١). فكان الاستطراد والنأي عن موضوع الكتاب الرئيسي ـ أحياناً ـ لا يبقيان له مجالا ليلمّ بكل جوانب الكتاب الذي يتهيأ لعرضه وتحليله.. وهذا ما يجعل قارئه جاهلاً الكثير من ذلك الكتاب.

وكان على المؤلف ـ وكل من يتصدى لعرض الكتب وتحليلها ونقدها ـ أن يقدم ملخصاً أو كشفاً لمحتويات الكتاب، تمنحا القارئ فكرة شاملة عنه ما كانت لتتوفر له بدونهما.

على أن المؤلف يضع أمام القارئ ـ مرة واحدة ـ فهرساً لمحتوى أحد الكتب التي عرضها، ويعترف بأنه خرج عن عادته، فيقول: «تلك هي محتويات الكتاب، وما كنت لأورد هذا الفهرس، وليس ذلك من عادتي في تقديم الكتب، لولا أن ذلك يدل أكبر دلالة على أهمية الموضوعات التي تطرق إليها الكتاب بالشرح والتفصيل بكل دقة» ص (٦٨). ومرة أخرى يعرض محتوى الكتاب [في شمال غربي الجزيرة] عرضاً خاطفاً.

ولكن المؤلف ـ فيما يبدو ـ مدرك تماماً كيف يتعامل مع القارئ، ومدرك ظروفه، وظروف العصر، وطبيعة الصحف السيارة.. فيقول فيما نحن بصدده: «عدت فقرأتها ـ دراسات كتاب الشامخ ـ من جديد، لأقدمها للقارئ في عرض موجز وتعليق سريع قدر ما يمكن، بل أقصى ما يمكن أن تطيقه جريدة يومية، رغم أن قارئ الجريدة لا يطيق في الواقع مثل هذه الدراسات» ص (٩٤).

ومن خصائص المؤلف أيضاً: الشخصية النقدية الحادة. وتتضح تلك الشخصية حين يتصدى لنقد ودحض آراء الآخرين بجرأة وثقة؛ وقد تصل به تلك الثقة إلى التجني على بعض الأعلام القدامى والمعاصرين، والتهجم بلا مبرر، ولا يخدم ذلك موضوعه.. خاصة وهو في موقف نقدي لتراث شامخ كالأغاني؛ لأن هيبة هذا التراث لا تجيز الهجوم على من يقدم على دراسته أو إبداء الرأي فيه، ولا تسيغه. فيقول عن بعض الأدباء الذين درسوا كتاب الأغاني إنهم: «يعتبرونه حجة من الحجج المطلقة.. خاصة فيما يسندونه من الروايات، فإن الروايات المسندة شيء فاتن في نظر كثير من أغبياء الباحثين أو المتأدبين أو أدعياء البحث والأدب..» ص (٢٤). كما يعتبر المؤلف هذا التطرف النقدي عين الصواب، لأنه ينطلق من روح المسؤولية والواجب.. إذ يقول: «قد يقول قائل: إن هذا تطاول مني على ابن خلدون وأمثاله.. أما أنا فأقول إنه لم يقتلنا في دراسة تراثنا وتاريخنا إلا شيوع تهمة (التطاول) بيننا، وإلا فما قيمة الرأي إذا لم يقف موقف النقاش مع ابن خلدون أو غيره» ص (٣٢).

وقد تقوده تلك الثقة أحياناً إلى إطلاق أحكام سريعة، يعوزها التمهل والتحقيق، كأن يقول عن كتاب الدكتور حسين نصار [المعجم العربي.. نشأته وتطوره] إنه «قد سد بذلك ثغرة لم يسبقه إليها غيره، وخطا خطوة في هذا الميدان الرحب لم يخطها غيره قبله» ص (٦٣). مع أن ثمة مواد دراسية جامعية مقررة في بعض الدول العربية منذ عشرات السنين باسم: [المصادر التاريخية والجغرافية واللغوية والأدبية]، وإن مادة [المصادر اللغوية] تبحث في المعاجم العربية وتطورها ومراحل تدوينها.. وهذه المادة الكثير من المصادر والمراجع.

ومن سمات شخصية المؤلف النقدية: اعتماده ـ في نقده ـ على أسس ذاتية



★ ضياء الدين رجب ★

تخضع لتأثره الشخصي وذوقه الخاص، لا على قواعد محددة من مناهج النقد الحديثة المتعددة.. لا سيما وهو في صدد نقد الفنون الأدبية كالقصة القصيرة. ولهذا فهو يعترف بافتقاره إلى الناحية الفنية لنقد القصة أو الرواية، فيقول: «إن ثقافتي عن مقومات القصة وهيكلها الفني وما يجب فيها وما لا يجب، ليست إلى هناك..» ص (١٠٠): ولكنه يمتلك قدرة نقد فكرتها أو مضمونها، فيطبق هذا على مجموعة قصص إبراهيم الناصر [أرض بلا مطر]، ويركز على دراسة: غرضها الاجتماعي، وبالتالي إقليميتها: التي ضرب لها الأمثلة من أدب توفيق الحكيم، ونجيب محفوظ، لكنه لم يصب جوهر القضية، إذ يحس القارئ كأن ثمة انفصاماً بين إقليمية الأدب، وشموله وعالميته أو إنسانيته.. مع أنه لا تعارض بينها، لأنه يمكن لكل أدب محلي أن يستحيل إلى أدب عالمي بمجرد توفر الصدق الفني، وعمق التجربة، وتألق التصوير، وحسن التناول، وغيرها، بغض النظر عن محليته.

وأخيراً إن قيمة الكتاب تتبدى في شخصية المؤلف النقدية البارزة، والذاتية العفوية، وتتضح من نماذج الحدة باللين، والعنفوان بالتواضع.

كما تتجلى قيمة الكتاب أيضاً في حرص المؤلف على أن يترك بصماته وانطباعاته إزاء الكتب المعروضة.. على شكل ملاحظات وأحكام، محاولا فيها التزام الصدق والتذوق والاقتناع.



● الكتاب: ديوان ضياء الدين رجب (شعر).

● الشاعر: ضياء الدين رجب.

● الناشر: تهامة - جدة - عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، (٤٥٦) صفحة قطع كبير.

في المقدمة الطويلة التي كتبها الشيخ محمد علي مغربي إشارات إلى أن هذا الديوان هو حصيلة شعر ضياء الدين رجب كله طول حياته، ونتيجة جهد وثقافة تكاملت بها الخصائص التي يجب أن تتوفر في كل شاعر كبير. وأكثر من هذا - فيما يقول الشيخ مغربي - عدّ الشاعر بتلك الحصيلة من أبرز شعرائنا العرب كافة قديماً وحديثاً. بل لقد امتلك هذا «النسق العالي من الشعر العربي في أزهى عصوره، ويتجلى ذلك في أسلوب الشاعر الذي يتمثل في تلك الصياغة الرائعة في اختياره للألفاظ وفي تناسق المعاني وتجانس الكلمات».

وتلك وجهة نظر لا أظن أن قارئ الديوان بمجموعاته الأربعة - الشعر الروحي والشعر الوطني والشعر الاجتماعي والشعر العاطفي - يأخذ بها بسهولة، بل لعل رفضه لها يكون دائماً وبكل تأكيد أقرب من قبولها. لأن القضية ليست الزعم بأن ثمة اختياراً للألفاظ وتناسقاً في المعاني يدلان - مع تجانس الكلمات وتلك نافلة - على أن الشاعر يرحمه الله «صاحب أسلوب متميز وفريد».

وهذا مشكوك فيه، لكن بغض النظر عن الفضفاضية والتوسع في إزجاء النعوت واستخدام أدوات الصياغة البلاغية على نحو غير مسؤول نحس أن مقدم الديوان أسرف في تطهير الشاعر - ربما لضعف ملكته النقدية - مع أنه فيما يكشف عنه ديوانه الضخم لا يتعامل إلا مع الأشياء، والمفترض أن أي شاعر حقيقي يتعامل أساساً مع الكلمات.

والكلمات بهذا المعنى هي المادة، وهي في تركيباتها الجملية كل البناء أو البنية بجميع مشتملاتها من مجازات ومعادلات موضوعية تترجم عن العواطف المنوط بها اللذة الفنية، فضلاً عن الإيقاع والفكر العاطفي والموسيقي.

فأين هذا كله ـ أو حتى بعضه ـ مما يقول الشيخ مغربي وقد ساق مجموعة من الأبيات حفظنا أفضل منها لشعراء آخرين ثم نسيناها لسلبيتها وعجزها عن الإفضاء والبوح «وليس أجمل من هذا الوصف للمساواة بين الناس في عرفات ، ولا أجمل من هذا الأسلوب الرائع المبدع في إشراق بيانه وشرف معانيه» .

سبحان الله ! .

وهل زعم زاعم أن الشعر أداء لغوي يرصد الملموس المنظور فيستغني عن رؤى المستور ، أو أن هذا من قبيل رفع الاتهام إذا عنّ لمحقق أن يبحث بين أقسام الديوان الشكلية عمن يكون الشاعر ولمن يتوجه بشعره وكيف .

ولسنا هنا نحب أن نسأل عن الشيخ القاضي والمستشار والمدرس ـ فهو معروف وله محبوه وزملاؤه ـ وإنما نحب أن نسأل عن قيمة شاعريته في إطار التعريف بماهية الشعر أساساً . وقديماً عاب ابن قتيبة المتوفي سنة ٢٧٦ هـ ، نتاج مَن هم كالشيخ القاضي واصفاً أشعارهم بأن ليس فيها شيء يجيء عن إسحاح وسهولة ، وفي رأس القائمة وضع الخليل بن أحمد مبتكر علم العروض ومؤلف الدوائر الخمس التي حصر بها زمر الأوزان .

أما إذا كان الشعر محاكاة للطبيعة على القاعدة الأرسطوطاليسية التي تعتمد المشاهدة والفانتازيا معاً ومن ثم يكون حقيقة فاعلة ، فإن شعر ضياء الدين رجب يتهاوى تحت الأذنين ، لأنه لا يتعمق النفس لافتقاده أسباب التعرف وأسباب المتعة معاً ! .

وأما إذا الشعر محاكاة لمشاعر الشاعر نفسه في معاناته الاجتماعية الإيجابية ، ومن ثم يكون رؤى خاصة تفرق بين الحقيقتين التاريخية والشعرية ، فإن شعر ضياء الدين ـ أيضاً ـ يهدر نصفه الذي يحتاج إلى دليل يثبت صحته من حيث إنه تاريخ ، وأما النصف الآخر فهو بلا فكر ، بلا فلسفة ، بلا موقف يحمل رفات العاطفة النابضة بالحياة .

ومع ذلك يشهد الله ـ وبقدر من التلطف واجب في هذا المجال ـ ثمة أشعار طيبة يستطيع الشاعر أن يطاول بها بعض شعراء جيله ومَن لم يزل تدخره الحياة لما يمكن أن تعترف به قلوبنا بأنه حقيقة مؤثرة ، من ذلك قوله :

وما أنا في شك من الحياة إنما
تعجبت هل للنار من جمرها ظل
أجل في اللظى عشنا وفي القلب جنة
لها شفق يزهو بجمرته النخل
وفي عنفوان الجدب تخصب لو بدت
بواد من النعمى يلج بها الوبل
أجل في حواشينا ترف خميلة
ربيعية الأنداء تزكو وتخضل

وتلك الأبيات من قصيدته «عندما يبكي العقل» وفيها يضطر الشاعر إلى أن ننصت له وإلى أن ننفعل معه ، وأخيراً إلى أن نفكر بقلوبنا . وذلك لأن التركيب اللغوي بإيحاءاته ومجازاته يصلنا مباشرة إلى التعرف ، أو إلى ما قد يمكن أن يكون ضرباً من التذكر بعد ما طمس على الضمائر من بلادة .

وفي شعره العاطفي على أي حال لمسات طيبة أو جميلة تخفف من وقع كل مستهلك بارد يتفشى في شعر المناسبات ـ وما أكثره عنده ـ وإن كنت أخرج منه بعض ما يقوله ومثله :

ولو رضيت بأن الحب منزلة
تُشرى لساومت في مصر ولبنان
لكن لي أملاً في الحب يعرفه
مثلي ويعجز عنه كل فنان

لأنه مجرد دعوى مضحكة أو ادعاء لا ينم على تجربة ، وهذا اللون من المعرفة ترفضه الآذان التي تتهيأ للاستماع ، وربما لو كان صاحبه وقع في يد أخرى لما تمكن من أن يكمل ديوانه ، ولافتقدنا أحد الذين نحتاج إليهم لنؤكد رأي ابن قتيبة في الشعراء العلماء ، باستثناء خلف الأحمر ، والله أعلم .



الإسلام والمسلمون في الصين

بقلم: د. جمال الدين سيد محمد

لا بد لنا من العودة إلى الماضي البعيد حتى نعرف قصة دخول الإسلام إلى بلاد الصين . وتاريخ الإسلام في الصين يرجع إلى أكثر من ألف سنة مضت . وحسب الروايات المتداولة بين المسلمين في الصين يمكن القول إن الإسلام دخل الصين لأول مرة من خلال طريقين : الطريق الأول هو الطريق البحري عبر آسيا الوسطى ، من العراق إلى شمال غربي الصين بواسطة التجار المسلمين الذين كانوا يفدون بقوافلهم لتبادل التجارة ، والحصول على منتجات الصين من الحرير والشاي وغير ذلك من السلع . والطريق الثاني هو الطريق البحري من العراق ، وعبر الخليج العربي ، والمحيط الهندي ، وبحر الصين إلى جنوب تلك البلاد بقصد التجارة وتبادل السلع .

البعثات الإسلامية الأولى

ويذكر المؤرخ **المسعودي** أن المراكب الصينية وصلت إلى سواحل البلاد العربية في أوائل القرن السادس الميلادي . ونعرف من تاريخ أسرة تانج الصينية التي حكمت في الفترة من ٦١٨ إلى ٩٠٧م ، أن أمير المؤمنين **عثمان بن عفان** (٦٤٤ ــ ٦٥٦م) أرسل بعثته الأولى إلى بلاد الصين في عام ٦٥١م . وتضاعفت هذه البعثات فيما بعد حتى بلغت في الفترة ما بين عامي ٦٥١ ــ ٧٥٨م ، أكثر من ثلاثين بعثة . وفي عهد أسرة سونج (٩٦٠ ــ ١٢٧٩م) ازدهرت التجارة بين العرب والصين بشكل لم يسبق له مثيل ، فوصلت الصين في هذه الفترة أكثر من ٤٩ بعثة عربية تمثل مختلف الخلفاء والحكام المسلمين ، بالإضافة إلى الزيارات الخاصة العديدة ، التي كان التجار العرب يقومون بها . ومما لا شك فيه أنه عن طريق هذه البعثات تبادل الحكام العرب والصينيون المعلومات والهدايا . وكان لهذا التبادل في المعارف دور كبير في إثراء علوم وآداب وفنون كل من البلدين .

أثر التجار المسلمين

وكان التجار الفرس في ذلك الحين ينقلون البضائع والسلع من منطقة الخليج العربي عبر أفغانستان إلى غرب الصين . وكانت إمبراطورية أسرة تانج تحبذ التعاون مع هؤلاء التجار المسلمين ، وترحب بدعوتهم إلى الاستيطان في بلاد الصين . وكثر عدد هؤلاء التجار المسلمين في المناطق الواقعة على الشواطئ حيث كانوا يفدون بالسفن ، واستوطن بعض منهم في **مناطق كوانتونج وفوكيين** ، وحول **منطقة هانجتشو** بالصين . وأثناء حكم **الإمبراطور الصيني يوان** في القرن الثالث عشر ، كان المسلمون من علماء الفلك والعلوم المختلفة والتاريخ يؤثرون أعظم تأثير في قصر الإمبراطور الصيني .

وتكاد كتب التاريخ تتفق على أن التجار المسلمين كانوا يلقون في بلاد الصين من صنوف الترحيب والمجاملة ما حمدوه لهم ، ولم يلبثوا أن أخذوا من حكام الصين إذناً بالإقامة في ميناء كانتون حيث لا تزال موجودة حتى اليوم آثار كثيرة ومخلفات إسلامية قديمة .

وسرعان ما أصبحت الجالية الإسلامية من أغنى الناس في الصين ، وكثر الوافدون عليهم من المسلمين الآخرين ، واستقر آخرون منهم في **مدينة خانغو** جنوب مدينة **شنغاي** الحالية . وكانت السلطات الصينية تحرص على منح المسلمين بها امتيازات كثيرة ، لما لهم من أثر كبير على اقتصاديات البلاد ، فكان لهم حق اتخاذ قاض مسلم من بينهم يحكم في المشاكل التي يتعرضون لها ، ويؤمهم في صلواتهم . وتابع التجار المسلمون نشاطهم وانتشارهم حتى **وصلوا إلى كوريا** ، وكان لهم نشاط واسع ، وكانوا يتدخلون في الشؤون السياسية لهذه البلاد ، وساعد على هذا التدخل السياسي اتصال حكام الصين بخلفاء الدولة الإسلامية ، والاستعانة بهم في التغلب على بعض مشاكلهم الداخلية . ففي عام ٧٥٦م ، استنجد الحاكم الصيني سوتسنج **بالخليفة المنصور العباسي** للدفاع عن عرشه ضد الثوار ، فأمده الخليفة بفرقة من جنود المسلمين آثرت البقاء في الصين بعد انتهاء مهمتها .

الغزوات الإسلامية

وقد وصلت الغزوات الإسلامية إلى قرب حدود الصين . ففي عهد **الخليفة الأموي عبد الملك** (٦٨٥ ــ ٧٠٥م) وابنه **الوليد** (٧٠٥ ــ ٧١٥م) ، افتتح الجيش الأموي

البلاد الواقعة ما وراء النهر، وغرب الهند، وأخضعوها إخضاعاً تاماً. وعلى مر الأيام، أصبحت **بلخ** عاصمة **طخارستان** و**سمرقند** عاصمة الصغد العظمى ـ وهما من المراكز البوذية الحضارية والثقافية ـ مركزين إسلاميين للعلم والحضارة. ومن المدن الرئيسية الأخرى التي تم ضمها إلى الدولة الأموية **كابول** الأفغانية و**مرو** عاصمة خراسان. وأسفر الزحف إلى الجنوب عن ضم **السند** وجنوب **البنجاب** (باكستان الحالية). وقاد **قتيبة بن مسلم** أثناء حكم الوليد الحملة التي وضعت أسساً ثابتة للحكم الإسلامي في الدول الواقعة على الضفة الأخرى من نهر أموداريا، وذلك بعد استيلائه على بخارى وسمرقند. وفي عامي ٧١٠ ـ ٧١٢م. أخضع **قوارزم** (كيف الحالية).

وازدادت أحوال الصين قوة باتصالها بالمسلمين حتى القرن الثالث عشر الميلادي قبيل زيارة **ابن بطوطة** لها بزمن قصير إذ دخل **المغول** بلاد الصين، واعتنقوا الدين الإسلامي، وفتحوا بذلك السبيل أمام سائر أجناس المسلمين للدخول إلى الصين. واستقر عدد كبير منهم في مدن الصين الهامة. ولعل أهم سبب للترحيب وحسن استقبال العرب وغير العرب من المسلمين في الصين، أنهم لم تكن لهم أطماع استعمارية، أو نوايا استغلالية وظلت تلك العلاقات الطيبة بينهم وبين أهل الصين لا تزيدها الأيام والسنين إلا رسوخاً وتوطداً.

وتكاد تتفق الآراء على أن عدد المسلمين في الصين اليوم يناهز عشرة ملايين نسمة يقطن أغلبيتهم في المقاطعات الشمالية الغربية، والمقاطعات الجنوبية الغربية من البلاد. ويعيش في **منغوليا** الداخلية فقط حوالي سبعة ملايين مسلم. ويعيش المسلمون عادة في جماعات في قرى أو أحياء قائمة بذاتها في المدن الكبيرة، حيث توجد مساجدهم وزواياهم ومدارسهم ومعاهدهم العلمية. **ومن الجلي أن المسلمين يتمتعون في الصين بحظوة لا يتمتع بها أصحاب الديانات الأخرى.**



والعدد الأكبر من المسلمين من سلالات الويجور والقازاق والأزبك يعيشون في وادي سينكيانج. ويوجد في الصين مسلمون من الشيعة وهم من سلالة التاجيك. والصلات بين المسلمين في شمال الصين متطورة للغاية، ولهم حق الاتصال بالهيئات الخارجية، بينما المسلمون في الجنوب متفرقون، والصلات بينهم غاية في الصعوبة، ولذا فإن تمسكهم بالصلاة والدين والعادات الإسلامية أقل منه في الشمال.

توزيع المسلمين في مدن الصين

وفي هذا المضمار لا بد لنا من الحديث عن وادي سينكيانج الذي يعيش به أكثر من خمسة ملايين مسلم من سلالة الويجور من بين ١٢ مليون نسمة وهو إجمالي عدد سكان الوادي. ويقع هذا الوادي على بعد أربعة آلاف كيلومتر شمال غربي بكين وعاصمته أورمتشي وهي المركز الإداري والحكومي للإقليم. وعادات سكان هذا الوادي تشبه إلى حد كبير عادات القوميات التركية. فسترى في شوارع أورمتشي أشياء غير مألوفة في غيرها من مدن الصين. وستشاهد أن عدداً قليلاً من الصينيين يرتدون حلة ماوتسي وهي الحلة الزرقاء البسيطة المصنوعة من القطن. وستلاحظ كذلك أن اللون الأزرق لا يسيطر على ملابس الرجال والنساء كما يحدث في المدن الصينية الأخرى.

وكثير من الرجال في مدينة أورمتشي يرتدون طاقيات المسلمين المتميزة. وهي طاقيات غالباً ما تكون مطرزة برسومات تقليدية. وأطلق الكثير من المسنين لحاهم، كما أطلق كثير من الشباب شواربهم. والنسوة في هذه المدينة يرتدين الجونلات ولا يرتدين البناطيل كما يحدث في جميع أنحاء الصين. وعادة ما تخفي النساء شعورهن الطويلة وخاصة الفتيات، بمناديل ذات ألوان زاهية، أما المتقدمات في السن فتخفين شعورهن بمناديل سوداء. **ومنزل الصيني المسلم تزدان جدرانه من الداخل باللوحات الجميلة التي تحمل آيات الذكر الحكيم، والأحاديث النبوية الشريفة، وقلما يخلو بيت من المصحف الشريف.**

وفي مدينة أورمتشي يوجد ٨٠٠ ألف من المسلمين، وقد أخذت المدينة بجميع أسباب العصر. غير أنه إذا نظرت إلى شوارعها الصغيرة فستشعر أنك في أفغانستان أو في تركيا، وستلاحظ أن المنازل منخفضة، وسقوفها مسطحة، ومبنية في صفوف. وهذه الشوارع ليست مسفلتة، بل ممهدة بالطين. وعلى كل ناصية يقف بائع يبيع أسياخ لحم الخراف المشوي. والبائع لا يشوي اللحم إلا بناء على طلب المشتري، ويشويه على نار الفحم الذي يثير دخاناً كثيفاً. ويوجد أيضاً الكثير من الباعة المتجولين الذين يبيعون مختلف أنواع الحلوى. ويجلس المسنون على مداخل منازلهم، ويتبادلون الحديث وهم يتكئون على عصيهم. وخلافاً لما تراه في الأقاليم الصينية الأخرى فلا يمكن أن ترى في إقليم سينكيانج الخنازير تتجول في حرية، بل ترى فقط بعض الخراف هنا وهناك. ولا شيء سوى طاقيات التلاميذ المزينة بالنجمة الحمراء يذكرك بأنك في جمهورية الصين الشعبية.

ولا تظن أنه من السهل أن تحصل على تصريح لزيارة أحد الجوامع وعلى الأخص بالنسبة للأجنبي غير المسلم. فلا بد من الحصول على ثلاثة تصاريح: التصريح الأول من قسم الشؤون الخارجية بالإقليم، والتصريح الثاني من قسم الشؤون الدينية، والتصريح الثالث من رئيس قسم الشؤون الدينية للجماعة الإسلامية المحلية. وما إن تحصل على التصريح حتى يكون الجميع في خدمتك،

بل وسيحطمون بشواكيشهم الألواح الخشبية التي تم إغلاق النوافذ بها خلال الثورة الثقافية، حتى تستطيع أن تلتقط صورة جميلة للمسجد.

من عادات المسلمين في الصين

وفي الساعة الثانية من ظهر يوم الجمعة يمتلئ المسجد بالمصلين، وأغلبيتهم من المسنين، كما يوجد بعض الشباب والأطفال. ويجلس كبار المسلمين في الصفوف الأولى، ويقرؤون آي الذكر الحكيم. وكثير من المسلمين يحضرون من أعمالهم مباشرة، وهناك آخرون طلبوا أن يكون **يوم الجمعة** هو يوم إجازتهم الأسبوعية. وغالباً ما يكون عدد النساء في صلاة الجمعة قليلاً.

وفي عام ١٩٤٩ م، وبعد انتصار الثورة الصينية تم إلغاء تعدد الزوجات وإلغاء الزيجات التي تتم بالاتفاق بين العائلات وبعضها. وليس هناك إلزام على المسلمين بالزواج ابتداء من ٢٧ سنة بالنسبة للشباب، وابتداء من ٢٥ سنة بالنسبة للفتيات مثل باقي أفراد الشعب الصيني. والتعليمات بالنسبة للمسلمين ألا يتزوجوا قبل بلوغهم ٢٢ سنة. ولكن هناك كثير من الحالات يتزوج فيها الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين ١٦ و ١٧ سنة. وليس هناك إلزام على المسلمين في الصين باتباع القواعد الخاصة بتنظيم الأسرة، ولذا فهناك عائلات بها الكثير من الأطفال. **وتتم مراسم الزواج حسب الشريعة الإسلامية وحسب العادات والتقاليد الإسلامية المعروفة.**

وفي البداية يتجمع الشباب في منزل العروس حيث ينقسم الحاضرون إلى قسمين: المسنون يجلسون في حجرة، والشباب في حجرة أخرى. وبعد أن يتسلى الجميع بالحديث والطعام والشراب يدعوهم كبيرهم أو إمامهم برفع أيديهم إلى السماء، وتلاوة القرآن والدعاء.

وتحضر النسوة خلال النهار، ويقمن بنفس الشعائر. ويجري تقسيم النسوة كذلك إلى مجموعتين. أما العروس فتنتظر في حجرة خاصة حتى آخر اليوم وتغطي وجهها بحجاب، وتكون برفقتها أحسن صديقاتها اللاتي يسلينها بالغناء وبالرقص. وفي المساء يأتي العريس في صحبة أصدقائه وزملائه. ثم يخرج العروسان عندئذ ويمنحهما الوالدان البركة، ويدعوان لهما، وتترك العروس منزل أبويها. وفي بعض الأحيان يتم عقد الزفاف في يوم الجمعة، بعد نهاية رمضان المبارك. وفي الوقت الحالي يتم اختيار أيام أخرى لعقد الزفاف. وغالباً ما يرتبط اختيار الأيام بأيام توزيع (بونات) الطعام، ويحصل المسلمون على أكبر عدد من (بونات) الطعام قبيل احتفالات الربيع في الغالب، ولذا يكثر في أوائل الربيع تزويج الشباب والفتيات.

المساجد في الصين

ويقدر عدد المساجد والزوايا في الصين بحوالي أربعين ألفاً، وذلك وفقاً لما ورد بكتاب «الإسلام في الصين» لكاتبه مارشال برومهول. وهذه المساجد والزوايا بمثابة مراكز للنشاط الديني والإشعاع الثقافي للمسلمين في الصين. وقد تم ترميم الكثير منها في السنوات الأخيرة بمساعدة الحكومة. ويتردد على هذه المساجد والزوايا مختلف فئات الشعب من موظفين وعمال وجنود وغيرهم من المسلمين، لأداء الشعائر الدينية، وخاصة في الأعياد الإسلامية.

وفي مدينة **بكين** وحدها يوجد ٦٥ مسجداً، وفي **شنغهاي ٢٧** مسجداً. وفي جميع المدن الأخرى توجد مساجد يقوم بالإشراف عليها أئمة أفاضل يقدر عددهم في جميع أنحاء الصين بحوالي مائة ألف، أي أن لكل مائة مسلم في المتوسط إمام. وفي العادة يرتدي أئمة المساجد المسلمون الملابس الفضفاضة، وفوقها الكاكولا ذات اللون الداكن، ويضعون على رأسهم طاقية بيضاء، وهم يقبلون على الحياة صرحاء لهم نخوة واعتزاز. والمهمة الموكولة إلى الإمام في هذه البلاد متشعبة وكبيرة، فهو لا يؤم المسلمين في الصلاة فحسب، بل يقوم إلى جانب ذلك بتعليمهم القرآن والسنّة وقواعد الدين. وفي أحيان كثيرة يعطي دروساً في اللغة العربية، وفي الدين الإسلامي بالمدارس الملحقة بالمساجد. وهو عدا ذلك يرعى شؤون المكتبة الملحقة بالمسجد وهي مكتبة دينية وعامة أيضاً.

ومن المعروف أنه على مر السنين اعتنقت الإسلام شعوب عديدة تختلف بيئاتها وتتباين ثقافاتها، ولذا فقد تأثرت المساجد وأنماط المآذن تبعاً لتلك الفوارق والاختلافات. فهناك الطراز العربي والمملوكي والتركي والمغربي والهندي وغيرها. غير أنه أصبح للمسلمين من أهل الصين طراز خاص في بناء المساجد والمآذن، وهو طراز قائم بذاته يتجلى فيه أثر البيئة والثقافة الصينية. والمآذن من حيث مظهرها الخارجي تشبه الباجودا الصينية المعروفة، وتكاد سقوف المساجد تكون نسخة مطابقة لسقوف المعابد والمباني الصينية التقليدية. أما من الداخل فهي إسلامية الطابع في كل شيء. فهناك المحراب والمنبر المألوفان. وهناك أعمدة الرخام البديعة، والثريات الفاخرة، والمصابيح الجميلة، والسجاجيد، والطنافس البديعة، ثم هناك دورات المياه، ومرافق الوضوء الضرورية. والشيء الجميل أن المساجد الإسلامية على قدر كبير من النظافة، ويوجد بكل مسجد قسم خاص بالسيدات. والمرأة الصينية المسلمة تبدو عليها سمات الحشمة والتقوى والوقار، لأنها ترتدي ملابس طويلة وإزاراً ناصع البياض.

ويبلغ عدد المسلمين في بكين حوالي مائة ألف مسلم، وبها يوجد الجامع الكبير، وهو **مسجد «تونغري بايكو»** وبه مقر الجمعية الإسلامية الصينية. والمسجد من طراز القرن الخامس عشر، ولا يختلف عن معابد الأديان الأخرى إلا بفقدان الصور، ووجود المحراب والمنبر، وبعض النقوش باللغة العربية وبالحروف العربية. ونفس الحروف العربية متأثرة بأشكال الحروف الصينية، وقد تم تجديده مرتين في عامي ١٩٥٢م، و ١٩٧٤م. وتم إغلاق المسجد لمدة شهرين أثناء الثورة الثقافية، وأعيد فتحه بناء على أوامر من **الرئيس شوين لاي** في سبتمبر (أيلول) من عام ١٩٦٦م. وحتى عام ١٩٧٧ م، كان لا يستطيع أن يصلي فيه إلا رجال الدين الذين كانوا يقيمون في الجامع.

ويقوم بإدارة هذا الجامع مجلس يجري انتخابه انتخاباً ديمقراطياً من بين ممثلي المسلمين . ويعمل بالجامع ثلاثة من الأئمة تدفع الدولة مرتباتهم . ورغم العدد الكبير من المسلمين الموجود في بكين إلا أنه عند صلاة الجمعة لا يرى إلا ٤٠٠ أو ٥٠٠ مصلي فحسب وبالطبع بينهم كثير من الأجانب من العرب والأفارقة ، الذين يعملون في بكين بالتجارة ، أو في السلك الديبلوماسي . ويوجد بين المصلين عدد قليل من الشباب والأطفال ، وربما يرجع سبب قلّتهم إلى وجودهم في المدارس وقت صلاة الجمعة .

وفي نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٥٥ م ، بدأ العمل في إنشاء **معهد إسلامي كبير ببكين** تكون مهمته الأولى تثقيف المسلمين ، وإعداد أئمة المساجد الصالحين . وتشرف على إدارته ، وتتولى الإنفاق عليه **الجمعية الإسلامية في الصين** . وقد تأسست هذه الجمعية في عام ١٩٥٣ م . ومن المعلوم أن **مصر** قد بعثت إلى هذا المعهد بعدد من رجال العلم والدين لتدريس اللغة العربية والدين الإسلامي به . غير أنه تم إغلاق هذا المعهد أثناء الثورة الثقافية ولكن سيعاد افتتاحه في شكل آخر . ذلك أن المعهد ما زال موجوداً إلا أنه لم يعد كما كان من قبل ، فقد احتفظ باسمه ولكن تم تحويله إلى مدرسة ثانوية عادية وأكثر من ٨٠٪ من التلاميذ فيها من غير المسلمين .

وتكثر في **مدينة كانتون** المساجد الأثرية القديمة ، ومنها المسجد المعروف بمسجد الذكرى الشريفة ، وهناك المسجد التاريخي العظيم القائم بإحدى ضواحي هذه المدينة ، وتتصل بهذا المسجد جبانة فسيحة يقوم فيها ضريح العارف بالله **ابن الوقاص** الذي يعدونه أول عربي مسلم بشّر بالدين الإسلامي في جنوب الصين . وهناك أيضاً **مستشفى إسلامي** تم افتتاحه في عام ١٩٦٠ م ، وقد احتفظ باسمه كل هذه الفترة ، غير أن أغلبية المرضى به من غير المسلمين . وبهذه المستشفى يتم إجراء الطهارة للمسلمين . ومن الممكن أن تتم الطهارة في المستشفيات الأخرى ، لكن دون أية مراسم أو احتفالات .



والمهمة الرئيسية للجمعية الإسلامية الصينية هي توضيح سياسة الحكومة تجاه الدين الإسلامي ، ومقرها بكين . وتقوم الدولة بالإنفاق عليها ، ورئيسها الحالي هو **محمد السانجي** . ومنذ عهد غير بعيد أخذت الجمعية تتصل بمثيلاتها في الخارج . وفي صيف عام ١٩٧٩ م ، زار وفد صيني ليبيا .

وتسمح اللوائح والقوانين الصينية للمسلمين بأن يعيشوا حياتهم وفقاً لشريعتهم الإسلامية ، ووفقاً لعاداتهم وتقاليدهم ، وفي أغلبية المدن الصينية الكبرى توجد مطاعم خاصة للمسلمين ، ويوجد في كل تجمع سكاني للمسلمين إمام يعرف كيفية ذبح الخراف حسب الشريعة الإسلامية الغراء . ويوجد في المؤسسات والمصانع التي يعمل بها الكثير من المسلمين مطبخ خاص لهم ، وفي حالة عدم وجود عدد كاف من المسلمين يحصلون على مبلغ شهري يمكنهم من شراء الطعام من خارج المصنع ، ويوجد طباخ خاص بالمسلمين حتى داخل سجن بكين .

ويتم كذلك تشييع الجنازة ، ومراسم دفن المسلمين الصينيين وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية . ويقوم بهذه المهمة في العادة خدم المسجد ، وبعض موظفيه ، ويحصلون في الغالب على ملابس المتوفي كجزء من أجرهم . ويلف الجثمان في كفن من قماش أبيض من القطن ، وتنثر عليه العطور وماء الورد ، ثم يوضع الجثمان في النعش ، وتشيع الجنازة حتى القبر . **وهناك مقابر خاصة للمسلمين الصينيين** . وقد يحضر مراسم الدفن بعض المسؤولين ، أو بعض الأشخاص الذين يشغلون مناصب قيادية . ومن العادات المألوفة أن ينثر على أرض اللحد بعض من المسك والكافور . وتتميز قبور المسلمين الصينيين بشكلها المستطيل خلافاً لقبور البوذيين ذات الشكل المخروطي المستدير . ويراعى عند دفن الجثمان في اللحد أن تكون الرأس جهة الشمال ، والقدمان صوب الجنوب ، والوجه في اتجاه الكعبة الشريفة . ويتوافد المعزون في مساء يوم الدفن لسماع آيات الذكر الحكيم .

ولأول مرة تم في عام ١٩٧٩ م ، تنظيم الحج إلى مكة المكرمة . وهو يعد أول حج بعد عام ١٩٦٤ م ، وكان عدد الحجاج ستة عشر حاجاً فقط ، وكان يرافقهم مترجم صيني ، ومكثوا في مكة المكرمة عشرة أيام . وقد كان الحج حدثاً هاماً بالنسبة للحجاج ، وكذلك بالنسبة لباقي المسلمين . ويعتبر أهم علامة على حدوث تغير من جانب الحكومة تجاه المسلمين .

وقد جرت هذه التغيرات ضمن الغيبرات العامة التي حدثت إثر القضاء على عصابة الأربعة . **وتنص المادة (١٤٧) من قانون العقوبات الجديد الصادر في عام ١٩٧٩ م ، على معاقبة المسؤول الذي يمنع بطريق غير شرعي المواطنين من حقهم في إقامة الشعائر الدينية بالسجن لمدة لا تتجاوز عامين** .

والحقيقة أن المسلمين في الصين من أنشط عناصر الدولة ، ومن أكثرهم ولاء للنظام القائم . . ولعب المسلمون بوجه عام أدواراً هامة في تاريخ الصين ، وكان ولا يزال من بينهم قادة في الجيش ، وحكام للمقاطعات والمدن .

ولا ريب أن التغير الجديد في سياسة الحكومة تجاه المسلمين له أبلغ الأهمية ، وسيعيد الحماس السياسي للمسلمين ، ويصلح من علاقة الصين بالدول العربية والإفريقية والإسلامية . غير أن تنفيذ هذه السياسة الجديدة لا يتم في يسر وسهولة تامة ، ولذا يقول أحد المسؤولين عن الشؤون الدينية : « إن لدينا كثيراً من الصعاب في مهمتنا هذه ، لأن كثيراً من الناس يخافون ، فقد أفزعتهم الثورة الثقافية أيما فزع ، وحينما يذهبون الآن إلى الصلاة يفعلون ذلك وقلوبهم وجلة » .

الشيخوخة

بقلم: د. عبد الرحمن عيسوي

وأولى خطى العناية بالشيوخ هي التعرف على طبيعة هذه المرحلة وسبر أغوارها وأسرارها والتعرف على ما فيها من نواحي القوة والضعف. ومن المؤسف أن مرحلة الشيخوخة على ما لها من أهمية بالغة إلا أنها لم تحظ بالدراسة والبحث والفحص الذي ينبغي أن يحدث حتى نحسن تعامل شيوخنا ونضع البرامج التي تؤدي إلى تحقيق سعادتهم، ومن الملاحظ أن التغيرات التي ترجع إلى السن تغيرات معقدة وليست بسيطة، فالوظائف الجسمية يعتريها الضعف، ويتغير مركز الفرد في المجتمع كما تتغير أساليب تكيفه وتعامله مع المجتمع. فقد يعاني الشيخ من بعض الاضطرابات العقلية البسيطة أو الصعبة، وكذلك قد يعاني من الأمراض الجسمية. وقد تتغير اتجاهاته العقلية والاجتماعية وسمات شخصيته وقدرته على التفكير والاستدلال والإدراك والإحساس، كما تتغير قدرته الحركية مما يؤثر في تكيفه المهني. وتتأثر دوافع الفرد وانفعالاته وذكاؤه وإنتاجه الإبداعي في العلوم أو الفنون والآداب والانتصارات الاجتماعية.

ومن العوامل التي تزيد من أهمية دراسة الكبار أن تعدادهم أصبح يزداد يوماً بعد يوم نتيجة لتقدم العلوم الطبية وتوفر أساليب العلاج والوقاية الأمر الذي أدى إلى زيادة طول عمر الإنسان. وإلى جانب زيادة كبار السن عدداً، وضرورة العناية بهم على أسس إنسانية نبيلة صرفة، إلى جانب كل هذا فالملاحظ في مجتمعنا المعاصر أن كبار السن هم الذين يتولون قيادة المجتمع ويوجهون مشروعاته ويشرفون عليها استفادة من خبراتهم الواسعة، ومن المؤسف أن دراسة الكبار لم تلق العناية الكافية بها. ويمثل الاهتمام بالشيخوخة والشيوخ وتوفير الرعاية لهم جانباً أساسياً من جوانب الاعتناء بالثروة البشرية التي أصبحت – بحق – أغلى الثروات جميعاً في عصرنا الحاضر. تلك الثروة التي تفوق قدراً وقيمة الثروات المعدنية والزراعية والحيوانية.

التغيرات التي تحدث في سن الشيخوخة

وتؤدي دراسة الكبار إلى التعرف على تلك الإمكانات البشرية بغية العمل على توجيهها واستغلالها والاستفادة منها. ولذلك فكلما ارتقى المجتمع في مضمار التقدم والرقي اعتنى بالشيخوخة، ولذلك بات الاهتمام بالشيخوخة معياراً من معايير التقدم والرقي. إن **علم الشيخوخة** Gerontology في حاجة إلى دفعة قوية إلى الأمام. كانت دراسة الشيخوخة في الماضي تهتم بالجوانب السلبية وتغفل الجوانب الإيجابية، أي تهتم بنواحي النقص أو العجز دون أن تعبر النواحي التي يؤديها الشيوخ أفضل من الشباب.

ومن الحقائق الهامة أن التغيرات التي تحدث في مرحلة الشيخوخة، سواء كانت جسمية أو نفسية أو عقلية أو اجتماعية، إنما تتفاعل مع بعضها البعض، أي يؤثر كل منها في الآخر ويتأثر به. ومن ذلك أن ضعف الصحة العامة يؤدي إلى انكماش مناشط الفرد. ولذلك يلزم إعادة تدريب كبير السن على المهارات التي تتطلب الحياة الحديثة. ومن أظهر الأحداث التي تقع في سن الشيخوخة حادث **الإحالة إلى التقاعد** Retirement ولكن للأسف الشديد

الشيخوخة

ليس هناك معرفة كافية بالعوامل السيكولوجية لهذا الحدث . ما الذي يحدث في نفسية المحال إلى المعاش وما وجهة نظره ، وما مدى تقبله لهذا الحدث ، ولا شك أن الاهمية القصوى ترجع إلى العوامل النفسية أكثر من رجوعها إلى العوامل البيولوجية . والواقع أن اعتزال الخدمة يحتاج إلى **إعادة تكيف الفرد** Readjust-ment .

ومن الملاحظ أن الفرد قد يكافح طوال حياته لكي يحقق لنفسه شيخوخة سعيدة ، ولكن هذه السعادة لا تتحقق إذا كان يخاف خوفاً مريضاً من الشيخوخة . وإذا كانت العلوم الطبيعية قد نجحت فعلاً في إطالة عمر الإنسان ، وسوف تستمر في تحقيق مزيد من هذا النجاح ، فإنه يضحى على العلوم الإنسانية أن تجعل هذا العمر المديد سعيداً . **ولقد حظيت مرحلتا الطفولة والمراهقة بالدراسات المتعمقة والواسعة وبقي أن نولي الشيخوخة مثل ما أولينا الطفولة والمراهقة من اهتمام . وذلك بتوجيه البحث الميداني إلى هذا المجال الذي ما يزال بكراً أو خصباً في حاجة إلى يد الباحث السيكولوجي الحديث .**

مشاكل الشيخوخة

ولكن الحقيقة ، والحق يقال ، أن دراسة الشيخوخة تواجه كثيراً من الصعوبات من ذلك أن العائد من تلك الدراسة لا يوازي ما يبذل فيها من جهد وطاقة ومال ، كذلك فإن المشكلات الناجمة عن التقدم في العمر لا يمكن تجنبها كلية ، ولا سيا في مجتمع المنافسة الذي نعيش اليوم في كنفه ، خاصة وأن كثيراً من الشيوخ تطول أعمارهم حتى تتعدى تماماً المرحلة الإنتاجية . ولذلك نجد المشاكل الآتية :

(١) مشاكل الصحة العامة والضعف العام .

(٢) مشاكل نفسية .

(٣) مشاكل عقلية .

(٤) مشاكل اجتماعية .

(٥) مشاكل مهنية .

(٦) مشاكل بطالة الشيوخ .

(٧) مشاكل إعادة تدريبهم مهنياً .

(٨) مشاكل التقاعد ووقت الفراغ .

وتهتم الدراسات التطبيقية على تقليل المؤثرات السلبية للتقدم في السن . وهنا ينبغي الإشارة إلى أن دلائل التقدم في السن تختلف من فرد إلى آخر ، فقد تظهر في شخص مبكرة عنها في شخص آخر . وتدفع هذه الفروق بعض الباحثين إلى التفكير فيما يسمونه بالعمر الحيوي للفرد Biological / age والعمر الوظيفي Functional / age . وأفضل الطرق في دراسة الشيخوخة هو اعتبارها مرحلة طبيعية ومادية من مراحل نمو الإنسان ، والمعروف أن لكل مرحلة من مراحل العمر خصائصها ومتطلباتها .

مرحلة ما قبل التقاعد

وتقسم مرحلة كبر السن إلى مراحل منها **مرحلة ما قبل التقاعد** Pre-retirement ، وتمتد من سن ٥٥ إلى ٦٥ سنة ، وفيها يحدث مزيد من التدهور في الوظائف الجسمية والعقلية ، وانسلاخ من الأدوار المهنية والاجتماعية ، كما يعتري الوظائف والميول الجنسية الضعف . ولكن في بعض الحالات قد يؤدي تخلص الفرد من أعبائه المهنية إلى أن يجد الوقت لإحراز الانتصارات الاجتماعية فيتولى بعض المناصب العليا .

مرحلة التقاعد

وهناك **مرحلة التقاعد** Retirement ، وتبدأ من سن الخامسة والستين وما بعدها وهي المرحلة التي يطلق عليها اصطلاحاً **مرحلة الشيخوخة** Senescence ، أما سن الإحالة إلى المعاش فتحدده قوانين التوظف في كل مجتمع وهو يختلف باختلاف المجتمعات وباختلاف الوظائف . وفي هذه المرحلة يبتعد الفرد عن الأدوار المهنية والاجتماعية وفيها يقوى شعور الفرد بالقرابة وتتقوى العلاقات بالجماعات الأولية . وفيها تزداد قابلية الفرد للإيحاء وللتأثير بالاضطرابات الجسمية والعقلية . وقد يعجز الفرد عن القيام بالمناشط العادية المطلوبة للحياة اليومية . وفي سن السبعين وما بعدها يحتاج الشيخ إلى من يعتمد

عليه كما يعاني الفرد مما يعرف باسم خريف العمر .

توجه البحوث نحو الشيخوخة

وتتطلب دراسة الشيخوخة جمع المعلومات المكتسبة من علم الطب ، والطب العقلي ، وعلم الحياة ، والأنثروبولوجيا ، وتضافر هذه المعلومات وتكاملها . ومن مظاهر الاهتمام بدراسة الشيخوخة بعد الحرب العالمية الثانية صدور **مجلة الشيخوخة** Journal of Gerentology في عام ١٩٤٥م ، عن طريق **جمعية الشيوخ في الولايات المتحدة الأمريكية** وتتولى نشر مقالات متصلة بالعلوم البيولوجية والطب العلاجي وعلم النفس وعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية . **وفي أوروبا صدرت أول دورية عن الشيوخ عام ١٩٥٦م ، وأنشئت جمعية دولية للشيوخ وتعقد المؤتمرات الدولية** . وفي الوقت الحاضر يوجد كثير من وحدات البحث أو المنظمات أو مراكز البحوث الخاصة لظاهرة التقدم في السن وهناك الجمعيات الخيرية التي ترعى الشيوخ وكبار السن . وهناك بعض رسائل الماجستير والدكتوراه التي تتناول ظاهرة الشيخوخة . ولكن لا بد من الاعتراف بأن الباحث في مجال الشيخوخة لا بد وأن يجد صعوبات كبيرة . كذلك لا بد من الاعتراف بأن البحوث النفسية في هذا المجال ما زالت محدودة للغاية ؟ والمأمول أن توجه العناية في عالمنا العربي إلى دراسة



كبار السن والاهتمام بهم صحياً وعقلياً ونفسياً واجتماعياً ومهنياً وترفيهياً والاستفادة منهم ومن خبراتهم .

المناهج العلمية في دراسة الشيخوخة

أما عن المناهج العلمية التي تستخدم في دراسة الشيخوخة فهناك **الطريقة العرضية** Cross-Sectional وهناك **الطريقة الطولية** Longitudinal method في الطريقة الأولى يستخدم الباحث عينات من أرباب أعمار مختلفة في وقت التجربة . ولكن هذه الطريقة يعتريها الضعف ، لأنها تدرس أثر السن عن طريق مقارنة أرباب الأعمار المختلفة في وقت إجراء البحث ولكن الأثر الثقافي والتاريخي يتدخل في نتائج مثل هذه البحوث . كانت عندما تقارن شخص عمره عشرين عاماً بشخص آخر عمره خمسين عاماً ، فمعنى ذلك أن الشخص الأخير عاش في جو حضاري لمدة ثلاثين عاماً يختلف عن الجو الحضاري الذي عاش فيه الشاب الصغير الذي تقارن به ، ومعنى ذلك أنك لا تقارن عامل السن وحده أو عامل السن نقياً وخالصاً ، ولكنك تقارن عوامل حضارية ورواسب ثقافية متعددة ومتشابكة . أما طريقة المنهج الطولي وهي التي تقارن سلوك نفس الأفراد فترات متعاقبة متسلسلة فإن نتائجها تتأثر أيضاً بعوامل مثل الاختيار الطبيعي وموت بعض أفراد العينة ، والتغيرات التي تحدث على أداء الفرد نتيجة للمران والتدريب والتعلم والخبرة .

ويلاحظ أن نسبة الأحياء من الذكور والإناث في **إنجلترا وويلز** عام ١٩٦١م ، كانت في السن من ٥ ـ ٥٠ تتراوح ما بين ٩٧,٢٪ إلى ٩٠,١٪ بالنسبة للذكور و ٩٧,٨٪ إلى ٩٣,١٪ ، وأن هذه النسبة كانت في سن ٨٥ سنة ٩,٤٪ و ٢٢,٧٪ على التوالي بالنسبة للجنسين . ويلاحظ بالطبع انخفاض نسبة الأحياء بالتقدم في العمر ، كما يلاحظ طول عمر الإناث عن الذكور وتؤيد هذه النتائج المستمدة من إحصاءات وفيات الذكور والإناث . ومن الجدير بالذكر أن التغيرات التي تطرأ على المسن لا تحدث بصورة فجائية أو طفرة واحدة وإنما تحدث بصورة تدريجية .

ولا يبدأ الضعف يعتري جميع أجزاء الجسم الإنساني في وقت واحد ، وإنما هذه الأجزاء تبدأ في الضعف في أوقات متفاوتة .

أما عن الأسباب التي تؤدي إلى التغير الجسمي فهي الأمراض والإصابات المختلفة وعن طريق العمليات التي تحدث في خلايا الجسم وأعضائه ، فالخلايا تشيخ وتكبر وتموت كما يموت الزرع أو النبات ، ونتيجة لضعف الخلايا والأعضاء ، فهناك اضطرابات تحدث في بناء الجسم ثم اضطرابات في وظائفه ، كما تحدث الشيخوخة نتيجة لضعف المواد الكيميائية والحيوية داخل الجسم .



دمج مدارس محو الأمية

بقلم: د. لطفي بركات أحمد

إن نظرة استقرائية تقييمية لواقع هذه «المدارس» وفاعليتها في تعليم الكبار، تؤكد أموراً أساسية هي في الحقيقة من المثالب التي أبرزها ما يأتي:

(أ) أن غالبية الجهود التي تبذل للنهوض بهذه المدارس ما زالت مبعثرة ولا طائل منها.

(ب) أن غالبية هذه الجهود لم تستطع أن تتخطى المنطق التقليدي في أي من مراحل تطورها وخاصة فيما يتصل بترفيع هذه المدارس؛ فقد استمرت النظرة إليها على أنها مدارس مؤقتة خارجة عن إطار السلم التعليمي القائم حالياً.

(ج) أن غالبية الجهود الحالية ما زالت قاصرة حيث تفتقر إلى النظرة الشمولية الموسعة لديناميات الاستحداث التربوي العصري في كلياته وجزئياته.

وعلى ضوء هذا؛ فإننا **نقترح دمج مدارس محو الأمية وتعليم الكبار في السلم التعليمي، على أن تكون هذه المدارس معادلة للمرحلة الأولى بكل مناهجها ومقرراتها وأنشطتها وأهدافها حيث يحصل الدارس على شهادة إتمام المرحلة الأولى ليلتحق بالمدرسة المتوسطة الليلية، ومنها إلى المدرسة الثانوية الليلية حتى الجامعة انتساباً وذلك حسب قدراته وإمكاناته واستعداداته وميوله وظروفه**؛ اتساقاً مع المفهوم العصري للتعليم المستمر الذي يؤكد أن مفهوم النجاح والفشل مفهوم نسبي حيث تتعدد الفرص أمام الفرد ليجد ما يتناسب مع ميوله وقدراته الحقيقية وبذلك لا يكون فاشلاً إلى الأبد وإنما يمكن أن يتخذ من فشله سبيلاً إلى النجاح في مجالات تناسبه[1].

مزايا الدمج العصرية

وفي تصورنا أن هذا الاقتراح يحقق عدة مزايا عصرية منها:

(١) أنه سيحقق مطلباً أساسياً من مطالب واقعنا العربي، وهو تحقيق الفرص المتكافئة لكل أفراد المجتمع ارتكازاً على مسلمة رئيسية في الطبيعة البشرية تعترف بحق الأفراد في النمو الاجتماعي إلى أقصى قدر ممكن تسمح به قدراته وميوله.

(٢) أنه سيحقق مطلباً أساسياً يسعى واقعنا العربي إلى إنجازه وهو تعليم المجتمع كل المجتمع، بحيث يكون للكبير الحق في التعليم مثله مثل الصغير؛ بل إنه يعطي الأولوية له عن الصغير لتضييق مسافة التخلف ورفع مستوى الكفاية الإنتاجية.

(٣) أنه سيقضي على الفكرة التقليدية التي ما زالت سائدة في واقعنا التعليمي بأن «مدارس» تعليم الكبار ومحو الأمية في مرتبة متدنية ومنتهية ولا صلة لها بالسلم التعليمي القائم حالياً.

(٤) أنه سيقضي على التعثر الناتج من الارتفاع المتزايد لعدد الأطفال الذين هم في سن الإلزام الذي أكده أحد تقارير **هيئة الأمم المتحدة** والذي جاء فيه[2]:

«أن الزيادة السريعة في عدد الأطفال قد أثارت مشكلة أخرى تواجه الدول النامية وهي المستوى المتدني للمعارف والمهارات التي تستلزمها عملية التنمية الاقتصادية؛ فالكفاح من أجل محو الأمية ورفع كفاءة التعليم قد تعثر بنتيجة الارتفاع المتزايد لعدد الأطفال الذين هم في سن الإلزام».

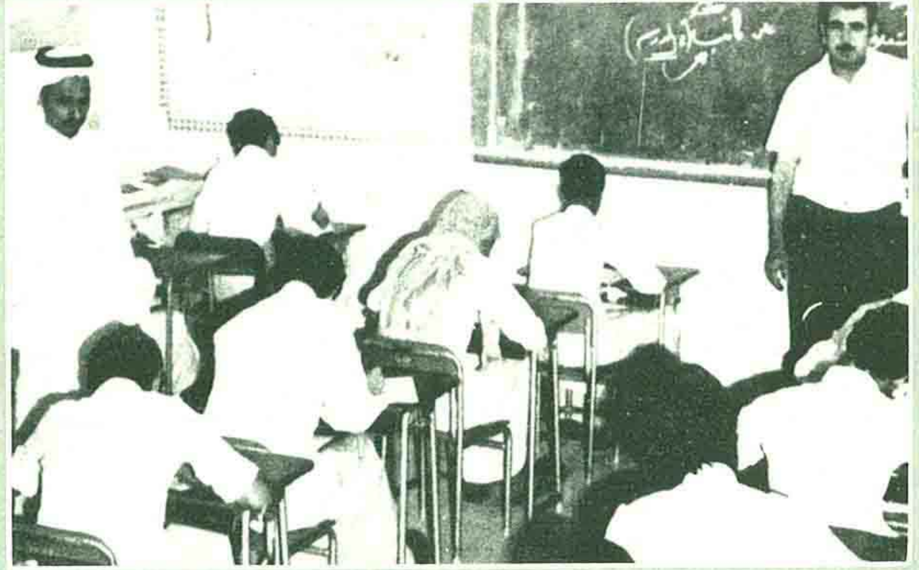
(٥) أن هذا الدمج يعني مواجهة الصراع ضد التخلف حيث إن الغالبية العظمى من الكبار في **أكثر قطاعات واقعنا العربي ما زالوا أميين**، وفي نفس الوقت فإن **قرابة نصف أطفال الوطن العربي لم يلتحقوا بالتعليم الابتدائي**، وبذلك أصبح هؤلاء وأولئك رصيداً لدعم التخلف بدلا من أن يكونوا أملاً في التغلب عليه.

(٦) أن هذا الدمج يحد من التناقضات الثقافية التي تفرض نفسها على التعليم بحكم كونه من صنع المجتمع وجزءً من ثقافته، ويصبح على واضعي الاستراتيجيات التربوية في واقعنا العربي أن يضعوا في اعتبارهم الإجابة على عديد من الأسئلة منها:

★ كيف يصبح التعليم مجالا للتفاعل الصحي بين الكبار والصغار على السواء؟.

★ كيف يصبح التعليم مجالا وأداة لتمكين الكبير والصغير من أن يكون مجدداً لثقافته لا مقلداً لغيره؟.

وتعليم الكبار في السلم التعليمي الحالي



★ ما التغيرات الثقافية التي يجب إحداثها في التعليم ومحتواه بحيث يصبح أداة لتذويب الفوارق الثقافية بين الأجيال داخل واقعنا العربي وصولا إلى أسباب التماسك والتكامل الثقافي ؟ .

★ ما التغيرات التي يجب أن تطرأ على التعليم لتجعله قوة في معالجة الملامح السكانية القائمة من حيث معدلات نمو التركيب العمري ؟ .

(٧) أن هذا الدمج يستلزم بالضرورة **إنشاء أقسام بمعاهد وكليات إعداد المعلمين لتأهيل معلم الكبار ومحو الأمية** ؛ كما يتطلب أيضاً وضع برامج مناسبة يمكن أن تتضمن الموضوعات التالية :

- واقع مشكلة الأمية وتعليم الكبار في المستويين العربي والدولي .
- أخطار مشكلة الأمية اقتصادياً واجتماعياً وفكرياً .
- أهم التجارب العربية والدولية في مجالات محو الأمية وتعليم الكبار .
- الأسس التشريعية لمحو الأمية وتعليم الكبار .
- الخصائص النفسية والعقلية والاجتماعية للكبار .
- مشكلات تعليم الكبار وطرق التغلب عليها .
- مسؤوليات الدولة في محو الأمية وتعليم الكبار .

(٨) أن هذا الدمج يستلزم مراجعة النظر كلية في واقعنا التعليمي بمدخلاته ومخرجاته للكبار والصغار على السواء ومن خلال السياق الاجتماعي الذي فيه وتحديد رؤى تربوية جديدة في إطار مبادئ واتجاهات وتطلعات واقعنا العربي .

(٩) أن هذا الدمج يعني التوسع في التعليم على مختلف مستوياته ليصبح تعلياً شعبياً بعد أن كان قاصراً على الصفوة ، ولا بد أن يصحبه تحول في طبيعة التعليم نفسه من حيث المحتوى والشكل والنظم والعلاقات لتستوعب الكبير والصغير على السواء[٣] .

(١٠) أن هذا الدمج يستلزم أن تشارك في تحقيقه المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ووزارات التربية والتعليم ، واتحاد جامعات الدول العربية ، واتحاد المعلمين العرب ، ومراكز البحوث ، ومكاتب التربية في المنطقة العربية لتحقيق المستهدف .

الهوامش

(١) نحو استراتيجية جديدة للتربية في البلاد العربية ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ المؤتمر الرابع لوزراء التربية والتعليم العرب ، صنعاء ٢٣ ـ ٣٠ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٢ م .

(٢) United Nations Survey on The Problems and Policies of Economics Development: Appraisal of Recent Experience, 1967.

(٣) دكتور لطفي بركات احمد : في فلسفة التربية ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٧٨ م ، ص ص ٢٢٤ ـ ٢٢٨ .

يوسف عز الدين



بقلم: د. داود السلوم

الميلاد والتربية والتكوين

ولد الشاعر في بعقوبة ثم سافر إلى مصر عام ١٩٤٦م، وهو شاب يافع لإكمال دراسته في **جامعة الإسكندرية**. وفي سنة ١٩٥٠م، طبع **أول مجموعة شعرية «في ضمير الزمن»** وكانت دراسة متخصصة للحب وتجارب القلب الشاب، وطبع **مجموعته الثانية «ألحان»** في عام ١٩٥٣م.

وسافر إلى **إنجلترا** لإكمال دراسته العالية عام ١٩٥٤ / ١٩٥٥م، وفي فترة تكوينه الأدبي وتربيته الفنية يظهر عليه أثر الشعر القديم وأثر شعر **الرصافي والزهاوي** ومدرستها، ويلاحظ عليه خروج مبكر على نظام القوافي الذي شجع عليه الزهاوي في أشعاره وفي مقدمات دواوينه، ونجد صدى لأثر **الموشحات الأندلسية** من حيث تعقيد التركيب وبنية القصيدة الشعرية وتجديد المعاني.

أما في موضوعاته ـ في هذه الفترة ـ فنجد كثيراً من جوانب الحب السلبي، فأشعاره مليئة بالحزن والحرمان... فهو لا زال بسيطاً لا يعرف كيف يجد طريقه إلى قلب الأنثى.

وانعكست المادة السياسية في مجموعته الثانية، وهي نتيجة حتمية لمن يعيش في خضم الأحداث التي كانت تمر بها الأمة العربية بعد عام ١٩٤٨م.

يوسف الرجل الجامعي

هناك يوسف الشاعر، وهناك يوسف الأستاذ الجامعي الجاد في مؤلفاته ذات المشاكل المتعددة التي ثارت الخصومات حولها وفيها، ويوسف الجامعي، اختلفت فيه الأقوال... ولعل الشاعر في نشاطه وحيويته ومعاملته لطبقات اجتماعية متفاوتة قد أثار كثيراً من الحسد أكثر مما أثار كثيراً من الإعجاب.. لبروزه الشديد بين أقرانه وتفوقه المبكر في محيطه.

ويوسف الإنسان الشاعر الإنسان له عدة جوانب، ترى يوسف الهازل، أو يوسف الضاحك، أو يوسف الوفي الأمين.

ولا يمكن أن تعرف من يوسف المؤلف والأستاذ الجامعي هذا الثاني الذي أتحدث عنه الآن... ما لم تعاشره وتلقاه وتحادثه وتجلس معه.

وقد نراه في **ديوانه الثالث «هاث الحياة»** (بيروت ١٩٦٠م) يختلف عن الاثنين معاً... فهو شاعر وليس أستاذاً وهو حزين وليس ضاحكاً.

وفي هذا الديوان نراه يمزج الشعر الوطني والشعر الذاتي، ولم يجد له طريقاً واضحاً.. فهو مرآة تدور وليست ثابتة أو مستقرة... وإن كنت أفضل للفنان نوعاً من التخصص في الموضوع الذاتي أو الوطني لاستخراج أفضل ما فيه.

شاعر العرب

ولكن الشاعر، حين يتكلم عن الوطن في هذا الديوان فوطنه لم يعد العراق وإنما هو الذي يمتد من ساحل المحيط إلى الخليج العربي... فكل الأنّات حيثما صدرت نجد له صدى فيه.. فالجزائر أو مصر أو العراق كلها هناك. وكما كبر يوسف في السن فقد كبرت تجاربه العاطفية سلباً وإيجاباً، فالحزن أصبح أكبر مما كان والفرح أصبح أكبر مما كان، وتلونت المرأة وأصبحت لها جنسيات مختلفة، فلم تعد المرأة بغدادية أو قاهرية، فقد جاءت هذه المرة من لندن ومن روما ومن استانبول، ومن مدينة ما في ألمانيا أو غيرها من البلدان.

وأصبح في عواطفه أكثر عنفاً في التعبير، فهو احتراق الشمعة الشديد قبل أن تحل الشيخوخة... فهي الرجولة أو الكهولة التي لا زالت يعضها الجوع إلى الحب صرفاً وممتزجاً... حلواً أو مراً... عابراً أو دائماً.

وكثيراً ما يراجع نفسه في ساعات اليأس ويرى نفسه أنه قد أفلس من حياة كانت زاخرة باللهو فيقول:

لم تبق غير الذكريات وطيبها
ومرارة الآلام والحرمان
يا قلب ويحك كل يوم واجف
نضبت قواك وأنت بعدك حاني
في كل يوم لوعة مهراقة
قد حطمتك لواعج الأزمان

.. الشاعر والإنسان

يا ويح قلبي ما يتوب عن الهوى
قد أسكرته مفاتن الغزلان

تحس وأنت تقرأ الشاعر في هذا الديوان، أن الشاعر على مضي هذا الزمن الطويل لم يكتشف أسلوبه الخاص ولم يتمكن من تليين العبارة الشعرية فهي قوية واضحة بعيدة عن الليونة والخفة والمطلوبتين في الأسلوب الشعري الوجداني.

الشاعر .. والأدب الحديث

حين أتكلم عن الأدب الحديث أعني به الأدب في العراق. فقد كانت مدرسة **الرصافي والزهاوي** قد آذنت بظهور هذا الأدب الحديث في الوقت الذي بدأ فيه الاقتراب بين الشرق والغرب.

وقام هذا الأدب الحديث على التجديد في اللغة والتخفيف من أساليب الماضي. وقد عبَّر هذا الأدب الحديث في بدايته عن المظاهر الحضارية الجديدة والأفكار والمكتشفات العلمية والمخترعات.

وكانت هذه الأشياء التي انعكست في هذا الأدب إنما هي موضوعات جديدة فقط ولم تكن تجارب انفعالية ذاتية فالشاعر الحديث من مدرسة الرصافي والزهاوي بقي يصف ما هو خارج عنه دون انفعال أصيل أو عميق، فالمدح تحول إلى الإعجاب بزعماء الساسة وكبار المفكرين والأدباء، وتحول الهجاء إلى أعداء الأمة والاستعمار، وتحول الوصف إلى صفة ما حول الشاعر من مظاهر حياتية جديدة فمن البعير إلى السيارة، ومن قطار الإبل إلى قطار البخار.

وعلى هذا لم يكن الشاعر الحديث بأكثر من شاعر قديم استبدل العمامة أو الطربوش بالسدارة، واستبدل الوقوف على الطلل بالوقوف على ملعب كرة القدم أو بناء مدرسة !! فالجديد ليس بجديد حقاً.

وتناولت هذه المدرسة الأفكار التي استحدثها الغرب وابتدعها في السياسة والاقتصاد والعلوم والفلسفة، وحاول رجال المدرسة نقل هذه الأفكار كما هي بعد أن أظهروا حماسة لتبنيها لا لأنها صالحة كل الصلاحية لعصرنا، بل لأنها حديثة منتسبة لأوروبا نشرت عنها المجلات بحوثاً وقرأ فيها الشاعر كتباً مترجمة.

وبهذا فقد وقع الشاعر في مأزق نفسي في هذه المدرسة فهو أبداً يوازن بين الواقع اليومي وبين الواقع النظري الذي حصل عليه من المجلات والكتب، فعكس أدب مدرسة الزهاوي والرصافي شعوراً حزيناً متألماً ظناً منهم أن على المجتمع أن يقفز إلى الأمام قفزاً مستجيباً لأفكارهم ودعواتهم دون النظر إلى واقع التطور اليومي في الكيان الاجتماعي، وانتهت هذه المدرسة بموت الزهاوي والرصافي وغالب تلامذتها الكبار مثل **الشبيبي والبناء**. أو بانحسار هذه المدرسة إلى التكايا والمدارس الدينية والمناسبات أو الصمت بسبب السن وتبدل الأيام. وظهرت المدرسة الحديثة فعلاً التي عانى فيها الشعراء الحياة الحديثة ثقافة ومعيشة ودراسة وشعراً واطلاعاً، وهذه المدرسة تضم كافة التيارات المختلفة في شعرنا المعاصر من حيث العقيدة أو المعالجة في الموضوع أو التطور في الشكل. ونحن لا نريد أن نتكلم عن الفروق الكبرى بين تفريعات مدارس الشباب الحديثة، وإنما يهمنا في الواقع معرفة الموضوعات المشتركة والخصائص المجتمعة.

شارك أغلب شعراء هذه المدرسة الحديثة الثانية في التجديد في الشكل، ويختلف الشعراء من شاعر إلى آخر في مقدار هذا التجديد.

★ الدكتور يوسف عز الدين، وعن يمينه الدكتور داود السلوم عام ١٩٥٩م ★





يوسف عزالدين .. الشاعر والإنسان

فمنهم من هجر القافية الموحدة ، ومنهم من هجر البحر الواحد ، ومنهم من خرج على عدد تفعيلات البحر الواحد ، ومنهم من سقط في النثر وكتب نثراً مركزاً تغلب عليه الصور البلاغية .

وغلبت على الشعراء في هذه الفترة من حيث الموضوع ثلاثة اتجاهات هي : (الجانب الذاتي الرومنتيكي ، والجانب الاجتماعي التصويري ، والجانب السياسي القومي أو الديمقراطي) . واختلف الشعراء أيضاً في تغليب اتجاه على اتجاه بواسطة الاهتمام في موضوع معين أكثر من الاهتمام في موضوع آخر .

ومن خلال الشكل والموضوع وطبيعة معالجتها يمكن أن نحدد خصائص كل شاعر على حدة بمقدار أثر الشاعر وقوة شخصيته أو تكامله ، أو بمقدار اعتماده على الآخرين وخضوعه لأثرهم عليه .

وبذلك يمكن أن أحدد خصائص يوسف عز الدين بسهولة ويسر وذلك بالنظر إلى الشكل فهو تقليدي في بحوره في الغالب ، مجدد في قوافيه ومعانيه ، لغته أنيقة فيها ظل المعنى القديم وجزالة التركيب اللغوي المتماسك المنتزع من الأساليب اللغوية والشعرية القديمين .

أما مضامينه فهي تتراوح بين الشعر الذاتي ، والشعر السياسي ، وغلب في شعره الذاتي الغزل على التأمل العميق أو الفلسفة الحزينة أو المتفائلة .

فالشاعر ، شاعر حب حساس صادق ، انفك من قمقمه الضيق في المجتمع المحافظ إلى رحاب مفتوحة واسعة في القاهرة والإسكندرية ولندن والمدن الأخرى في الشرق والغرب يصطاد بشعره وخلال مهارته الخاصة به ما يستطيع من ساعات اللقاء التي لا يبقى منها غير لوعة عشق **فرتر** ، أو أشواق **رفائيل** . فترك ذلك أثره في شعره .



★ د. يوسف عز الدين ★

أما الشعر السياسي فغلب عليه ما غلب على جيله من الشعراء ، وهو موضوع الصراع السياسي بين العرب والاستعمار .

ويفتقد الشاعر الشعور الاجتماعي والمعالجة للموضوعات الاجتماعية فهو في شعره بعيد عن العالم ملتف حول نفسه وذاته في إعجابه بنفسه ، وبما له ، وبما يعود له ، وقد ينظر من حين إلى حين إلى البيئة التي يعيش فيها ويواكب مشاكلها ، بشكل الشخص المتفضل لا الشاعر الذي يقف في وجه الأزمة أو وسطها ، وإني أختلف مع السيد « **صاحب كمر** » في كتابه « **الرؤية الشعرية** » في تفسيره لشعر يوسف عز الدين . فقد حاول المؤلف أن يفسر شخصية الشاعر يوسف عز الدين تفسيراً جديداً من حيث تناوله غرض « الغزل » في شعره .

فقد عرض السيد « صاحب كمر » رأياً جديداً ولكنه لم يكن رأياً صائباً ـ انتهى فيه إلى أن شعر الغزل عند يوسف لا يمكن أن يتوجه إلى المرأة وإنما أحاله إلى رمز الأرض التي أنبتته واحتضنته . ولا أظن الكاتب في ذلك إلا أنه يغالط نفسه ، أو يغالط الشاعر الذي أشار صراحة في هذه القصائد إلى الزمان والمكان والاسم ماذا نفعل بالشعر الغزلي الصريح الذي تخصص بأسماء نساء واضحات المعالم ، أو اللواتي تركن وراءهن عطرهن وخصلهن في القصيدة وعيونهن كعيون المها مصورة في أدب الشاعر ؟ .

أما المسألة الثانية التي حاول المؤلف أن يعرضها لنا في هذه الدراسة هي مسألة **الالتزام في شعر الشاعر** . وهذا أمر بديهي ، فعصرنا عصر صراع سياسي بين الأمم وشعر الشاعر إن هو إلا انعكاس لجيله وزمنه وعصره وكيف يمكن لإنسان أن يحيا في عصرنا دون أن يلتزم .



بدايات الشعر اليوناني الحديث

بقلم: د. نعيم عطية

يبدأ الشعر اليوناني الحديث بشاعر كبير هو ذيونيسيوس سولوموس الذي أرسى بعطائه الشعري تقاليد واصلها «شعراء الجزر الأيونية» مكونين مدرسة تميزت على الأخص بما قدمته من عطاء أدبي ممتاز، قلَّت فيه أعمال النثر وبرزت أعمال شعرية اتصفت «بمثاليتها» من ناحية الموضوع و «موسيقيتها» من ناحية الشكل.

دانتي اليونان

ولد **سولوموس** عام ١٧٩٨م، في زاكنثوس وهي إحدى جزر يونانية سبع عرفت بالجزر الأيونية نسبة إلى البحر الأيوني الذي تحتل فيه موقعاً في مواجهة الأرض الإيطالية. وقد ظلت هذه الجزر بمنأى عن الاحتلال العثماني.

تلقى **سولوموس** علومه بالمدارس الإيطالية. وبعث به أبوه إلى إيطاليا حيث درس القانون دون أن يحصل على شهادة بإتمام هذه الدراسة، فقد كان باله منشغلاً بالشعر والشعراء. وقد كتب فعلاً قصائده الأولى بالإيطالية، إلى أن تبين نتيجة لقول أحد أصدقائه أنه لن يضيف جديداً إلى الشعر الإيطالي، **فليس هذا الشعر بحاجة إلى دانتي جديد**، أما الشعر اليوناني فبحاجة إلى من يوقظه من سباته. ولما عاد **سولوموس** إلى جزيرته راحت الروح اليونانية تستيقظ بأعماقه، وتنفض عن كاهلها ركامات الدراسة الإيطالية، ليجد نفسه شاعراً يونانياً خالصاً. وقد بحث عن معينه فوجده في «**الأغنية الشعبية**». وكتب قصائد تتصف بالسلاسة والعمق، حتى إنه كان ما إن يؤلف قصيدة ويذيع أمرها، حتى يتغنَّى بها أهل جزيرته. وقد عول **سولوموس** كثيراً على هذه العلاقة بينه وبين شعبه. **فكان يقول إنه لا يكتب قصائده للقلة، بل للكثرة العريضة.**

عاش **سولوموس** في عصر الرومانسية، وهذا جاء بدوره شاعراً رومانسياً، وكان من أشد المعجبين بالشاعر الإنجليزي **بايرون** (١٧٨٨ ـ ١٨٢٤م) الذي كان بدوره أكبر عشاق الروح اليونانية ومات في إحدى المعارك من أجل استقلالها. وقد قدر **لسولوموس** أن يرتقي بتفهمه للروح الشعبية إلى أن يصبح أكبر شعراء الوطنية بقصيدته الطويلة «**أغنية إلى الحرية**» التي سيستقي منها «**السلام القومي**» اليوناني بعض مقاطعها، فتجري أبياته القوية على كل لسان.

لم تكن في حياة **سولوموس** أحداث مثيرة. وقد كانت «مثاليته» تتجاوز قدراته. ولهذا جاءت كثير من قصائده طويلة وغير مكتملة، فقد كان يتأمل عمله ويخطط له طويلاً، وعند التنفيذ كثيراً ما كان يتوقف وينصرف عن إنجاز العمل. وكان صديقه **مونتي** يقول له: «**المهم في الشعر هو الشعور وليس العقل**» ولكن **سولوموس** كان يريد أن يقدم أعمالاً متوازنة، تستقى من الوجدان، وتصل إلى كمالها عبر التفكير والتأمل.

ونجد في شعر **سولوموس** الطبيعة باعتبارها الدلالة على وجود الله، والوطن باعتباره المستقبل والغاية، الأم الرؤوم والرعاية، ولكن الشاعر مهما تأمل الطبيعة، فمن أعماق ذاته يستمد اليقين بالحقيقة. وهكذا يتحول الشاعر إلى «**المثالية**» ويتحمس لآراء الفيلسوف الألماني **شيلر** (١٧٥٩ ـ ١٨٠٥م) دون أن يتخلى على أي حال عن جذوره الإغريقية. وهكذا اختلطت «المثالية»، «**بالقومية**» في شعر **سولوموس** الذي أعلن أن «**على الشعب أن يعتبر قومياً كل ما هو حقيقة**».

وفي نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٨٥٧م، مات شاعر اليونان الكبير تاركاً العديد من الأعمال الناقصة وغير المنشورة. بل إن بعض القصائد التي كان يعلم أصدقاؤه المقربون بوجودها بين أوراقه لم يعثر لها على أثر. وبصعوبة سمح أخوه **ديمتريوس** بنشر ما خلفه من مسودات صدرت في مجلد واحد عام ١٨٥٩م.

هذه حياة **سولوموس** الذي لقب «**دانتي اليونان**» ونجد في أفضل ما بقي لنا من قصائده ميزتين لم ينتقص مرور الزمن من قيمتهما شيئاً. الميزة الأولى حسه النقدي المرهف لأعماله وشجاعته على إقصاء كل ما لا يرضي فيه



مثله الجمالية العليا ، والميزة الثانية تحقيقه للتوازن بين عمق المعنى وسلاسة التعبير وموسيقية الأداء في العمل الشعري . ونقدم فيما يلي من عطاء **سولوموس** الشعري قصيدته «**الأم المجنونة**» :

« الآن ، وقد وجدنا الليل ، مضاء النجوم ، وحدنا منتظرين ، وهناك عند الصخر يتمزق صوت البحر في خفوت .

الآن ، وقد تفتح كل صدر للأحزان ، اسمعوا حكاية ، تمس شغاف القلوب .

في الجبانة شجرتا سرو متآخيتان ، بين القبور مخضرتان . لو كنت تراهما كيف تتمايلان عندما تنوح الرياح في منتصف الليل ، لقلت إنهما تبكيان الأحياء وتندبان . وتحت الثرى ينام نومة الموت أخان مسكينان لا صحوة لهما ، بينما طاش صواب أمهما من أجلهما ، وأصابها خبال . كان التعسان يلعبان ، هناك حيث يقوم الحصن ، فهوت عليهما صاعقة أزهقت روحيهما التعستين . وفي ثياب بيضاء ، أنزلا مكللين بالورود إلى غياهب القبر متعانقين .

ما كنت تسمع في الجبانة نباح كلب ، ولا زقزقة طير ، ولا تمتمة شفاه ، ولا حفيف غصن ، ولا حتى أنفاس أحياء . خرير ماء فحسب ، في الهدوء العميم ، يتناغم حيثما سال نبع رقراق ، ينفث نسمات ترطب شواهد كل قبر . أما من الجناز فلم يبق سوى رائحة بخور ينسكب في الخلاء .

تهرع الأم المكلومة إلى هناك . تتوقف ، تتشمم الهواء ، وتعتصر فكرها ـ يا للأم الشقية ! ـ كما لو كانت تريد أن تتذكر شيئاً ولا تستطيع . تتكئ إلى الحائط ، وتشرد نظراتها . ومن لوعة الحزن تبتسم ، محنية ، للزرع النابت بين القبور ابتسامة مرة .

ثم تبتسم للسحب والنجوم ، وقد استبدت بها رعشة ، مهدلة الذراعين ، تنكئ باكية ، وتنتفض من شدة ذعرها . تهمد لحظة ، وتنسى ، ثم تعود تبدأ الطواف داخل الأسوار ، باحثة من جديد ، تدور ، وتدور ، وفي النهاية تدخل الكنيسة ، وتصعد الدرجات مسرعة الخطى إلى موضع الأجراس .

كان القمر بدراً يسكب في هدوء الليل نوره ، رائقاً مثلما في أول ليلة خُلقت فيها الضياء . لكن المسكينة ، وقد اختل صوابها ، راحت تجيل النظرات الملتاعة من حولها . تدق الأجراس ، وقد استبد الرعب بها ، وتعالى من فمها الصياح :

« بسرعة ، فليرحلوا عن الوديان العتيقة ، ومن الظلمات الكثيفة الخافتة ، آه ! كم ينسحق بالأحزان قلبي . بسرعة ، فليرحلوا . ما عدت أحتمل شكل الغطاء المهترئ الذي ألقي على ولدي وغطى وجهيهما » .

جلان ، جلان ، تدق أجراس الكنيسة . جلان ، جلان ، في السكون يرن رجع الصدى ، يرد عليها بالألم المخيف وبالأسى .

« من الدير القصي جلبت للولدين تعويذتين مباركتين ، خيطين أقيس بهما طول كل منهما أودعهما حضني ، وأحتفظ بهما ، وبالخيطين سأقيس كل يوم قبريهما .

جلان ، جلان ، تدق الأجراس . جلان ، جلان ، في السكون يرن رجع الصدى ، يرد عليها بالألم المخيف وبالأسى » .

« بالصلوات بح صوتي . وأوشكت الشموع أن تنطفئ . يئن خشب الفراش حيث يرقد الموت . وتدق الأجراس بطيئة محملة بالألم . أجل ، أجل ، لقد ماتا . إلى الظلمات أنزلوهما ـ أسمع الجلبة ـ إلى أعمق الأعماق أنزلوهما » .

جلان ، جلان ، تدق الأجراس . جلان ، جلان ، في السكون يرن رجع الصدى . يرد عليها بالألم المخيف وبالأسى .

« لماذا تهيلون التراب عليهما ؟ حذاري حذاري ، لا تحجبا الجسدين الصغيرين اللذين راحا في نوم حلو . غداً سنقطف زهراً . غداً سننشد أغنيات عذبة ، عندما يأتي الربيع برياحينه الوفيرة العاطرة » .

جلان ، جلان ، تدق الأجراس ، جلان ، جلان ، في السكون يرن رجع الصدى ، يرد عليها بالألم المخيف وبالأسى .

جلان ، جلان ، مضت تتخبط ، وتولول ، وتضطرب . وتردد ما تقول حتى بح صوتها ، وفي حلقها اختنق . وإذا بنسمة رقيقة منعشة تستقيظ هفهافة محملة بعبق الفجر النضير العطر . تمر الأوراق على الأغصان وبالقلوب مرتجفة ، مثل الخيال يرسم السعادة أينما خطرت فرشاته . أما هي ، المسكينة ، فقد مضت في الضباب تسير ، وإلى الخلاء ولت . آه ، إن العذاب في السويداء عميق . وبقلب حزين مرت بالقبور كلها ، تلقي عليها النظرات ، وتحصيها بإيماءة وئيدة من رأسها .

نواح الصبية الميتة

وربما كان **براسيموس ماركوراس** المولود عام ١٨٢٦ م ، والمتوفى عام ١٩١١ م ، أفضل الشعراء المنتمين إلى مدرسة **سولوموس** . وتعتبر ملحمته الغنائية «**القسم**» التي استمدت موضوعها من الثورة الكريتية عام ١٨٦٦ م ، من أبدع ما كتب في هذا النوع من الشعر . وقد جمع **ماركوراس** في قصائد ديوانيه «**أعمال شعرية**» و «**رحلات قصيرة**» بين ما سبق أن رأيناه في عطاء سولوموس من جمال الصورة وعذوبة النغم . ونقرأ الآن من شعره قصيدته «**نواح الصبية الميتة**» :

« يا أيتها الدنيا الجميلة ، بأي شوق أطويك الآن في قلبي ! .

أسمع نسمات ربيعك حتى وأنا في أعماق قبري .

ضمن كل ما تنبت الأرض من حولي ، وددت ، يا إلهي ، أن أبزغ من التربة التي تحوطني ، مثلما تبزغ وردة ! .

أربع عشرة مرة ، رأيت مهرجان الربيع هذا ، قبل أن يجري الموت إلى قفار بلا زهر .

كنت بدأت ، يا لتعاستي ، ألتقي حلو اللقاء ، بالنسيم ، بالأغصان الخضراء ، بالنبع .

كان الزهر والعشب ، ونجوم السماء الكثيرة ، يهمس كله في صدري بشيء لم يكن يدركه عقلي .

اكتسى الفجر في عيني جمالا جديداً ، وأيقظ القمر بأعماقي مئات الأحاسيس الدفينة .

كنت أينما سرت وحيدة بين الزهور أو بأرض موحشة ، أسأل من التقي به لو يعرف كنه ما أشعر به فيخبرني .

من وجه جميل ، أو من نظرة ملائكية ، كان الجواب يكاد يطالعني ، وأوشك أن أراه مكتوباً .

ولكن قبل أن أتلقى من الصوت إجابة واضحة صريحة ، انقض الموت كالصقر ، وألقى بي هنا .

هذه الذكرى تجثم على صدري ثقيلة ، مثل تراب القبر الذي أرقد فيه طريحة ، بينا يريدني عصفور العالم الآخر أن أزداد معه صعوداً ! .

أواه ، يا إلهي ، فلأعد إلى الحياة من جديد ، فلأعد بالقدَر الذي يكفي كي أعرف ما يضمره قلبي من سر كبير» .

الملاكان

ويعتبر **يوليوس تيبالذوس** المولود عام ١٨١٤ م ، والمتوفي عام ١٨٨٣ م ، أكثر أتباع **سولوموس** وفاء لتعاليمه . وقد لفت عطاؤه الشعري الأنظار بمثاليته . وكتب قصائد غنائية وملحمية ، لقي بعضها شعبية كبيرة ، مثل قصيدته « **الرحيل** » . وهذه أبيات من قصيدة هذا الشاعر بعنوان « **الملاكان** » :

« في الليل البهيم ، من ناحية الغرب ، أقبل ملاك الموت . رفرف بجناحيه السوداوين ، فهمدت دفقات الهواء ، وجمد السلسبيل . وعلى الوجود ، انبسط توأ صمت القبور .

وها هو ملاك الحياة قبالته يطير . ينثر في طريقه عبق البخور وعالياً في السماء ازدادت النجوم لمروره وضاءة وسحراً ونبتت من الأرض زروع خضر ورياحين .

تلاق الملاكان وسط السماء وتسمرت مرتعشة من حولهما الأرض والبحر والنجوم ، كما لو كانت أصداء النشور دوت في الصدور ، وانكتمت الأنفاس لمرأى الحياة والعدم في صحبة واحدة .

ملاك الحياة :

ارخ جناحيك
قاتمي السواد . ارخهما .
كم من الأفراح ، يعجز اللسان عن وصفها ،
أطفأها مجيئك !

ملاك الموت :

أوتنسى كم من عواطف جامحة أيضاً
تذوب بين يدي ؟ ،
وكم تمضي الأيام كئيبة
في هذا الوجود الفاني ؟

ومن الشعراء المنتمين إلى مدرسة **سولوموس** أيضاً **يورغوس تيرتسيتيس** المولود عام ١٨٠٠ م ، والمتوفي عام ١٨٧٤ م . وكان قاضياً عرف بغيرته الوطنية ، ورفض أن يحكم بإدانة المناضل القومي **كولوكوترونيس** . ومن أفضل قصائد هذا الشاعر « **أفراح الإسكندر الأكبر** » . وقد وضع أعمال **سولوموس** والأغاني الشعبية نصب عينيه ، وعاش أغلب سنوات حياته في أثينا حيث كان الصوت الناطق بأدب الجزر السبع .

شجرة الزيتون

أما **لورينتزوس مافيليس** المولود عام ١٨٦٠ م ، والمتوفي عام ١٩١٢ م ، والذي كتب بعضاً من أجمل الشعر الغنائي ، فقد عرف بشجاعته الوطنية ، وسقط شهيد إحدى معارك التحرير في **أبيبروس** . ولئن كان شديد الإعجاب بفلسفة **شوبنهور** (١٧٨٨ ــ ١٨٦٠ م) ، إلا أنه بدا معتزاً بقوميته فيما يكتب . وفي قصيدته « **شجرة الزيتون** » يقول :

عششت اليعاسيب في جذعك الأجوف ، يا شجرة الزيتون العجوز ، يا من تتمايلين ، متشحة بخضرة قليلة تتزينين بها زينة الموت .

كل عصفور سكر بالحب يشقشق ، وينخرط في مطاردة الحبيب على أغصانك التي لن تزهر من جديد .

كم ستعزيك في جنازك هذه الأهازيج الساحرة ، أهازيج الصبوات والجمال الخالد . الأهازيج التي بداخلك مثل الذكريات تتكاثر .

أواه ، لو أمكن أن تموت ميتتك هذه أرواح أخرى ، تجمعها الأخوة الوطيدة بروحك .

ومن شعراء مدرسة سولوموس أيضاً **ستيفانوس مارزوكيس** المولود عام ١٨٥٥ م ، والمتوفي عام ١٩١٣ م ، والذي تأثر بالشعر الإيطالي الرومانسي ، **ويورغيوس كالوزغوروس** المولود عام ١٨٥٣ م ، والمتوفي عام ١٩٠٢ م ، والذي ترجم عن الإيطالية « **جحيم** » **دانتي** . كما ترجم إلى اليونانية ما كان قد كتبه **سولوموس** من قصائد بالإيطالية ، **وياكوفوس بوليلاس** المولود عام ١٨٢٦ م ، والمتوفي عام ١٨٩٦ م ، وقد ترجم « **الإلياذة** » و « **الأوديسة** » إلى اليونانية الحديثة . كما ترجم إلى هذه اللغة بعض أعمال **شكسبير** المسرحية . على أنه برز في تاريخ الأدب اليوناني الحديث بكتاباته النقدية على الأخص .

على أنه مهما كان تأثير **سولوموس** على شعراء الجزر السبع ، إلا أن من شعراء هذه الجزر أيضاً من لم يتأثروا به ، واختطوا لأنفسهم في عالم الشعر سبلاً خاصة . ومن أبرز هؤلاء الشاعران الكبيران **أندرياس كالفوس وأرسطوطيليس فالاوريتيس** .

كالفوس

وقد عاش **أندرياس كالفوس** المولود عام ١٧٩٢ م ، والمتوفي عام ١٨٦٩ م ، أغلب سنوات حياته في إيطاليا وإنجلترا حيث توفي بها . جاء إلى اليونان إبان ثورة الاستقلال ، وعيّن أستاذاً « **بالأكاديمية الأيونية** » في **كيركيرا** واستقر به المقام بها خمسة وعشرين عاماً دون أن يلتقي على الرغم من ذلك **بسولوموس** . وقد تعمق **كالفوس** في دراسة الشعراء القدامى ، وتأثر على الأخص بالشاعر **بينداروس** (؟ ٥٢٢ ــ ٤٤٨ ق . م) .

وينحصر عطاء **كالفوس** الشعري في « **عشرين قصيدة** » مستلهمة من الكفاح اليوناني من أجل الاستقلال عام ١٨٢١ م . وقد نشرت العشر قصائد الأولى في **جنيف** بعنوان « **القيثار** » عام ١٨٢٤ م ، ونشرت العشر قصائد الأخرى في **باريس** بعنوان « **أغنيات** » عام ١٨٢٦ م ، ثم نشرت القصائد العشرون في ديوان واحد مصحوبة بترجمة إلى الفرنسية .

ويعتبر **كالفوس** أكثر الشعراء اليونانيين تميزاً بطابع خاص . وهو من أرق الكلاسيكيين في الشعر اليوناني الحديث ، وإن كانت قصائده لا تخلو من شجنية رومانسية . ولئن كان لم يترك أثراً مباشراً على من جاؤوا بعده من الشعراء ، على عكس **سولوموس** ، إلا أنه جمع بين عطاء الشاعرين الكبيرين تغنيهما بالكفاح في سبيل الحرية ، والثورة من أجل الاستقلال .

أرسطوطيليس

أما **أرسطوطيليس فالاوريتيس** المولود عام ١٨٢٤ م ، والمتوفى عام ١٨٧٩ م ، فقد درس في إيطاليا وسويسرا وفرنسا . وشارك في الحركة الوطنية ومعارك التحرير شجاعاً غير هياب للأخطار . وانتخب نائباً في « **البرلمان الأيوني** » وهو برلمان الجزر السبع . وكافح من أجل الوحدة بين الجزر السبع واليونان الأم . وبعد الوحدة أختير نائباً في البرلمان اليوناني . وقد استلهم **فالاوريتيس** كثيراً من قصائده من حركة النضال من أجل الاستقلال الذي تحقق بثورة عام ١٨٢١ م . والتفت شأنه في ذلك شأن **سولوموس** إلى الأغاني الشعبية التي اهتدى بثرائها اللغوي . وقد طعم الشعر اليوناني بكثير من التعبيرات والاستخدامات اللغوية خفيت حتى على **سولوموس** نفسه .

الصخرة والموجة

كما هام **فالاوريتيس** إعجاباً بالشاعر الفرنسي الكبير **فيكتور هوجو** (١٨٠٢ ـ ١٨٨٥ م) الذي استعار منه « **الرومانسية** » بكل خصائصها ، وصار أفضل الشعراء الرومانسيين اليونانيين . وهو من ألصق الشعراء اليونانيين بالطبيعة ، وأشدهم ولاء لها . وقد أثر بذلك على الشعراء اليونانيين من بعده . وسوف يكون **فالاوريتيس** همزة الوصل بين شعر الجزر وشعر المدرسة الأثينية الجديدة التي ستحتل مكان الصدارة في تاريخ الأدب اليوناني الحديث اعتباراً من عام ١٨٨٨ م ، كما كان **سولوموس** همزة الوصل بين الشعر الكريتي في القرن السابع عشر وشعر الجزر الأيونية . ولنقرأ فيما يلي واحدة من قصائد **فالاوريتيس** ولنستشف منها مبلغ ارتباطه بالطبيعة ، واستشعاره بالضراوة التي تكتسي بها روابطها ، تلك الضراوة التي تصبغ صورها بجمال شجني أخاذ أفرغه **فالاوريتيس** في شعره ، فاستحق الخلود . لنقرأ قصيدته « الصخرة والموجة » :

بجسارة تصيح الموجة حانقة مكفهرة .
تقول لصخرة اليم « افسحي لي الطريق ، أيتها الصخرة ، كي أمر .
افسحي الطريق في صدري الذي كان هامداً ،
عششت رياح الشمال وعواصفه السود .
ما عاد الزبد سلاحي ، ولا الجلبة الجوفاء مركبتي ،
بل أنهار الدم سلاحي ومركبتي .
استبدت بي لعنة عالم طفح به الكيل ، عالم يهتف الآن قائلاً :
(أيتها الصخرة ستسقطين . حانت نهايتك الرهيبة)
عندما كنت آتي وادعة الخطى ، وجلة كسيرة ،
ألثم قدميك ، أغسلهما كجارية ،
كنت تنظرين إليَّ مختالة ، وتنادين الملأ ،
كي يشاهد المهانة التي يلقاها منك رذاذي ،
ومع ذلك ، فقد مضيت ليل نهار ، وأنا أغمرك بقبلاتي .
ـ مضيت أنخر في أعماقك سراً ، وتنحت لحمك أنيابي .
بالطحالب كنت أخفي الجراح التي شققتها في بدنك ، وأواري بالرمال الحفر التي أصنعها .
أيتها الصخرة المحني . أطلي في غياهب البحر على جذورك .
نهشت دعائمك ، أحلتك حجراً أجوف .
افسحي لي الطريق ، أيتها الصخرة ، كي أمر !
قدم العبد سيطأ عنق السيد .. استيقظت ، هببت أسداً . . . » .

كانت الصخرة نائمة ، بالضباب مغلفة . تبدو كما لو كانت عن وعيها غائبة ، مسجاة في أكفانها ميتة . على جبينها الذي انحفرت فيه التجاعيد الغائرة طبع القمر الشاحب ضياء خافتة . من حولها تهب أحلام وصيحات لاعنة وفي دوامات الريح تصطخب أشباح مثل طيور جارحة عندما تتشمم جيف الموتى .

سمع الصخر آلاف المرات زئير الموج ، وتهديداته القاسية ، يتردد صداها في جنبات الأثير غاضباً متهدجاً ، لكنه ما كان يصحو من نومه ، ولا يعير الموج أدنى التفاتة ، أما اليوم فقد ارتعدت فرائصه ، وأوشك بأسه أن يخذله ، فسأل :

« أيتها الموجة ، ماذا تريدين مني ، ولماذا تُرهبينني ؟ من أنت ، وكيف تجسرين ، بدلا من أن تُنعشيني برضابك ، وبأغنياتك تهدهدي نومي ، وبمائك الرطيب تغسلي قدمي ، كيف تجسرين على الوقوف أمامي متوعدة ، وقد توجت هامتك بأكاليل الزبد الأبيض ؟ أيا من كنت . فاعلمي أنه ليس من السهل أن أسقط » .

« أنا الانتقام ، أيتها الصخرة ، على الأوجاع ربيت ، وغذتني الأيام حقداً لك مراً . كنت من قبل مجرد دمعة ، أما الآن ، فانظري إليَّ ، أصبحت بحراً لجباً خضماً . لا أحمل بين ضلوعي ، كما ترين ، طحلباً ، بل أجرجر سرباً من الأرواح المنفية ، سحابة تطلب ثأراً . استيقظي الآن ، من جحيمي اندفعت خطواتي إليك . جعلت مني نعشاً . . . وحملتني جثثاً . . . ألقيت بي إلى شطآن أجنبية . . . دفعتني إلى حيث سخر الكثيرون مني ، وأنا ألفظ أنفاسي ، وفي الخفاء تصدقوا عليَّ ، فنفثوا بإشفاقهم السم في خزي ، افسحي لي الطريق ، أيتها الصخرة ، كي أمر ، انقضت السكينة . لم أعد البحر الساجي . أنا الموج الذي يُغْرِقُ ، أنا عدوك الذي لا يرحم . عملاقاً أقف أمامك ! » .

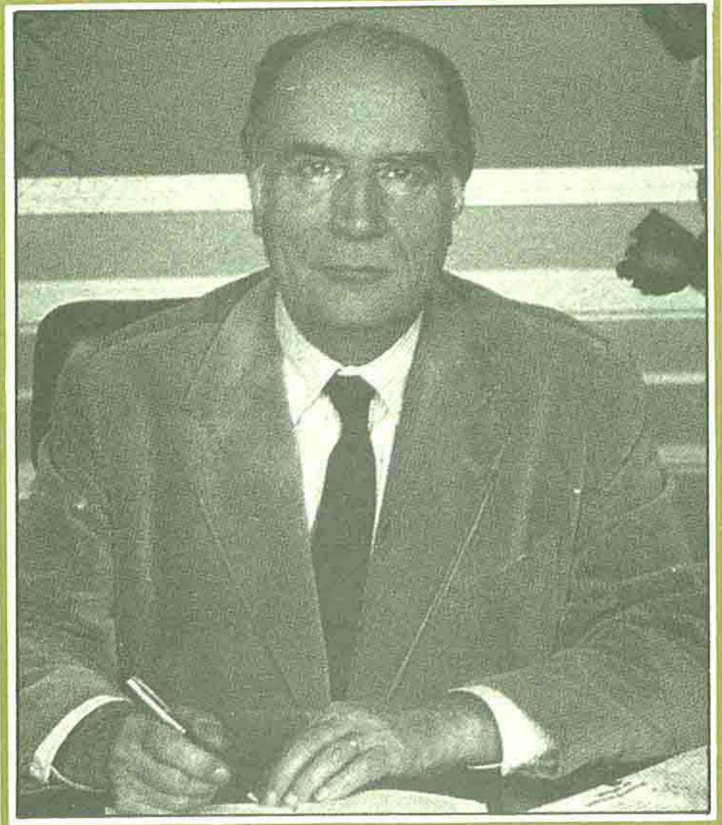
خيَّم الذهول والصمت على الصخرة . غمر الموج المندفع الجسد الأجوف ، وفي الأغوار السحيقة ، ضاعت الصخرة . تهدمت . تهشمت . ذابت مثلما يذوب الثلج . اعتلاها البحر ، ومن فوقها زمجر برهة . ثم أطبق عليها . وحيث كان يقف الشيء الرهيب هناك لم يبق سوى الموج يتلألأ بياضاً وزرقة . وعلى القبر يلهو .

رحلة في كتاب



تأليف : فرنسوا ميتران
تقديم : د. فكتور الكك

هنا... والآن


★ فرنسوا ميتران ★

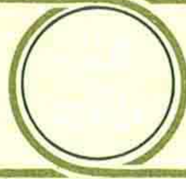
إلا أن كتاب **فرنسوا ميتران ، رئيس الجمهورية الفرنسية** ، ليس من هذا الاتجاه . إذ إنه ألّفه قبل أن يصبح رئيساً للجمهورية ؛ فكتابه تصوُّر حالي ـ مستقبلي لسياسة يريد ميتران أن يضعها موضع التنفيذ فيما لو ارتقى سُدة الرئاسة الفرنسية الأولى . وقد حقّق حلمه فوصل إلى رئاسة الجمهورية ، وكان كتابه « **هنا .. والآن** » مدخلاً إلى رئاسته ! .

ولا بدَّ من الإشارة ، في هذا الصدد ، إلى أن فرنسوا ميتران اقترح على « **غـي كلاس** » (Guy Claisse) ، بناءً على إشارة صديق ، أن يجريا حواراً يكوّن مادة لكتاب ينشره فرنسوا ميتران على الملأ .

أما غي كلاس فصحافي مرموق في **جريدة** « **صباح باريس** » Matin de Paris كان ميتران يقرأ تعليقه الأسبوعي بعدم ارتياح لأنه يحس أن الصحافي المرموق لا يحبّه ولا يرى إلى آرائه السياسية والاقتصادية بالموافقة أو التجانس .

وهكذا اجتمع الصحافي والسياسي دون سابق تصور وتصميم ، من الناحية العملية على الأقل ، ليسجّلا ، **خلال ثلاثة أيام ، خمس عشرة ساعة من الحوار ضمها هذا الكتاب الذي يقع في (٣٠٩) صفحات** من القطع المتوسط ، والذي **صدر عن دار « فايار » في باريس** ، في أواخر عام ١٩٨٠ م . وقد تناول الرجلان ،





في هذه «**المقابلة الصحفية**» الطويلة النفس، معظم القضايا المهمة التي يطرحها واقع فرنسا في الحقبة الحاضرة، سواء السياسية منها، أو الاجتماعية والاقتصادية.

وكان ميتران، الاشتراكي المعارض، لا يفتأ يردد دعوته إلى إقامة «**جمهورية المواطنين**» في مواجهة **النظام الفردي** الذي أوجده **الجنرال ديغول** على صورته ومثاله. وعلى أساس هذا الشعار الجديد كان قد رشّح نفسه لانتخابات رئاسة الجمهورية عام ١٩٦٥م.

أنـا

«**أن يكون الإنسان ذاته، قبل أي شيء**» عنوان **الفصل الأول** من كتاب فرنسوا ميتران. وهو عنوان مثير في نظري يرفع شعاراً يعيد إلى الأذهان تعليم **سُقراط**: «**أيها الإنسان اعرف نفسك**»!.

وهذا الفصل يتناول مسألة لا تشغل بال الرئيس المقبل للجمهورية، وهي مسألة العمر التي يرددها خصومه لغير صالحه، فيجيبها ميتران بقوله: «**يُحكم على المرء بآرائه لا بعمره**». ومهما يكن من أمر فهو، في ميدان السياسة، منذ ٣٥ عاماً، وقد وصل إلى منصب الوزارة وهو في الثلاثين من عمره، فهو، بذلك، **أصغر وزير عرفته الجمهورية الفرنسية منذ عهد الإمبراطورية الأولى**! ولقد حق له أن يردد قولا كثيراً ما يطيب له ترداده: «**أنـا ركن في طبيعة فرنسا**»!.

وقد عرفت فرنسا ميتران تلميذاً قضى ثماني سنوات في مدرسة داخلية خاصة، نفذت خلالها إلى نفسه الفتيّة تعاليم الكتاب المقدس وأفكار روحانية. وليس هذا بضائره، فهو مشدود إلى ذلك الإرث، لم يستطع أحد أن يخضعه لغسل الدماغ، فللاشتراكي الحق في أن يؤمن بالله! فليس لتيّار فكري، أيًّا كان، أن يناقض الاختيار الروحي عند رجل واع.

والآخـرون

فإذا انتقلنا من الكلام على الذات إلى الكلام على الآخرين، وجدنا المُحاور الصحافي لرئيس المستقبل يطرح أسئلته ببراعة تساير الإحراج. وبذلك ندخل في فصل ثان عنوانه «**المنعطف الشيوعي**».

إلا أن ميتران يواجه الواقع بشجاعة، كما هـو، لا كما يرجو. فيعترف بأن على الحزب الاشتراكي أن يتحالف مع الحزب الشيوعي ليقف



★ شارل ديجول ★



★ جيسكار ديستان ★

في وجه اليمين والتجمعات التي تدعم «**جيسكار ديستان**» لأن الاشتراكيين لا يستطيعون تأمين الأكثرية النيابية وحدهم، فهم مجبرون على تحالف كهذا، بشرط أن يحتفظوا بشخصيتهم؛ مع علمهم بمزايدات الشيوعيين ونسفهم «**البرنامج المشترك**» الذي أقامه الطرفان؛ بالإضافة إلى فسخهم «**اتحاد اليسار**» عام ١٩٧٧م.

أما أسباب فسخ هذا الاتحاد فتعود إلى أمور منها:

- **أولا**: خوف قادة الشيوعيين ـ إذا ما قُيِّض لهم أن يتسلّموا الحكم ـ من مواجهة الأزمة الاقتصادية والصعوبات الناجمة عنها.
- **ثانياً**: خيبتهم بسبب فقدانهم زعامة اليسار، وعدم قدرتهم على بيان تصوراتهم، وهو أمر مرتبط بالأول.
- **ثالثاً**: أن الاتحاد السوفياتي لا يرغب في أن تبرز إلى الوجود تجربة اشتراكية في أوروبا مغايرة بطبيعتها للنموذج الماركسي ـ اللينيني، وذلك بمشاركة حزب شيوعي في الحكم معها.

إلا أن الخصم الذي يرمي فرنسوا ميتران إلى هزيمته هو رئيس الجمهورية الفرنسية آنذاك، فاليري جيسكار ديستان ومؤسسات «دولته» التي سخّرها لهواه. فميتران يتّهمه باحتكار السلطة وما نتج عن ذلك من مفاسد. إن الأمين العام للحزب الاشتراكي يتهم النظام برمته كما آل إليه في عهد جيسكار ديستان: من مدة الولاية إلى مسؤولية الحكومة، مروراً باستقلال القضاء، وانتهاءً بحرية الإعلام. ويختصر ميتران كل ذلك بما أسماه «**الملكية التي أقامها جيسكار**»!.

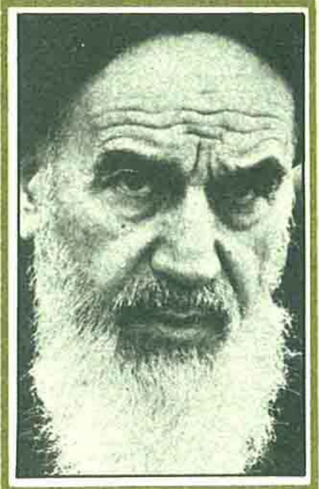
التغيير المرتجى

ينطلق فرنسوا ميتران ، في المجال الاقتصادي الذي يبغي به التغيير ، من أرضية عملية تجريبية . فقد علّمته التجربة ومعرفة التاريخ أنه لا يجوز هدم كل شيء لإحداث التغيير المنشود . وعليه فالاشتراكيون براءٌ مما ألصق بهم من أنهم يعارضون « المبادرة الفردية » . إذ إنهم يقولون ـ في مجال الاقتصاد القائم على النمو الاجتماعي ـ بالمبادرة ذات الحد الوسط ، سواء كانت صناعية أو تجارية أو مهنية ، لأنها توفر مجالا طبيعياً للابتكار التقني وخلق الوظائف للعمل .

إلا أن الاشتراكيين ـ وفاءً منهم لالتزاماتهم المقررة عام ١٩٧٢ م ، عند توقيع البرنامج المشترك لليسار ـ يعتبرون انتقال الصناعات الأساسية للقطاعات الرئيسة إلى الدولة أمراً لا بدَّ منه . من هذا القبيل : الثروات الجوفية ، التسلح ، صناعة الملاحة الجوية والفضاء ، الصناعة النووية ، وكذلك الصناعة الإلكترونية والكيمياوية في معظمها . وبطبيعة الحال القطاع المصرفي والمالي بكلّيته .

أما تلبية المطالب الاجتماعية لتحسين ظروف المعيشة ، وتأمين الشيخوخة ، فيضعها فرنسوا ميتران في صلب اهتماماته وأهداف الحزب الاشتراكي . وهو ، إذ يدعو إلى الإنتاجية القصوى ، يرى كذلك إلى تقليص ساعات العمل ، وتقديم سن التقاعد ، معتبراً ذلك استيلاءً على مدى زمني للحياة ! وهي ، لعمري ، نظرة نابعة من إنسانية الإنسان ، لا من استخدامه آلة للإنتاج ! .

وليس عبثاً أن وضع ميتران عنواناً لفصله هذا : « **السيادة على التقدم** » . فرئيس اليوم ذو تفكير سلم ، وصاحب تعبير دقيق أنيق متجذر في الأدب السياسي .


★ الخميني ★


★ شاه إيران ★

هواء الخارج

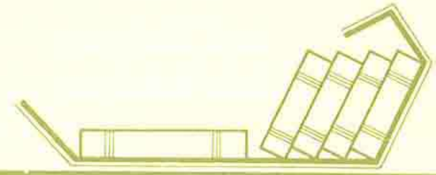
ولما كانت فرنسا ، كأية دولة في هذا العصر ، لا تنفصل عن العالم ، بل تتفاعل مع الخارج على أنها معنية إيجاباً أو سلباً بما يجري في الدنيا ، فقد خصّ فرنسوا ميتران الفصل الأخير السابع من كتابه بشؤون الخارج تحت عنوان عام هو : « **هواء الخارج** » اندرجت تحته عناوين فرعية كما يلي : إيران : أخطاء الشاه وذنوبه ـ خميني يُخطئُ الثورة ـ **العربية السعودية** ، مفتاح النظام القديم ـ العراق وإيران ، معركة في سبيل خليج ـ مَسُّ البترول هو الحرب ـ السادات ـ الإسرائيليون والفلسطينيون ـ شعبان لأرض واحدة ـ **حديث مع ماو** ـ في الصين ـ ساعة مديري الأعمال ـ مستقبل العالم الثالث ـ إصلاح النظام النقدي العالمي ـ عودة ما إلى الذهب ـ بترودولارات لغير المحظوظين ـ دور فرنسا ـ طموح الاشتراكية العالمية وحدودها ـ بولندة ـ نظام على المحك ـ أيُّ علاج لألم الإنسان ؟ .

هواء الخارج هذا هبَّ على أفكار فرنسوا ميتران فبث حديثاً كان قبل مكتّماً . . ومن مفارقات هذا الحديث أن الزعيم الاشتراكي الفرنسي لا يُخفي حبّه للأميركيين ولا معارضته لسياستهم ؛ في حين تبين خصومته القاسية للتوسع السوفياتي . ثم يرسم موقع فرنسا من الجبارين على الشكل الآتي : **إن التوسع السوفياتي يجبرنا على تقوية دفاعنا العسكري . لكنه لا يهدد استقلالنا الاقتصادي . . الإمبريالية الأميركية لا تهدد كيان أرضنا ، لكنها تستولي على مواردنا الزراعية والصناعية وتجبرنا على تنظيم دفاعنا الاقتصادي** .

إلى جانب ذلك أبدى فرنسوا ميتران اهتماماً كبيراً بالعالم الثالث ، من إيران ، إلى أفغانستان ، إلى الشرق الأدنى ، وصولا إلى بولندة . ولم يُغفل **محنة لبنان** فقال : « **لن أختم هذا الحوار من دون أن أدعو الأمم المتحدة وضمير الإنسانية إلى إنصاف لبنان الممزق . لقد تُرك يواجه الموت وهو البلد الصغير الذي لا يقف في وجه مسيرة الزمان اللامبالية** » .

هذا ما كتبه فرنسوا ميتران للتاريخ ، وقد شاء التاريخ أن يكون كتابه مدخلاً إلى رئاسته لجمهورية فرنسا . فهل يضع القول في موضع الفعل ؟ نترك الحكم على ذلك إلى نهاية ولايته .





هي قصة البطولة العظيمة لبحث استمر اثني عشر عاماً عن جذور عائلة رجل . والرجل هو **اليكس هيلي** ، الأمريكي الأسود : الذي تتبع خطى ستة أجيال عودة إلى الوراء بدءً من «**كونتا كنتي**» ، الفتى الإفريقي ذو الستة عشر ربيعاً حينما انتزع من بين صحبة أهله وبيع في أسواق الرقيق في العالم الجديد ، ثم مراحل العبودية بكل معاناتها وضراوتها ، وتسلسل أجيال هذا الفتى حتى تنتهي بزمن المؤلف ، أحد أحفاد ذلك الأسير الإفريقي .

ويقع الكتاب في ٦٣٩ صفحة من الحجم المتوسط ، حيث يسرد فيه المؤلف سيرة حياة أسلافه على نحو دراماتيكي تاريخي . وسوف نسلط الضوء هنا على أهم الوقائع التاريخية والأحداث التي مرت بها تلك الأجيال الستة ، وإظهار بعض أشكال العبودية والاضطهاد التي مارسها الرجل الأبيض في سبيل إشباع جشعه ومتطلبات رفاهيته على حساب استغلاله لأرواح البشر الآخرين .

ولد كونتا كنتي عام ١٧٥٠ م ، لأبوين مسلمين يعيشان في قرية «**جوفور**» التابعة لقبيلة «**ماندينكا**» بالقرب من ساحل **جامبيا** في غرب إفريقيا . وينتسب هذا الطفل إلى شيخ جليل يدعى **كيرابا كونتا كنتي** ، هاجر من **موريتانيا** واستوطن في هذه القرية وأصبح إمامها وزعيمها المعزز . ولذلك سمي هذا الطفل بعد جده تيمناً بالإنجازات العظيمة التي خلفها الأخير . أما القرية ذاتها ، فهي تعيش بهدوء واطمئنان في جو تسوده المحبة والتعاون . فالأراضي الزراعية يتم تقسيمها عليهم بالعدل وحسب أفراد كل عائلة ، ليزرعوها في كل موسم بالقطن والفول السوداني والحبوب والخضروات . ويقوم إمام القرية والمحكّمين من كبار السن بدور مجلس الشورى والأداة التنفيذية في إجراءات توزيع الأرض والنظم الداخلية وحل الخصومات الفردية ، والبتّ في أمور الزواج والمسائل العائلية ، والإشراف على إدارة مركز تدريب «الرجولة» الذي يقام كل عام لتدريب الفتيان في سن العاشرة على فنون القتال والقنص وتاريخ القبائل في إفريقيا وأحوالها وواجبات المواطن الصالح تجاه نفسه وأبناء قريته وقبيلته . وهناك مدرسة القرية يديرها الشيخ ويتعلم فيها الأطفال في سن الخامسة وطوال خمس سنوات ، دروس القراءة والكتابة باللغة العربية وحفظ بعض الآيات من القرآن الكريم وأصول القبائل وتاريخها .



يترعرع كونتا كنتي في هذه البيئة الفطرية الودودة ، ويمر بنفس مسلسل حياة أبناء القرية ، إلا أنه يُمنح فرصة السفر والترحال البعيد وهو ما زال فتى صغير في سن الثامنة . فيرافق والده في مسيرة خمسة أيام على الأقدام نحو قرية جديدة أقامها الأخوان الأكبران لوالد كونتا . وقد كانت تجربة قاسية وممتعة في آن واحد لكونتا ، حيث خرج لأول مرة من الأفق الضيق لقريته إلى مجال أرحب تعلم خلالها أشكالا متعددة من مبادئ السفر الطويل وكيفية التعامل مع مختلف الكائنات الحية أثناء الحل والترحال .

ومن عادات قرى جامبيا أن تبث رسائلها عبر الأثير بواسطة الدقات المتواصلة والمتقطعة للطبول ، وكأنها إشارات لأجهزة **التلغراف** أو «موريس» في العصر الحديث . ويتم تفسير هذه الدقات وتناقلها من قرية إلى أخرى حتى تصل إلى وجهتها ، التي ربما تكون في أقصى بلاد جامبيا . وقد لوحظ في الفترة الأخيرة أن هذه الرسائل السمعية تشير إلى تزايد غزوات تجار الرقيق على القرى القريبة ، وما أحدثته من خراب وتدمير لبعضها وأسر الكثير من شيبها وشبانها . ولذلك اتخذت الاحتياطات اللازمة لحماية قرية جوفور ، مسقط رأس كونتا كنتي ، وتحذير سكانها من

تأليف : اليكس هيلي
عرض وتلخيص:
خليل الطرهوني

★ إليكس هيلي ★



غزوات « **الطبوب** » . والطبوب بلغة أهل القرية يعني الرجل الأبيض ذو الشعر الغريب الأشقر والذي يشبه المخلوقات المرعبة الآتية من عالم مجهول ، لهول ما يخلّف من خراب وتقتيل ورعب .

وحينما يبلغ كونتا كنتي السادسة عشرة من عمره ، يقرر أن يقوم بسفر طويل إلى حيث موطن أجداده الأولين في بلاد « **مالي** » ، حيث هاجر إلى موريتانيا البعض منهم ، وولد هناك جده الشيخ الجليل كيرابا كونتا كنتي . وقد درس خطة السفر بعناية مع الرجال المعمرين وأصحاب الدراية بتلك المناطق . واستعداداً لذلك ، خرج كونتا كنتي إلى الغابة المجاورة ليجهز له إطاراً خشبياً لطبله الذي سيرافقه حتى يستطيع بواسطته بث أخبار وأحداث سفره إلى ذويه وأهله في القرية . ولسوء طالعه ، ينقض عليه مجموعة من عملاء **تجار الرقيق** ، الذين يتغلبون عليه ويُفقدونه وعيه ، ثم يجرونه مكبلاً إلى مقرهم في **قلعة جزيرة الأسرى** على النهر الكبير تحرس مياهها التماسيح المتوحشة .

بداية المصاعب

من هنا تبدأ طريق الآلام وحياة الأسر والعبودية . وفي جزيرة الأسر ،

أطفال وشيوخ ورجال ونساء مكبلين وعراة من كل ملابسهم ، تسيل الدماء من كل جنباتهم ورؤوسهم ، يئنون ويستغيثون : « **أنقذنا يا الله** » ، والضربات تنهال عليهم من كل صوب ، ثم يُوسم كل فرد منهم بأحرف « LL » على ظهره بواسطة الكي بالنار . وينقلون بعد فترة قصيرة وهم في هذه الحال إلى سفينة قديمة تبحر بهم إلى العالم الجديد « **أميريكا** » ، حيث يحشرون في الجزء السفلي منها وقد سدت عليهم جميع المنافذ العلوية . وطوال فترة الإبحار ، تفتك الأمراض والآلام بالعديد منهم ، فيلقى بالموتى طعاماً لحيوانات البحر . وقد حاولوا التمرد وقتل الحراس والاستيلاء على السفينة ، ولكنهم فشلوا في ذلك وكانت النتيجة مقتل العديد منهم . وأصيب كونتا بالأمراض وهزلت صحته حتى أنه لم يكن ليصدق بأنه سيبقى من بين الأحياء وسط المرض والفئران والبراغيث والمخلفات البشرية .

وصلت السفينة إلى ميناء « **أنابوليس** » في ٢٩ سبتمبر (أيلول) ١٧٦٧ م ، ومن ضمن حمولتها ٩٨ أسيراً إفريقياً وبذلك تكون قد فقدت ٤٢ فرداً ماتوا أثناء إبحارها من إفريقيا إلى شاطئ أميريكا . ثم وضعوا في إسطبلات محكمة المنافذ ، وعرضوا بعد ذلك للبيع في المزاد العلني . وكان من نصيب كونتا كنتي أن يباع إلى سيد أبيض يدعى « **جون موللر** » . وفي اللحظة التي يصل فيها كونتا كنتي منزل سيده ، يباغت سائق العربة الأسود ويهجم عليه ، ثم يفر هارباً إلى المنطقة المحيطة . ولكنه لا يبتعد كثيراً حتى تلحق به المجموعة الشرسة يتبعها الخدم وسيدهم ، فيوسعونه ضرباً ولكماً ، ويوضع في السلاسل الموصولة بحلقة مثبتة في إحدى زوايا الكوخ المخصص له . وبعد فترة يرسل للعمل في الحقول وهو مكبل بالحديد في أعلى قدميه . كان يصلي لله ويدعوه أن ينقذه من الأسر الرهيب ، ويحاول أن يمتنع عن الطعام إن شعر أنه ممزوج بلحم الخنزير المحرم .

لقبه سيده باسم **طوبي** ، وكان يصر على اسمه الحقيقي كونتا كنتي . وما يثير عجبه الشديد في هذه المرحلة الأولى لحياته في العالم الجديد ، هو أن أبناء جنسه من السود يتعاملون مع أعدائه البيض ، ولا يتكلمون اللهجات الإفريقية أو يتصرفون وفق تقاليدهم الأصيلة . إنه لا يستطيع أن يتفاهم مع هذا العالم الغريب حقاً .

كانت أولى الكلمات الجديدة التي سمعها وفهم معناها هي مثل : « **زنجي** » ، « **سيد** » ، « **خنزير** » . . . ومرة ثانية يعود كونتا كنتي للهرب ، ويكون مصيره الفشل كالمرة الأولى . ورغم ذلك لم تبرح فكرة الهرب مخيلته ، فيحاول الحصول خفية على منجل أو سكين لقطع أعواد الذرة أو قضيب معدني ليستخدمه كسلاح في المرة القادمة . وحانت الفرصة المناسبة ، فاندس في عربة محملة بأوراق التبغ ، وتخبأ فيها حتى قطعت مسافة طويلة ، ثم خرج إلى الغابة وسار فيها بدون اتجاه محدد طوال يوم وليلة . ولكن رجال مطاردة العبيد اقتفوا أثره وألقوا القبض عليه تحت حراب أسلحتهم ، ونهشت الكلاب لحمه ، ثم بتروا قدمه بالفأس وحملوه إلى سيده وهو في حالة الاغماء الشديد .

أفاق كونتا كنتي من سبات إغمائه الطويل ، ليجد امرأة سوداء تنظف جرح قدمه المبتورة وتضع عليها أصنافاً مختلفة من الأدوية ، ويعلم منها أنه الآن مملوك لسيد جديد اسمه **وليام موللر** ، ومهنته الثانوية طبيب ، وهو شقيق سيده الأسبق . ويبقى طوال فترة المعالجة تحت رعاية الطاهية السوداء « **بل** » ، التي يُقدر له أن يتزوجها فيما بعد . وقد أطلعه أحد العبيد على فقرات من ما يُسمى بقانون العبيد الذي سنّته **ولاية فرجينيا** في ذلك العهد ، حيث قال له ، « إن أي شخص يمسك بك فاراً يكون له الحق في قتلك بدون محاسبة . ولا يُسمح للعبد بحمل بندقية أو حتى عصا غليظة . كما أن العبد الذي يُمسك بدون تصريح من سيدة يُساط ٢٠ ضربة ، ويتلقى ٣٠ ضربة إذا رفع يده في وجه رجل أبيض ، وتُقطع أذنه إذا ادُّعي عليه بأنه أقسم باطلاً ، وكلتا الأذنين إذا ادُّعي عليه بأنه كذب مرتين . والقانون يقول بأنه إذا قتلت رجلاً أبيضاً فسوف تُشنق ، أما إذا قتلت رجلاً أسوداً فستُضرب بالسوط فقط . ويمنع القانون تعليم القراءة أو الكتابة لأي زنجي أو إعطائه كتاباً ، ويمنعهم من دق الطبول أو ممارسة أي شعائر إفريقية » .

بدأ عمله لدى سيده الجديد كمزارع في حديقة الخضروات المحيطة بالمنزل ، ويقوم بتجهيز الخضروات للطاهية التي تعود بها للمنزل لتحضير وجبات الطعام لأسرة سيدها . أما العبيد الآخرون ، فإنهم يعملون طوال نهارهم في الحقول ، ولا يجتمع بهم كونتا كنتي إلا في المساء حين يعودون إلى أكواخهم ويتناولون عشاءهم سوية بقرب الأكواخ ، ويتناقلون الأخبار التي تهمهم . واستمر كونتا في روتين عمله هذا ، ولم تعد فكرة الهروب تخطر له ببال وخاصة أنه أصبح شبه مقعد بعد أن بُترت قدمه . وحينما باع السيد موللر سائق عربته عقاباً له على عدم إطاعته لقانون العبيد ، اختار كونتا كنتي ليكون سائقه الجديد . وهكذا استطاع كونتا لأول مرة أن يرى معالم الوجود خارج نطاق حديقة الخضروات ، فيسوق عربة سيده إلى مسافة بعيدة لمعالجة مريض أو زيارة أحد الأقارب أو حضور اجتماع لإدارة المقاطعة .

يتزوج كونتا من الطاهية « بل » وهو في سنته السابعة والثلاثين ، وتولد له طفلة في عام ١٧٩٠ م ، يدعوها « **كيزي** » . وتنمو هذه الطفلة وتصبح الشغل الشاغل لوالديها . وتتعلم القراءة والكتابة خفية بمساعدة

الطفلة المدللة للسيد جون موللر ، سيد كونتا الأسبق وشقيق سيده الحالي . وحينما تصبح في السادسة عشرة من عمرها ، يتعلق قلبها بفتى من أبناء عبيد المزرعة . ولكن الفتى يقرر الهرب إلى الولايات الشمالية ليتحرر من العبودية ويعمل هناك ، ثم يعود وقد استطاع توفير ما يكفي لشراء خطيبته كيزي من سيدها . وتساعده كيزي بتزوير تصريح مرور بخط يدها ، إلا أن جماعات مطاردة العبيد تكتشف تزوير التصريح ، فتعتقل خطيبها وتسلمه إلى سيده . ويقرر السيد موللر أن يعاقبها بالبيع إلى أسياد آخرين . ولم تشفع استغاثات واسترحامات والديها لدى السيد في أن يعدل عن قراره فيفجعون بفراق ابنتهم الوحيدة ، وهي المصيبة الثانية التي تحل بـ « بل » ببيع أولادها الأولين قبل زواجها من كونتا كنتي .

مصارعة الديوك

يشتري كيزي سيد أبيض يدعى « **توم لي** » اشتهر في منطقته بأشرس الطباع وأسوأ الأخلاق والمعاملة . وقد بدأ حياته فقيراً معدماً لا يملك إلا نفسه وقطعة أرض غير مستصلحة للزراعة ، واستطاع أن يشتري أول عبيده بواسطة مكاسبه من مقامرات « **مصارعة الديوك** » ، وكان اسمه جورج الذي قضى نحبه تحت وطأة إرهاق وإذلال سيده له . وفي الأسبوع الأول من حياة كيزي لدى سيدها الجديد ، تتعرض لعملية اغتصاب بشعة منه ، ويذيقها أمر أصناف العذاب والهوان . وتلد منه ابنها الأول عام ١٨٠٦ م ، ويلقبه سيدها باسم **جورج** تيمناً باسم عبده الأول . وهكذا ينمو جورج ويعمل وهو ما زال في سن السابعة مساعداً لمدرب ديوك المقامرة . ويتمرس جورج على مهنة تربية الديوك المصارعة وتدريبها ، ويصبح يتقنها ويشتهر فيها وهو ما زال في بداية حياته ، حتى أنه يشارك بنصيبه الضئيل إلى جانب ديوك سيده الشهيرة . ويستمر جورج في أداء هذه المهنة لحساب سيده المقامر ، حتى بعد زواجه من فتاة مهذبة تدعى « **ماتيلدا** » عام ١٨٢٧ م ، اشتراها سيده من صاحب المزرعة المجاورة ليزوجها إلى جورج . وتنجب له ستة أطفال هم : **فيرجيل ، توم ، اشفورد ، جورج الصغير ، كيزي الصغيرة ، ماري .**

ومن أحداث سنوات الثلاثينات والأربعينات من القرن الماضي إغارات الرجل الأبيض في أميركا على مواطن وقبائل الهنود الحمر وإبادة الآلاف منهم ، ومصادرة أراضيهم ومصادر أرزاقهم . وحدثت أيضاً حركات تمرد عفوية عديدة للزنوج في شمال وجنوب الولايات الأميركية ، ولكنها قمعت جميعها بالحديد والنار ، وتسبب عنها مقتل الألوف من الزنوج .

يتعلم توم ، ثاني أبناء جورج ، الحدادة لدى عبد آخر في مزرعة مجاورة ، ثم يعود ليفتتح دكاناً للحدادة لمصلحة سيده مقابل بعض فضلات الأجرة التي يكسبها . وتقرر العائلة أن يشترك جورج وابنه توم في توفير أكبر قدر ممكن من النقود ليدفعوها إلى سيدهم مقابل اعتاقهم ، وقد كان المبلغ المقدر لهذه المهمة يصل إلى حوالي ستة آلاف دولار . ويستطيع جورج أن يوفر مبلغ ٢٠٠٠ دولار .

وفي عام ١٨٥٥ م ، تقام جولة تحدٍ في مصارعة الديوك المقاتلة بين السيد توم لي ، سيد جورج ، وبين السير **أريك رسل** البريطاني صاحب أشهر ديوك للمصارعة في القارة الأميركية وبريطانيا . ويطلب توم لي من جورج أن يشاركه بكل ما وفره من مبلغ على أن تعود جميع الأرباح إليه مقابل إعتاق كامل الأسرة . وفي لعبة مثيرة تحدد مصير أسرة جورج ووالدته ، واحتشد لها المئات من محبي هذه اللعبة ، يحالفهم الحظ في الجولة الأولى ، ولكنهم يخسرون كل ما لديهم في الجولات التالية . وهكذا يخسر جورج فرصته الحاسمة لتحررهم ، ويفلس تماماً السيد توم لي فيضطر إلى تأجير جورج لمدة عامين للعمل كمدرب للديوك مع السير أريك رسل في بريطانيا . ويتعهد توم لي مقابل ذلك بأن يمنح كامل الأسرة حريتها بعد انقضاء فترة عمل جورج مع السير البريطاني وعودته إليهم ، ويؤكد عهده بكتابة شهادة منح الحرية موقعة منه ويضعها في صندوقه الحديدي إلى حين عودة جورج من بريطانيا .

يسافر جورج حسب الاتفاق ، إلا أن توم لي يتنكر لعهده ، وقد طال عمره فوق الثمانين ، ويبيع كامل الأسرة ، ما عدا الجدة كيزي ، إلى عائلة « **موريه** » في **كارولينا الشمالية** . ويتزوج البعض من أبناء جورج ، ويفتتح ابنه توم دكان حدادة لحساب سيده الجديد . وتعيش الأسرة في وضع أفضل عن السابق نسبياً . إلا أن الزنوج بشكل عام يعانون أشكالا عديدة من الاضطهاد والارهاب بعد انتشار أخبار الحرب الأهلية بين الشمال والجنوب ، ومناصرة الزنوج للشماليين . وقد حقق الشماليون انتصارات عديدة بزعامة الرئيس **أبراهام لينكولن** ، ولكن الحرب ما زالت دائرة بين الطرفين ولم تتضح نتيجتها بعد . وفي تلك الفترة يتزوج الحداد توم من فتاة زنجية ، تدعى « **إيرين** » وقد تعرف عليها أثناء عمله بعض الأبواب والنوافذ المعدنية لمنزل أسرة سيدها . كذلك تزوج جميع أبناء وبنات جورج .

العودة

يعود جورج بعد انقضاء فترة تأجيره في بريطانيا ، ويتوجه إلى بيت سيده الأسبق توم لي . ويفاجأ هناك بعدم وجود أسرته ، ويعلم من امرأة عجوز ما زالت على قيد الحياة بأن أسرته بيعت إلى سيد آخر وأن والدته

قد توفت، ولم يبق سواها من العبيد بالإضافة إلى سيدها القابع طوال الوقت في غرفته ينتظر ساعة الموت. وقد أصبح المنزل وما حوله مكاناً مهجوراً مشؤوماً كمقبرة للأحياء الأموات. ويجن جنون جورج غضباً على سيده، فيصعد إليه، ويغافله فيأخذ شهادة الإعتاق من العبودية من الصندوق الحديدي، ويمتطي جواده مسرعاً إلى حيث تعيش أسرته.

يلتقي جورج بأسرته وقد تضاعف عددها بفعل زواج أبنائه وبناته، ويمكث معهم فترة قصيرة لأن قانون المقاطعة لا يسمح له بالبقاء كرجل أسود حرّ أكثر من شهرين، وإذا انقضت هذه المدة ولم يغادر فسيعود عبداً من جديد. ويضطر للمغادرة على أن يعود إليهم من جديد ويعتقهم بالمال. وفي تلك الأثناء تحتدم المعارك بين الشمال والجنوب، وتقترب الحرب من نهايتها بانتصار الشماليين وإعلان وثيقة تحرير العبيد ليتم تطبيقها في كامل الولايات المتحدة الأميركية. ولم تمض فترة قصيرة على نهاية الحرب حتى يعود جورج إلى أسرته من جديد بعد فراق دام حوالي عامين. ويقرر جورج أن يرحل مع أسرته وجميع من كانوا عبيداً لدى السيد موريه، وأحد الرجال البيض الفقراء وعائلته، في موكب واحد بلغ تسعاً وعشرين عربة إلى مقاطعة «**لوادرد يل**» في الشمال.

يستوطن الجميع هناك، ويستصلحون الأراضي ويسيجونها ليزرعوها لأول مرة في حياتهم لحسابهم وليس كعبيد مُسخَّرين لأسيادهم. ولكن جيرانهم من البيض لا يزالون ينظرون لهم ببغض، ويمنعون توم من افتتاح ورشة حدادة خاصة به. ورغم ذلك التعسف، يستنبط توم دكان حدادة متحركة أقامها على إحدى عربات الخيل، وباشر عمله بهذه الطريقة إلى أن رضخ البيض أخيراً وسمحوا له بإقامة ورشة حدادة في المنطقة. وتزدهر أعمال الجميع فيتعاونون على بناء كنيسة للملونين والسود أسموها «كنيسة الأمل الجديد لطائفة **الميثودست**». وبعد فترة قصيرة تتوفى ماتيلدا، ويتلوها زوجها جورج بوقت قصير وهو في الثالثة والثمانين من عمره. أما توم الحداد، فينجب مجموعة من الأولاد والبنات أصغرهن «**سنثيا**»، التي تتزوج من موظف أسود يدعى «**ول بالمر**». وقد استطاع بالمر بجدارته ونشاطه أن يؤسس بعد ذلك أول شركة يملكها رجل أسود في ولاية «**تينيسي**». وتلد سنثيا طفلتها الوحيدة «**بيرتا جورج**»، فيوليها والداها عناية فائقة وتعليماً خاصاً، وتذهب إلى الجامعة، لتتعرف بزميلها **سيمون اليكساندر هيلي**، طالب الزراعة. وهو ذاته من نسل أرقاء إفريقيين كانوا عبيداً لأسياد بيض من أصل أيرلندي في مقاطعة **ماريون، ولاية الاباما**.

وكان سيمون هيلي مجداً في دراسته ويعيل نفسه من خلال ما يوفره من عمله في العطلة الصيفية. وقد جُنّد في الجيش الأميركي أثناء الحرب العالمية الأولى، حيث سافر إلى فرنسا وأصيب هناك بالغاز السام، وعاد إلى موطنه للعلاج وإتمام دراسته، ثم يتزوج من بيرتا جورج التي عملت مدرسة، ولكنه يتابع دراسته العليا حتى أصبح عميد كلية الزراعة في **جامعة اركنساس**. وهنا نصل إلى المؤلف ذاته الذي ولد من هذين الوالدين عام ١٩٢١م.



ولكن قد يتساءل القارئ عن كيفية حصول المؤلف على تفاصيل هذه الأحداث التاريخية والتي يرجع تاريخها إلى أكثر من قرنين ماضيين، أم أن كل ما تحدث عنه هو من نسج الخيال الواقعي؟ والكاتب لا يتركنا نبتعد كثيراً في تصور أحكام وتخمينات لهذه المسألة، بل يبادر فور انتهائه من سرد الأحداث حتى زمانه إلى أن يروي لنا قصته ذاته في ذلك المشوار الطويل الذي قطعه بحثاً ومعاناة عن جذور أسلافه. وقد كان العامل الأساسي في بقاء هذا التاريخ الطويل حياً هو ذلك المبدأ الذي اعتمده كونتا كنتي برواية قصة حياته وحياة أهله وقريته في جامبيا بإفريقيا إلى ابنته كيزي، ومتابعة هذا المبدأ مع كل طفل يولد من ذريته حتى وصلت القصة ذاتها، رغم التغييرات التي طرأت عليها، إلى الكاتب نفسه.

يقول اليكس هيلي في نهاية كتابه: إنه سمع هذه القصة مختصرة جداً من جداته الكبار في السن، وكان لزاماً عليه أن يعود إلى جميع مصادر القصة وأحداثها حيث وقعت. فقد راجع مئات الكتب والملفات القديمة وسجلات البواخر والموانئ ذات الصلة، واستعان بالكثير من الباحثين في تاريخ وعادات الشعوب الإفريقية وسافر ما يقرب من نصف مليون ميل بحثاً عن أصول هذه السلسلة من الأحداث. وكانت أهم رحلة قام بها رحلته إلى موطن جده الأول كونتا كنتي وقريته **جوفور** بالذات.

يصف اليكس هيلي كيف التقى بسكان قرى جامبيا بمساعدة مترجمين جامبيين يدرسون في أميركا. «لم يكونوا ينظرون إليّ كفرد بذاته، ولكنني كنت أجسد في نظرهم رمزاً لخمسة وعشرين مليوناً منا نحن السود لم يروهم مطلقاً، يعيشون وراء المحيط». لقد تحدثوا إليه كأنه واحد منهم، بل إن النساء في قرية جوفور رمين بأطفالهن في حضنه تعبيراً على أنهم من دم ولحم واحد. لقد رقصوا حوله ابتهاجاً بعودة الابن المفقود واحتفوا به وهتفوا له في كل القرى المجاورة التي علمت بقصته.

روى له المعمرون من الرجال في قرية جوفور التاريخ الطويل لأنساب وأحساب سكان القرية الأولين عن ظهر قلب وكأنهم يقرأون من كتاب مفتوح. وأخيراً أخذوه إلى مسجدهم المقام من قصبات البامبو والقش، ووضعوه بينهم ثم صلوا لله شاكرين: «الحمد لله الذي أعاد لنا من فقدناه منذ مدة طويلة».



موضوع خاص

الكائنات الحية.. والبرد

بقلم:
عبد الرحمن حريتاني

الطاقة

الطاقة تعني الحركة والحيوية والقوة، وهي على أنواع، الطاقة الآلية (الميكانيكية)، وطاقة الحرارة والضوء، والطاقة الكيميائية، والطاقة الكهربائية، ثم الطاقة النووية.

والطاقة الميكانيكية هي القوة المحركة وراء كل آلة تعمل، كما أنها هي طاقة الجسم إذ يتحرك، وحين يكون أي جسم مادي في حركة فمعنى هذا أنه يمتلك طاقة حركية (كينية)، وحين تكون الطاقة مختزنة فيه نسميها بـ (الطاقة الكامنة)، والطاقة الكينية والطاقة الكامنة هما وجها الطاقة الميكانيكية في الفيزياء الكلاسيكية.



الحرارة

يبعث الموقد بالإضافة إلى النور (الضوء) بعض الإشعاعات غير المنظورة التي تولّد الدفء في الغرفة . هذه الإشعاعات هي **الإشعاعات الحرارية أو (ما تحت الحمراء Infrared) ، وتنبعث الإشعاعات الحرارية والضوئية من الشمعة الصغيرة وشعلة النار الكبيرة . . ومن الشمس والنجوم والمجرات .**

ومن قوانين الإشعاع الحراري في الأجسام الساخنة نعلم أن الجسم إذا سُخّن ولّد إشعاعات حرارية Heat Radiations ، وأنه يزداد سطوعه كلما ازداد تسخينه ، ويتغير لون التوهّج بازدياد درجات الحرارة ، ومن لون التوهّج نستطيع تحديد درجات الحرارة ، لأن انبعاث كل لون من ألوان **الطيف** Spectrum السبعة يلزمه درجة حرارة معيّنة .

والحرارة والبرودة أثران لظاهرتين طبيعتين ، ومصدر الحرارة دائماً حدوث حركة ، وحالة السخونة لأي مادة تتوقف على مقدار نشاط **جزئيات** Molecules ذرّاتها وحركتها ، ذلك أن الجسم الساكن ليس ساكناً في حقيقته ، بل هو يتكوّن من كتلة من الجسيمات المادية غير المرئية مؤلفة من **ذرات** Atoms وجزئيات تهتز وتتحرك بسرعات خيالية ، والجسم في حالة البرودة حركة جزئياته بطيئة نسبياً ، أما إذا ما ازدادت حرارته فإن جزئياته تكتسب طاقة حركية (كينية) إضافية وتتحرك بسرعات عالية ، وبقدر ما تزداد الحرارة تكتسب الجزئيات طاقات إضافية وتزداد سرعة تحركها . . وجسم الإنسان وأجسام الكائنات الحية جميعها تنبعث منها حرارة نتيجة الطاقة التي تولّدها **عمليات التمثيل الغذائي** (الميتابوليزم Metabolism) ، وهذه الحرارة تنتقل إلى المحيط المجاور على شكل إشعاع حراري مختلف الدرجات ، وتقيس درجات الحرارة هذه كاميرات حديثة تلتقط صوراً مختلفة الألوان يمثل كل لون درجة حرارة معينة . . وعموماً فإن الأطراف والوجه هما أكثر مناطق الجسم إشعاعاً للحرارة .

★ في نهاية السبات الشتوي في منتصف أبريل (نيسان) أنثى الدب الأسود خارج مسكنها مع صغارها ★

أثر البرد على الكائنات الحيّة

الانسجام في حركة الإنسان وحركة الكائنات الحية يطرأ عليها بعض التثاقل والاضطراب إذا ما تعرّض الجسم مدة طويلة لدرجات حرارة منخفضة تسبب ما نسميه (البرد) ، وأحدنا لا يتمكن من قدح عود ثقاب أو كتابة بضع كلمات إلا بصعوبة بالغة حين تبرد أطرافه .

والبرد ينشأ حين يتعرّض جسم الإنسان لرياح محمّلة بالهواء البارد ذات درجات حرارة منخفضة لمدة طويلة دون أن يحمي الإنسان نفسه بعازل يصدّ عنه تيّارات الهواء الباردة هذه ، فتتدنّى تبعاً لذلك حرارة الجسم الاعتيادية . وتنشأ حالة تسمى طبيّاً بـ (**الهايبوثيرميا**) تؤثر على عمل الدماغ Brain والنظام العصبي Nerves System عموماً فتبطئ من نشاطها ومن سرعة استجابتها للتنبيهات العصبية الحسية والحركية ، وينتج عن هذا تباطؤاً في عمليات التفكير والإدراك وتباطؤاً في استجابة الأعضاء

★ اللباس عازل حراري يمنع خروج حرارة الجسم .. (٧) طبقات من اللباس يرتديها هذان الملاحان القطبيان في درجة حرارة (- ٥٠°) ف (تحت الصفر) في المنطقة القطبية ★



(كالأيدي) لهذه العمليات .. وعليه فإن حركات الإنسان بمجملها تتباطأ بصورة ملحوظة .. وأكثر ما تظهر في حركات أصابع اليدين .. وإذا اشتد البرد تصلّب الجسم بالكامل بعد أن تتباطأ حركاته تبعاً لشدة البرودة، ثم وفي درجة حرارة معينة تتوقف جميع ردود الفعل في الجسم لتوقّف عمل الجهاز العصبي ونصل لحالة السكون التام الذي يعقبه الموت إذا لم يُتدارك.

وحرارة الجسم الاعتيادية تكون ثابتة عند درجة (٣٦,٧°) درجة مئوية إلى (٣٧,٢°) درجة مئوية (م) بفضل تنظيم تحت المهاد البصري (الهيبوثالاموس Hypothalamus) في الدماغ الذي يجعل الجسم يرتعش إذا انخفضت درجة الحرارة حوله، أو يجعل الجسم يُفرز العرق من الغدد العرقية الجلدية إذا ارتفعت درجة الحرارة حوله .. وفي تجارب عديدة ثبت أن التبدلات الحرارية التي تطرأ على الجسم خلال (٢٤) ساعة تُحدث تبدّلات في نشاط الدماغ، وأن سرعة الاستجابة للتنبيه عند الإحساس بالبرد تحدث **في مراكز السمع** Auditory Aria خلال مدة تتراوح بين (٢ ــ ١٠) أجزاء من (١٠٠٠) جزء من الثانية، في حين أن سرعة الاستجابة نفسها في الأحوال العادية تتراوح بين (٢ ــ ٦) أجزاء من (١٠٠٠) جزء من الثانية فقط، أي أنه في ظروف البرد تتباطأ عملية الاستجابة للتنبيهات الحسية الخارجية. وعملية الاستجابة للتنبيهات الواردة إلى مراكز السمع في الدماغ، علماً بأن البرد لا يُحدث تأثيراً ملحوظاً على قوة السمع نفسها، ومعنى هذا أن استجابة الإنسان للنداءات تتباطأ فكرياً رغم سماعه لها ودون أن يشعر هو نفسه بهذا التباطؤ، ودماغ الإنسان المصاب بحالة برد شديد يُظهر على جهاز قياس الموجات الدماغية خطوطاً بيانية تشبه الخطوط التي تصدر عن دماغ إنسان مصاب بتلف عصبي .. وبمجرد أن يسترد الجسم دفئه يعود كل شيء إلى حالته الطبيعية.

كيف نبرد؟

الهواء الذي يلامس الوجه مباشرة يسخن من جراء حرارة الجسم الداخلية الثابتة التي تنبعث كإشعاعات حرارية غير مرئية، والهواء الذي يسخن هذا يصبح كقناع هوائي غير مرئي يلتصق بالوجه ويحفظ حرارته ويُبطئ عملية فقدان الحرارة .. فإذا كان الهواء من حول الجسم ساكناً فإن طبقة الهواء الساخنة الملاصقة للوجه لا تُحمل إلى الأعلى من قبل الهواء البارد الثقيل إلا ببطء شديد (نعلم من القوانين الحرارية أن الهواء الساخن خفيف يصعد إلى الأعلى بينما الهواء البارد ثقيل ويهبط إلى الأسفل)، ومروحة اليد التي نستعملها في أيام الصيف الحارة إنما تزيح عن وجهنا طبقة الهواء الساخن، ليحلّ محله طبقة جديدة من الهواء البارد تأخذ الحرارة المنبعثة من الوجه وتسخن وتُحمل ليحلّ محلها طبقة جديدة من الهواء البارد، وهكذا ..

وسكان المناطق الباردة (كالأسكيمو في المناطق القطبية) يتحمّلون البرد في الجو الذي تنعدم فيه الرياح أكثر مما يتحملون البرد في الجو العاصف المصحوب بالرياح الباردة، **والكائنات الحية جميعاً تتأثر بالبرد أكثر عند هبوب الرياح** (رغم أن درجة الحرارة لا تنخفض) .. والشعور بوطأة البرد القارس في الجو العاصف يُفسّر بأن هبوب الرياح المستمر يأخذ كميات من الحرارة أكثر وبصورة أسرع من الكميات التي يأخذها في الجو الهادئ، ذلك أن الطبقة الجديدة من الهواء البارد لا تحل محل طبقة الهواء الحارة بنفس السرعة.



★ اللباس النحاسي الذي تجرى عليه التجارب ★

وأيضاً فإن عملية تبخّر العرق التي تتم ببطء في الجو الساكن، تتم بسرعة في الجو العاصف كثير الرياح، وهذا بدوره يؤدي إلى انخفاض درجة حرارة الجسم، وتعرّض الجسم لرياح سرعتها (٢) متر في الثانية تُخفّض درجة حرارته بمقدار (٧°) درجات، وتعرّض الجسم لرياح سرعتها (٦) متر في الثانية تُخفّض درجة حرارته بمقدار (٢٢°) درجة .. أما الرياح في المناطق الصحراوية فتكون رياح ساخنة ودرجة حرارتها أعلى من درجة حرارة أجسام الكائنات، ولهذا فإن هذه الرياح تُشعر الإنسان بحرارة أكثر، ذلك أن الحرارة هنا لا تنتقل من الجسم إلى الهواء، بل إن العكس هو الذي يحدث. إذ يقوم الهواء بتسخين جسم الإنسان، لأن كتل الهواء الساخنة التي تلامس الجسم تزيده حرارة .. والقلة (الفخّارة) إنما تبرّد الماء في الصيف بسبب رشح الماء من خلال جدرانها الفخّارية إلى الخارج، حيث يتبخّر ببطء ويأخذ الحرارة اللازمة لعملية التبخّر من حرارة مادة الفخّار ومن حرارة الماء الموجود في داخلها، فيفقد الماء بعض حرارته ويبرد تبعاً لذلك .. وكلما زاد التبخّر زادت برودة الماء.

درجة الحرارة التي يتحملها الإنسان

أقصى درجة حرارة سجّلت على سطح الكرة الأرضية بلغت (٥٧°) درجة مئوية في الظل في مدينة كاليفورنيا ، **وقد أثبتت التجارب أن جسم الإنسان يتحمّل درجات حرارة تزيد على درجة حرارة غليان الماء قد تصل إلى درجة (١٦٠°) درجة مئوية ، ويقاوم الجسم هذه الحرارة المرتفعة بإفراز المزيد من العرق من خلال مسام الجلد ، ولأن عملية تبخّر العرق يلزمها حرارة ، فهي تأخذها من طبقات الهواء الساخنة التي تلامس الجسم مباشرة . . ونتيجة لذلك تنخفض درجة حرارة الجسم .**

درجة التجمّد ودرجة الغليان

لقياس درجات الحرارة ودرجات البرودة ، ولمعرفة التحولات من درجات الحرارة إلى درجات البرودة ، يستعمل اليوم في كافة أقطار الأرض (عدا أمريكا وبعض الأقطار) الميزان المئوي (سنتيجراد) أو **ميزان (آنديرس ساسيوس)** الذي يعتبر نقطة تجمّد الماء هي الصفر (٠°) ونقطة غليانه هي المئة (١٠٠°) . . وهناك ميزان فهرنهايت الذي يعتبر درجة حرارة جسم الإنسان السليم هي الدرجة العليا وحدّدها بـ (٩٨,٤°) درجة مئوية فهرنهايتية والتي تساوي درجة (٣٧°) مئوية ، بينما اعتبر النقطة الدنيا هي درجة تجمّد مزيج من الجليد والماء والملح وحدّدها بـ (٣٢°) درجة فهرنهايتية . . وتوجد موازين أخرى مثل ميزان (كلفن) الإنجليزي الذي يقابل الصفر المئوي فيه درجة (٤٥٩,٦°) فهرنهايتية أو (٢٧٣,١°) درجة مئوية . . وهذه هي درجة الصفر المطلق وهي أدنى درجة برودة يمكن أن تسجّل في الأرض .

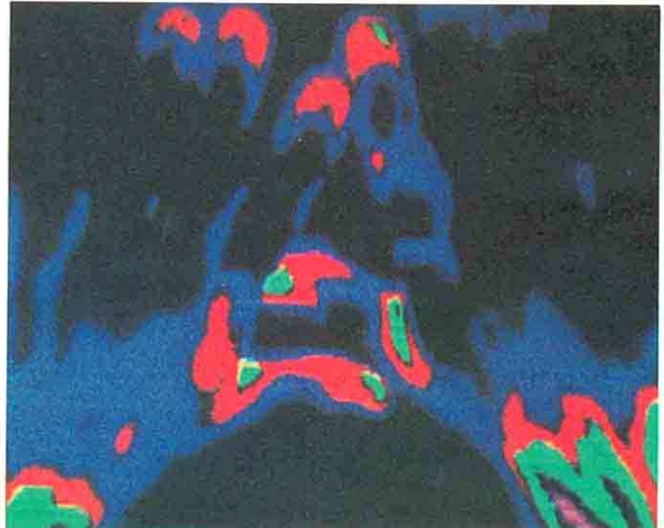
الحرارة النوعية

جميع المواد في الطبيعة تحتاج إلى كميات حرارة مختلفة لترتفع درجة حرارتها درجة واحدة ، وهذا ما يسمى بخاصية **(القابلية الحرارية)** ، واختار العلماء الرقم (واحد) لقياس قابلية الماء للاحترار ، وسميت هذه القابلية الحرارية بـ **(الحرارة النوعية)** ، والحرارة النوعية لجميع المواد تقريباً هي دون الحرارة النوعية للماء ، لأن الماء موصل رديء للحرارة ، فهو يمتص الحرارة ببطء ويفقدها ببطء ، ورفع حرارة الحديد درجة واحدة تحتاج إلى عشر كمية الحرارة اللازمة لرفع حرارة نفس الكمية من الماء درجة واحدة ، وهذا يفسر لنا كيف أن المياه على سطح الأرض (٧٣٪) تلطّف من حرارة الأرض بامتصاصها لكميات كبيرة جداً من حرارة الصيف ، وثم تعيدها إلى الجو ببطء خلال فصل الشتاء ، وأظهر ما تظهر هذه الخاصية في مدن الشواطئ التي يعتدل مناخها صيفاً وشتاءً . . ودرجة حرارة الماء تتوقف عن الارتفاع متى بلغت الدرجة (١٠٠°) مئوية وهي درجة الغليان رغم أن الماء يواصل تبخّره ، ولأنه عند هذه الدرجة من الحرارة يتحول الماء من الحالة السائلة إلى الحالة الغازية (بخار) . . ومعظم السوائل والجوامد والغازات تتمدّد بارتفاع درجات الحرارة ، ومدى التمدّد هذا رهن بطبيعة المادة ، فالتمدّد الحراري للمعدن أكبر من التمدّد الحراري للزجاج ، والكيلومتر الواحد من السكة الحديدية قد يتمدّد إلى أكثر من (٦٠) سم في الصيف . . وأيضاً يتحول الماء بفعل البرودة من الحالة السائلة إلى الحالة الصلبة ويتجمّد عند درجة الصفر المئوي .

العوازل الحرارية

وهي مواد تعيق انتقال الحرارة وتساعد على حفظها كما هي ، وأيضاً حفظ البرودة كما هي . . والملابس في الشتاء عوازل حرارية تعزل حرارة الجسم عن هواء الشتاء البارد وتمنع حرارة الجسم من التبدّد خارجه ، والهواء عازل جيد ، والملابس المصنوعة من الصوف أو القطن أو الفرو هي عوازل جيدة . . وعلى هذا فإن العازل بحد ذاته لا يمنح الدفء ولكنه يحول دون تسرّب الحرارة من الجسم إلى الجو المحيط . . وكذلك فإن الثلج

★ المرسام الحراري Thermograph يسجّل تغيرات الحرارة المنبعثة من أيدي شاب في جو ثلجي بارد . . الألوان الفاتحة تشير إلى حرارة عالية ، والألوان الداكنة تشير إلى حرارة منخفضة ★





موصل رديء للحرارة ، وهو حين يغطّي التربة في الشتاء يحافظ على حرارتها ويمنع تسربها إلى الجو البارد ، ولذلك تكون التربة المغطّاة بالثلج درجة حرارتها أكثر بـ (١٠°) درجات مئوية من تلك التي لا يغطّيها الثلج ، وهذا سرّ فرح المزارع بالثلج .

في العصور الحجرية

الأدوات العظمية والحجرية المكتشفة تدل على أن الإنسان الأول عاش في إفريقيا منذ (٣) ملايين سنة ، وأقدم أثر مكتشف لاستعمال الإنسان للنار كان في قارة أوروبا (فرنسا والمجر) وفي قارة آسيا (الصين) ، والمراكز الأوروبية المكتشفة يرجع تاريخها إلى زمن الفترة الجليدية الثانية من (٥٠٠,٠٠٠ ــ ٤٠٠,٠٠٠) سنة ، بينما المراكز الآسيوية المكتشفة يرجع تاريخها لما بين الجليديتين ، واكتشفت مراكز أوروبية لاستعمال الإنسان للنار تاريخها يرجع إلى الفترة الجليدية الثالثة من (٢٠٠,٠٠٠ ــ ١٠٠,٠٠٠) سنة ، أما في إفريقيا فيظهر أن إنسانها قد تأخّر قليلاً من الزمن حتى استعمل النار .

واستعمال النار انتشر ببطء في أوروبا وآسيا خلال **العصر الحجري الأدنى** The Lower Paleolithic من (٣ مليون ــ ١٠٠,٠٠٠) سنة ، واستعمال المواقد للاحتراق كان شيئاً نادراً خلال هذا العصر ، وخلال العصر الحجري الأوسط The Middle Paleolithic من (١٠٠,٠٠٠ ــ ٣٥,٠٠٠) سنة صار استعمال الإنسان للنار ليس استثناءً ، وأحجار النار البيرينية Pyrite Firestones (البيريت معدن مكوّن من كبريت وحديد) بدت أكثر وفرة في المراكز المتأخرة للعصر الحجري الأعلى من (٣٥,٠٠٠ ــ ١٢,٠٠٠) سنة .

واكتشف أثر لاستعمال الإنسان للنار منذ (١٥٠) ألف سنة في مركز من مراكز العصر الحجري الأدنى في كهف صغير يطل على البحر في **مدينة (نيس) بفرنسا** ، وكان هذا الإنسان يُطلق شرارة النار من الأحجار البيرينية ويشعل بها عواميد من الخشب يضعها قبالة جدار كهفه ، ثم يغطيها بجلود الحيوانات ، ودرجة حرارة كهفه تصل في هذه الحالة إلى (٧٠°) درجة فهرنهايتية ، بينما تكون درجة الحرارة خارج الكهف (٢٥°) ف . وكهف الإنسان العصر الحجري يبلغ قطره عدة أمتار .

وغير معروف للآن نوعية لباس إنسان العصر الحجري الأدنى ، وإن اكتشفت آثار لأول ألبسة خيطت بإبر من العظام والعاج في مراكز للعصر الحجري القديم الأعلى منذ (١٧٠٠٠) سنة ، وقبل ذلك ربما كانت تُخاط اللباس بإبر من العظام أو مثقاب الحجر .

البيات الشتوي عند الحيوان Hibernation

تتمتع الحيوانات بدرجات حرارة خاصة بها ، ولها في أدمغتها مركز خاص لتنظيم الحرارة وتثبيت درجتها . والحيوانات بحسب تنظيم حرارة أجسامها فرزت إلى مجموعتين : **(١) حيوانات ذات الدم البارد** Poikilothermes (كالزواحف والأسماك والبرمائيات و . . .) وتتغير درجات حرارة أجسامها تبعاً لدرجة حرارة الوسط الذي تعيش فيه . **(٢) حيوانات ذات الدم الحار** Homéothermes (كالثدييات والطيور) وتكون درجة حرارة الجسم المركزية ثابتة فيها تقف عند حد معيّن مهما كان الوسط الذي تعيش فيه ، وينظّم هذه الحرارة ما تحت المهاد البصري في الدماغ ــ سبق وشرحنا هذه العملية ــ ، ويضاف إلى ذلك أن للطيور جيوباً هوائية خاصة تمكّنها من أداء حركات تنفسية سريعة تعمل على تبريد الجسم أيام الحر . . وبعض الحيوانات يكسو جلدها شعر وفراء يساعدها على تثبيت درجة حرارتها ، والكلاب فقط يخلو جلدها من الغدد العرقية فلا إفراز عرقي عندها يخفف عنها الحر ولذا نراها أيام اشتداد الحر تلهث وتمدّ لسانها الذي يحوي شبكة دموية متقاربة أوعيتها تعمل على تبديد الحرارة الزائدة في الجو .

وعند حلول الشتاء البارد في نصف الكرة الشمالي يغدو من العسير في هذه الأحوال المناخية الصعبة على حيوانات تلك المناطق الوصول إلى مواردها الغذائية . . لذا فإن الملايين من تلك الحيوانات تلجأ إلى ظاهرة من أعجب ظواهر مملكة الحيوان وهي **(السبات الشتوي)** حيث تنام طيلة فصل الشتاء في أوكار وكهوف وأوجار ومخابئ وشقوق تحت الأرض تهيّؤها بأنفسها بعناية وحرص . . ثم بقدوم الربيع تستفيق وتخرج من مكامنها لتعيش حياتها الاعتيادية .

والبيات الشتوي للحيوانات سببه هبوط درجات الحرارة الفصلية ، والحيوانات ذات الدم الحار (كالدب والقنفذ والخفّاش) يتوقف عمل مركز تنظيم الحرارة في أدمغتها متى حان وقت البيات الشتوي وتهبط درجة حرارة الجسم هبوطاً سريعاً وتتباطأ عمليات التنفس حتى تكاد أن تتوقف وتقل عمليات التمثيل الغذائي والاستقلاب في الجسم وينبض القلب مرة واحدة كل دقيقة أو دقيقتين . . وعموماً تتباطأ جميع الوظائف الطبيعية للجسم إلى الحد الأدنى الضروري لحفظ الحياة . . وعندما تقترب درجة حرارة الجسم من درجة حرارة الجو المحيط يدخل الحيوان في حالة من فقدان الوعي طويلة . . أما الحيوانات ذات الدم البارد (كالزواحف والبرمائيات) والتي لا تمتلك في أدمغتها مراكز لتنظيم الحرارة فتنفّذ بياتها الشتوي بسرعة مع أول النسمات الباردة التي تهب عليها وتشعرها باقتراب فصل الشتاء ، وتستجيب أجسامها تلقائياً لهذه المؤشرات وتدخل في نوم عميق طويل في الأماكن التي هيأتها سلفاً . . وقد يتعرّض الحيوان أثناء نومه الشتوي الطويل إلى خطر الموت تجمّداً إذا لم يختر مكان نومه بعناية ، والحيوانات ذات الدم الحار إذا انخفضت درجة حرارة الهواء الذي تتنفّسه إلى حد قريب من درجة التجمّد يزداد تنفسها وترتعش طلباً للدفء . . تفعل هذا وهي ما تزال تغط في نوم عميق .

والبيات الشتوي يكسب الحيوان مناعة ضد الأمراض ، كما أنه يساعد الحيوانات التي ليس لها بيات شتوي على أن تبحث عن غذائها دون خوف من الضواري التي تغط في سبات عميق .. وعلى هذا فإن فترة البيات الشتوي ليست فترة عجز بل هي فترة راحة وتجديد قدرات تقضيها الحيوانات



★ تتفتح أزهار القمح على شكل تيجان في الصباح المشرق لتحصل على الدفء من أشعة الشمس ★

بلا طعام أو شراب معتمدة على ما خزنته في أجسامها من الدهون خلال فصل الصيف والخريف .. هذا وقد تستيقظ الحيوانات من بياتها الشتوي في أية لحظة تحس فيها بخطر أو انزعاج وتغيّر أماكنها وهي في نومها .. وللبيات الشتوي خصائص تكيّفية أوجدها الله (جلّ جلاله) لمخلوقات قد يُعجزها التدبير فلا تجد غذاءها .

ارتجاف العصافير
Shivering Finches

كما أن الأسكيمو الذين يعيشون منعزلين عن شعوب الأرض في هذه الأجواء الثلجية ، كذلك فإن بعضاً من أنواع الطيور وجميعها من العصافير تبقى في أماكنها ولا تهاجر لأماكن أخرى يتوفر فيها الدفء والغذاء ..

والعصافير Finches كما الثدييات Mammals تحتفظ أجسامها بدرجات حرارة ثابتة ينظّمها تحت المهاد في الدماغ ، وينتجها الجسم من عمليات التمثيل الغذائي كطاقة تحوّل الحرارة (٦٠٪ من طاقة الجسم تصرف كحرارة) .. وفي البرد الشديد يزداد التمثيل الغذائي لتأمين الطاقة الضرورية للعمليات والنشاطات الحيوية ، وإذا ما زادت حدة البرد فإن هذا يتطلب من الجسم إنتاج طاقة أكبر تؤمّن حرارة أكثر . وهنا .. فإن الطيور خاصة (والثدييات أيضاً) تعوّض عن هذا بالارتجاف الشديد (الارتعاش Shivering) ، وأثناء الارتعاش تنتج طاقة تقبّض Constraction العضلات وتزيد الارتعاش الذي ينتج حرارة تعين الكائن الحي على مقاومة البرد ، والارتجاف يرفع نسبة التمثيل الغذائي لأكثر من خمسة أضعاف نسبته العادية .. وأكثر ما تظهر هذه المعاناة في العصافير الصغيرة التي تزن أقل من (٣٠) غراماً ، فمشكلتها مع البرد كبيرة ذلك أنها تمتلك سطوح أجسام كبيرة بالنسبة لحجومها الصغيرة ، ولذا فهي تفقد من تعرّض هذه السطوح للبرد حرارة أكثر من النسبة التي يفقدها غيرها .. ولتتغلب على هذه المشكلة تنفّذ آليّتين . (١) آلية ميكانيكية تنتج حرارة زائدة وهي الارتعاش . (٢) آلية ميكانيكية إضافية تسمح برفع درجة حرارة الجسم لأكثر من الدرجة العادية الثابتة .. والعلميات هذه كثيرة ومعقّدة ومتشابكة تعد بالمئات والآلاف تستعمل فيها هذه العصافير الصغيرة قُدرات تحويلية عجيبة صيفاً وشتاءً ومع اختلاف الفصول تتمثل في تحويلها لثلاثة عناصر رئيسية من غذائها هي : (١) **الكربوهيدرات** Carbohydrates (٢) **الدهون** Lipids (٣) **البروتين** Protein إلى سلاسل من **سكر الجلوكوز** Glucose تترابط على شكل كليكوجين Glycogen **وثلاثي الجليسيريد** Triglyceride تخزّنها في الكبد Liver وفي العضلات الصدرية Pectoralis Muscles صيفاً . (سكر الجلوكوز تلتقطه من الدم بعد أن يصبح خلاصة غذاء) ..

وفي الشتاء البارد حين يقل الغذاء وتلزم العصفور طاقة إضافية لإنتاج حرارة زائدة ، يقوم العصفور بعكس ما عمله أثناء التخزين ويفكّك سلاسل الكليكوجين ويحوّلها إلى سكر الجلوكوز الذي يستعمله كغذاء رئيسي في الجسم .

والبحث في الآلية الرئيسية التي تستعملها **العصافير الذهبية (الحسون)** Goldfinches تستتبع النظر في ثلاثة أشكال فيزيولوجية توافقية تجري في جسم هذا المخلوق الصغير لتعزز استخدام الطاقة الإضافية شتاءً لإنتاج الحرارة الزائدة .. وهذه الأشكل هي : (١) ازدياد قدرة النسج Tissues التي تنتج الحرارة واستخدام الأكسجين لعمليات الأكسدة Oxidize وحرق الغذاء لإنتاج ثلاثي أدنيوسين الفوسفات Adenosine Triphosphate (ATP) فيها . (٢) ازدياد في تخزين الكليكوجين وثلاثي الجليسيريد لتستعمله النسج التي تنتج الحرارة . (٣) التبدّل الفصلي لاستخدام الكليكوجين وثلاثي الجليسيريد صيفاً وشتاءً كوقود للارتجاف الذي سينتج الحرارة الزائدة .. وعموماً فإن نشاط الأنزيمات Enzymes لتفكيك الكليكوجين والأحماض الدهنية Gatty Acids في الجسم في العصافير الشتوية هو أعلى بنسبة (٥٠٪) من مثيلها عند العصافير الصيفية .. ما هذا؟ يا لقدرة الله القاهرة التي تظهر في أضعف مخلوقاته .. ويا لعظم هذه الأمور المنسّقة والمنظّمة بترتيبات وأقدار تُعجزنا عن فهمها لا عن إيجادها .. مئات وآلاف العمليات الكيميائية المعقّدة والمتشابكة والتي تلزمنا صفحات كثيرة لشرحها إن استطعنا تجري في جسم هذا المخلوق الصغير الأعجم لتهيّئه لظروف أريد له أن يكون فيها .. لهدف ومعنى وحكمة كبيرة .. ولتكمل الحكمة الأكبر من ترابط كل ما في هذا الوجود البديع الخَلق والإيجاد في وحدة خَلق ومخلوقات .. تدلّ على صانع واحد أحد سبحانه وجلّت قدرته .

الأزهار عندما تشرق الشمس

نحن نعلم أن الأوراق الخضراء في النبات تستعمل ضوء الشمس في عملية التركيب الضوئي Photosynthesis .. ولكن لا نعلم كيف تستعمل الأزهار الطاقة الشمسية لتولّد الحرارة لنفسها وتكتسب الدفء ، وهذا قد يكون بسبب أننا لا نرى كيف تمسك هذه الأزهار بالطاقة الشمسية ..

ولأزهار المناطق الباردة طبق صغير به هوائيات Antennas تعكس ضوء الشمس في بؤرة Focus تركّز الحرارة في وسط الزهرة حيث يستقر الإشعاع بين السداة Stamen (العضو الذكري للزهرة) والكربلة Carpel (العضو الأنثوي للزهرة)، وتحتجز الحرارة في هذا المكان فترة تكفي ليعمّ الدفء أوصال الزهرة بالكامل بعد أن ينتشر الإشعاع الحراري لكل أطرافها.. (البؤرة نقطة تركيز إشعاع مشتّت).

واللون الأحمر واللون الأزرق في أطراف الطيف الضوئي المرئي (**قوس قزح** Rainbow) من الأشعة الكهرومغناطيسية Electromagentic ضروريان لعمليات اصطناع الغذاء في النبات، والأزهار في المناطق الباردة تتلقى الأشعة فوق البنفسجية Ultraviolet (الضارّة للإنسان) وتستفيد منها لعمليات التلقيح (التأبير) والتناسل.

وفي الساعات الأولى من الصباح حين إشراق الشمس تشع الشمس طاقة حرارية غير مرئية هي الأشعة تحت الحمراء (الحرارية) Infrared بمقدار **سعر حراري** Calorie لكل سم² من الأرض تكون كافية لتبعث الحرارة والدفء في أوصال النبات خلال وقت قصير، والأزهار تستعمل هذه الطاقة الحرارية من الأشعة تحت الحمراء في عمليات تنتج درجات حرارة كافية تمنحها الدفء والنماء. (٥٠٪ من الطاقة التي تصل الأرض من هذه الأشعة).

وأكثر من (٩٠٪) من أمواج الأشعة تحت الحمراء القصيرة الذبذبة (التردّد) تضرب سطوح أوراق النبات والتبلات Petals وتنعكس مرتدة منها إلى الجو، والأزهار إذا كان عليها ماء الندى والمسام Poresالميكروسكوبية الثغرية الدقيقة متفتحة، فإن كل حرارة الأوراق والأزهار تفقد بعملية التبخر Evaporation (مثل تعرّق الإنسان والحيوان) وتصل درجة الحرارة فيهما أكثر بـ (١٨ ـ ٣٦°) درجة فهرنهايتية من الجو المحيط، وإذا لم يكن هناك تبخر فإن الأوراق والأزهار تعدّل من درجات حرارتها بطرق أخرى مثل تلك التي تستعملها النباتات في المناطق الدافئة حيث تتوفر أشعة الشمس على الدوام.. بمعنى أن الله (جلّ جلاله) إنما جعل من ألوان الطيف المرئي وأمواجه المختلفة ضرورات خلْق.. فكل طول موجة له ضرورة عند كائن.. وما يضر هذا قد ينفع ذاك.. فكل شيء خلَقه سبحانه بقدر.

نباتات الأماكن العالية الباردة

من الجبال الاستوائية العالية إلى مناطق التندر القطبية لا يخلو مكان من نوع ما من النبات، وفي المناطق القطبية Arctic يوجد أكثر من (١٠٠٠) نوع من نباتات (الأزهار) التي تعيش وتنمو وتزهر بوفرة في هذه المناطق الباردة، وأكثر من نصف هذا العدد من النباتات تنمو في قمم الجبال العالية حيث درجات الحرارة دون الصفر، ومنها مثلاً نباتات عائلة القرنفليات ذات الأوراق الصغيرة التي تتفتح في قمم الجبال على علو أكثر من (٤) آلاف متر، حيث تصل كميات كبيرة من الأشعة فوق البنفسجية أكثر من تلك التي تصل لمناطق سطح البحر المنخفضة، ويقوم الكلوروبلاست (جزء النبات المحتوي على الكلوروفيل) بعملية التخليق الضوئي، وفي الليل يتحول النشا إلى سكر ويغادر الأوراق إلى الساق والجذور.. وأكثر هذه النباتات أتت من خط الاستواء إلى المناطق القطبية الباردة حيث حملت بذورها الطيور المهاجرة والرياح.. وعموماً فإن النبات في المناطق القطبية الباردة لا يشغل أكثر من (٤٪) من مساحتها.

لباس للطقس البارد

الحرارة تنتقل من سطح الجلد إلى الجو المحيط بأربع وسائط: (١) **التبخر** Evaporation (٢) **الحمل الحراري** Convection (٣) **التوصيل** Conduction (٤) **الإشعاع** Radiation.. والتبخر له دور رئيسي في فقد الحرارة، والحمل ينقل الحرارة من الجسم الدافئ ويحرّك طبقات الهواء الباردة التي تلف حول الجسم، والتوصيل عملية نقل للحرارة من الجسم الدافئ إلى أي شيء بارد ساكن بعد أن يلامس الجسم أشياء باردة تنتقل إليها حرارته، والفرق الرئيسي بين الحمل والتوصيل أن الحمل يتضمن حركة طبقات الهواء (صعود ونزول) بينما التوصيل يتم من خلال عناصر ساكنة، والإشعاع الحراري بين جسمين يعتمد على اختلاف درجات الحرارة فيما بينهما، فعندما تنخفض درجة الحرارة في يوم بارد فإن الجلد يشع حرارة أقل، وتنقبض الأوعية الدموية لتساعد على حفظ حرارة الجسم، وتقل كميات الدم المندفعة من القلب إلى الأطراف، ويبرد الدم العائد من الجسم إلى القلب، وتبرد الأيدي والأقدام.. هذا ورغم أن الأقدام لا تشكّل أكثر من (١٠٪) من سطوح الجسم إلا أن الجسم يفقد من حرارته عن طريقها أكثر من (١٣٪)، وكذلك فإن الوجه والرأس لا يشكلان أكثر من (٥٪) من مساحة سطوح الجسم، ولكنهما يفقد أكثر من (٧ ـ ٥٠٪) من حرارة الجسم، ولذلك يغطي الرأس دائماً في المناطق الباردة.. وأكثر حرارة الجسم تُفقد عن طريق الأيدي والأقدام والوجه والرأس. واللباس هو أهم شيء يحافظ على حرارة أجسامنا عند معدلاتها الثابتة، واللباس العازل الرديء النقل للحرارة (كالصوف) يحفظ حرارة أجسامنا ولا يبددها، وطبقات الثياب المختلفة تحفظ بين طياتها الهواء الدافئ الذي يصير هو بحد ذاته عازلاً حرارياً، ذلك أن الهواء رديء النقل للحرارة، والتحكّم بدرجة حرارة الجسم كلنا نلحظه حين ننزع طبقة وراء طبقة من اللباس.

والمهندسون والعلماء الفيزيولوجيون ومصممو الألبسة يحاولون إيجاد ثياب لا تمتص حرارة الجسم ولا تعيق التنفس أو حركات الجسم، وقد أفلحوا أخيراً في صنع **ثياب من معدن النحاس** Copper يمكن أن تكون أفضل الألبسة للمناطق الباردة، **فهي عازلة حرارة** ويمكن أن تُرسل من خلالها أيضاً الحرارة إلى الجسم، والعملية تتم بإعادة أكثر من (٥٠٪) من حرارة الجسم التي تتبدّد عن طريق الجلد إلى الجسم ثانية.. والتجارب مستمرة لصنع الكثير من هذه الثياب ولاستعمالها خاصة في الجيش الأميركي.. إنه فعلاً ثوب لائق.



★ صورة ملونة لبضع خلايا عصبية معزولة من مخ إنسان ، لتكون غابة غريبة من الاتصالات ، التي تترجم النبضات إلى سيل من المعلومات ، وكأنما هي دوائر إلكترونية تحتار فيها العقول البشرية ★

اعرف مخك .. تعرف ذاتك

بقلم : د. عبد المحسن صالح

إن من يفقد عقله ، يفقد آدميته ، ويصبح بهذا أقرب إلى الحيوان منه إلى الإنسان ! ولا شك أن العقل ينبع أساساً من المخ ، وليس هذا الاستنتاج وليد تصور أو خيال ، بل جاء نتيجة بحوث طويلة ومضنية أجراها العلماء على أمخاخ الإنسان والحيوان ، ومنها أدركوا أن أي خلل في المخ ، ينعكس على خلل في التصرف أو السلوك .. أو بمعنى أوضح على العقول .

وقد يصاب الإنسان بالجنون ، وللجنون درجات ، وهي تختلف باختلاف ما أصاب المخ من تغيرات ، وكذلك الحال مع الحيوان ، إذ أحياناً ما يصاب بدوره بالاضطرابات والهياج والجنون ، وليس أدل على ذلك من حيوان مسعور ، وقد ينتقل سعاره إلى الإنسان عن طريق عضة ، وفيها ينساب فيروس ليسري في الدم ، حيث يسكن خلايا المخ ، ويحدث فيها تدميراً ، وعندئذ يصاب الإنسان بالسعار ، وهو ـ على أية حال ـ انعكاس لما حل في مخ الإنسان والحيوان من عوامل مدمرة ، وقد تكون هذه العوامل بيولوجية (ميكروبات) أو عارضة (تهتك في المخ من شظية أو رصاصة) أو كيميائية أو صدمة عاطفية عاتية تحدث خللاً في النظم الدقيقة السارية في خلايا المخ .. إلخ .

ومع ذلك ، كان لا بد أن نستدرك ونشير إلى أن الحيوانات قد امتلكت أمخاخاً ، وبها تتعامل مع مؤثرات البيئة الطبيعية التي تعيش فيها ، كما هو الحال بالنسبة لنا تماماً ، لكنها مع ذلك لا تتصف بصفة العقل والإدراك والإحساس بالذات كما يدرك ذلك الإنسان ، وهذا يرجع إلى تطور وإضافات وتحويرات في

مخ الإنسان ، أو بالتحديد في مراكز الإدراك العليا التي تبدو واضحة عند تشريح الأمخاخ .

الكائنات سجلات لفكرة عليا

ولكي ندرك ذاتنا ، فلا أقل من معرفة التفاصيل الدقيقة التي جاءت بها أمخاخنا ، لكن هذه المعرفة تستلزم مناهج محددة ، وبحوثاً مقننة ، وعلماء على درجة هائلة من الذكاء والاستيعاب والصبر والحرص البالغ في تحليل وتعليل ما تتمخض عنه تجاربهم من نتائج ، إذ ليس هناك ــ والحق يقال ــ ما هو أعوص ولا أشق من البحث في أسرار المخ ومتاهاته وأمراضه واضطراباته ، لأن المخ هو أعقد تكوين ، وأرق نظام يمكن أن يتعامل معه العلماء في هذا الركن من الكون العظيم ، أو هو ــ في حد ذاته ــ كون مثير قائم فوق أكتافنا .

فمن الروّاد الأوائل في هذا المجال ، **العالم الرياضي الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت** الذي عاش في القرن السابع عشر ، إذ يحكي لنا أحد أصدقائه ، كيف أنه دخل عليه في خلوته ، فوجد أمامه بعض الحيوانات التي كان يقوم بتشريحها ، علّه يعرف كيف ترتبط أمخاخها بأجسامها ، وتسيطر هذه على تلك وتوجهها ، وعندما رأى **ديكارت** الدهشة بادية على صديقه ، أشار إلى ما أمامه وقال : « إن هذه هي كتبي ومراجعي التي أستقي منها معلوماتي » ! .

وهو ــ في ذلك ــ على حق ، لأن **ديكارت هو مؤسس العلم التجريبي** ، إذ ليس العلم موجوداً فقط في الكتب المؤلفة ، بل كأنما هو مكتوب ومسجل ومجسد في هذه المخلوقات التي ظهرت على الأرض قبل أن يظهر الإنسان نفسه عليها بمئات الملايين من السنين ، فلا شك أن كل خلق قد جاء على أساس علم متقن ، ونظام مذهل ، ولهذا كان منهج العلماء أن يستقوا العلم من مصادره ، وكأنما الطبيعة ذاتها بمثابة كتاب مكتوب ومفتوح أمام العقول الباحثة الواعية ، ومنه تنهل كل ما هو حق وأصيل ومتقن وعظيم ، وربما كان ذلك المنهج القويم في العلوم التجريبية ، هو ما أشارت إليه الآية القرآنية **﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ﴾** (سورة العنكبوت ، الآية ٢٠) .

والذين نظروا وتأملوا وبحثوا وصلوا ، في حين أن الذين لم يفعلوا قد تخلفوا ، ولا يستوي هؤلاء مع أولئك .. **﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾** (سورة الزمر ، الآية ٩) .

وعندما قام الأوائل بتشريح الأمخاخ ، لم يملكوا غير أدواتهم البدائية ، وعيونهم التقليدية ، لينظروا بها إلى هذه الكتل اللينة المتكورة داخل رؤوس الإنسان والحيوان ، لكن العين هنا قاصرة ، إذ هي لا تستطيع أن ترى إلا التكوينات الظاهرة .. تراها على هيئة تلافيف غريبة ، وفصوص متجاورة ، وأوعية دموية منتشرة ، ومناطق ذات تضاريس مختلفة ، وفوق كل هذا ، فإن العيون تتعامل مع كتل ميتة لا حياة فيها ولا إحساس ولا حركة .

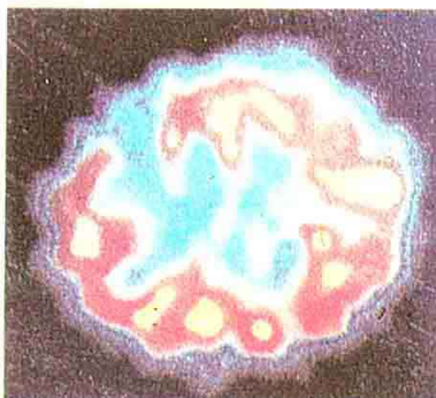
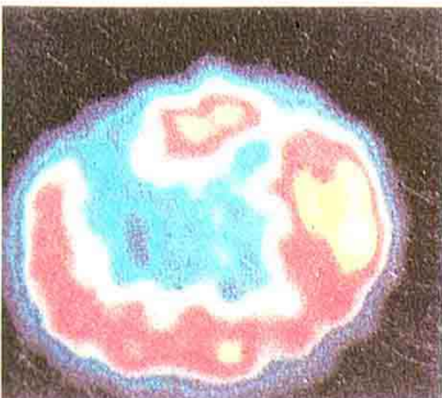
وعندما ظهر **الميكروسكوب** ، أصبح بمثابة عين أخرى للإنسان لتريه « ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت » .. فعن طريق تكبيره لدقائق الأشياء مئات وآلاف المرات ، يمكن رؤية تفاصيل الخلق في الأمخاخ وغير الأمخاخ .. صحيح أن كل الخلق من خلايا ، لكن خلايا المخ بالنسبة لخلايا الجسم هي بمثابة أرقى وأسمى ما في الأجسام على الإطلاق ، لأنها هي المسيطرة والموجهة والحاكمة والمدركة لما يجري حولها من أحداث .

الأساس واحد

إن خلايا الأمخاخ ــ وكما أظهرتها لنا الميكروسكوبات ــ تبدو بشكل مثير ، ونظام فريد ، والغريب أن هذه الخلايا لا تختلف كثيراً في الشكل من إنسان إلى قرد إلى كلب وفأر وسحلية .. إلخ (**انظر الشكل الدال على ذلك**) ، وهذه نتيجة قد لا نرتاح إليها كثيراً ، ثم أنها تزيد حيرتنا في تكوين صورة حقيقية للحدود الفاصلة بين المخلوقات ، وبحيث يكون للسحلية موقعها في المخلوقات الدنيا ، وللإنسان موقعه في المراتب العليا ، لكن ذلك لا يعني أن مخ السحلية أو غيرها قد أمكن التوصل إلى

★ يوضح المسح الجزئي للمخ بالميكروسكوب الإلكتروني المجسم ، الفرق بين حالات المخ في الصحة والمرض .. فالصورتان العلويتان لمخ إنسان سليم ، والسفليتان لمخ إنسان مصاب بجلطة ★



ما فيه من أسرار ، أو أنه شيء بسيط ، بل العكس هو الصحيح ، لأن خلية عصبية واحدة من مخ السحلية تنطوي على ذات الميكانيكية البيولوجية التي تشتغل أيضاً على أساسها خلية عصبية في مخ الإنسان ! .

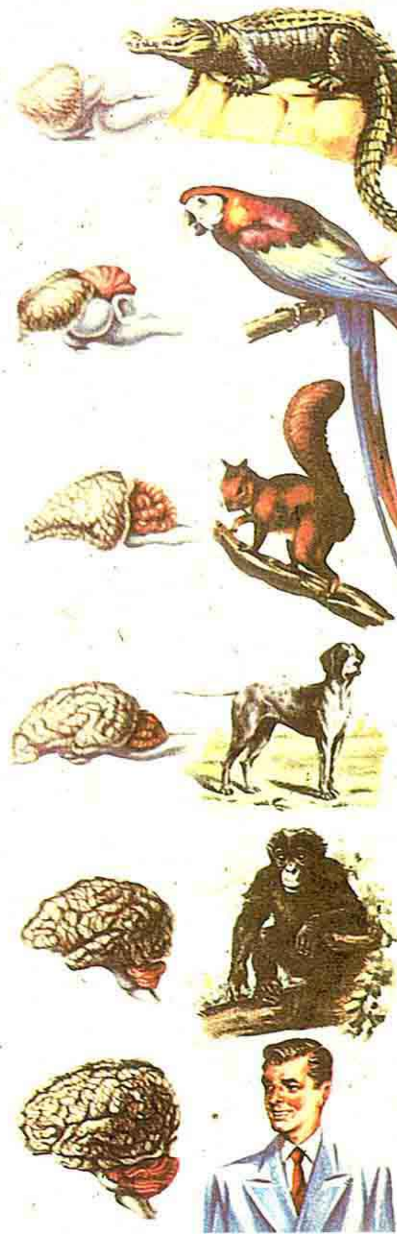
ولا شك أن هذه المقارنة قد تبدو مجحفة بالنسبة لنا نحن معشر البشر ، خاصة وأن الإنسان هو سيد مخلوقات هذا الكوكب . . وهذا صحيح من وجهة نظرنا ، لكنه من وجهة نظر الحياة مختلف تماماً ، إذ إن الخلايا العصبية في كل المخلوقات قد اشتقت من أصل واحد ، وجاءت على أساس نمط موحد ، ليس فقط في الشكل الظاهري ، بل أيضاً في التكوين الباطني ، لأنها تشتغل على نفس المبدأ ، وتتعامل مع نفس المكونات ، وتتفاعل بنفس المركبات ، وتنتج نفس النبضات ، وتسيطر على نفس الحركات . . بمعنى أنك لو أثرت عصباً في عضلة في ساق سحلية أو ضفدعة ، فإن العضلة تستجيب للمؤثر على نفس المنوال الذي يثار به عصب في عضلة في ساق قرد أو إنسان .

ولكي نخرج من هذا المأزق الفكري ، فليس هناك أمامنا من مخرج إلا أن نقول إن مخ الإنسان قد جاء بتنظيم أدق ، ومراكز أسمى ، وأحجام أكبر ، وتفاعلات أعقد ، وتناسق أرق يتطلبه موقعنا السامي بين الخلق . . أي إن التغيرات والإضافات ليست في كيان الخلية العصبية ذاتها ، بقدر ما هو تآلف وتناسق بين ملايين وبلايين الخلايا العصبية التي تسكن رؤوس الحيوان والإنسان ، فتجعل لكل درجته في سلم المخلوقات .

السر العظيم

ولكي نوضح ما قدمنا فأوجزنا ، فلا مناص من التعرض هنا للوحدة التي قامت عليها أمخاخ الإنسان والحيوان ، فلكي تدرك الأساس الذي قام عليه أي نظام من نظم الخلق ، فعليك أن تدرس أولا الوحدة التي بني على أساسها هذا النظام أو ذاك .

فرغم أن التناسق بين خلايا المخ ومراكزه المختلفة هو التحدي الحقيقي الذي يجابه العلماء ،



★ تطور أمخاخ الحيوانات يتبعه تطور في حجم المخ ووزنه ، لكن الأجزاء الرئيسية في أمخاخ الإنسان والحيوانات متشابهة ، مع اختلاف في النسبة ليصبح مخ الإنسان أكبرها وأعقدها ، لينبع منه العقل والإدراك ★

إلا أن التحدي الأكبر يكمن أيضاً في خلية عصبية واحدة ، إذ لو أدركنا سرها ، وعرفنا نظامها ، وتوصلنا إلى التفاصيل الدقيقة التي تقوم عليها حياتها ، فإن ذلك ييسر الطريق لمعرفة الكثير من أسرار أمخاخنا .

إن الخلية العصبية ـ أية خلية تشاء من أي مخلوق تريد ـ تتكون من ثلاثة أجزاء رئيسية ، أولها جسم الخلية ذاتها ، وفيه تكمن مرافقها الأساسية التي تدير بها شؤون حياتها ، وتعرف كيف تستقبل وترد على الإشارات الواصلة إليها ، و « تعي » ما يدور حولها ، **وثانيها** محور عصبي يمتد من جسم خلية ليتصل بجسم خلية أخرى ، **وثالثها** زوائد تشبه الجذور أو الأغصان المتفرعة ، وعليها مئات أو آلاف البروزات الدقيقة التي تعرف باسم نقط التشابك العصبي ، لأنها بمثابة مراكز الاتصال الذي يتم عن طريقها تبادل النبضات العصبية عن طريق المحاور التي تمتد حولها من الخلايا العصبية الأخرى ، وبحيث تبدو لنا الأمور على هيئة شبكات هائلة ومعقدة أشد التعقيد .

هذا هو ببساطة ظاهر أية خلية عصبية في أي مخلوق ، فإذا أتينا إلى باطنها ، فإننا نصطدم بجيوش هائلة من الجزيئات العملاقة المتفاعلة والمتناسقة تناسقاً مذهلاً ، وبحيث تعصر العقل ذاته ، وتجعله يعيش في متاهات ما بعدها متاهات ، لكن من هذه المتاهات ينبع تنظيم تهون بجواره كل نظم البشر وما يدعون .

في داخل أية خلية عصبية تكمن مرافق شيدت تشييداً بديعاً . . فمن نواة تحتوي على البروجرام الوراثي الذي أصبح بالنسبة لها بمثابة المخ المفكر ، والعقل المدبر ، لأنها ـ أي النواة ـ تحتوي على حوالي ثمانية آلاف مليون شيفرة وراثية منتظمة على أشرطة دقيقة غاية الدقة ، تنطوي داخل كروموسومات ، وعندما تشتغل هذه الأشرطة ، فإنها تعطي سيلاً من المعلومات . . المعلومات تتحول إلى خطط . . الخطط إلى تنفيذ . . التنفيذ يؤدي إلى إدارة مرافق الخلية ، ويعطيها صفاتها التي جاءت بها عليها ، لتؤدي رسالاتها نحو ملكوتها الصغير ، ونحو جيرانها ، فتتم الاتصالات العصبية من الخارج ومن الداخل .

وفي نواة الخلية وفيما حولها من **مادة الحياة (السيتوبلازم)** يوجد أيضاً حوالي ستة آلاف مليون بروتين من أنماط مختلفة ، وتكوينات متباينة ، ووظائف مميزة ، فمنها ما جاء صغيراً أو متوسطاً أو كبيراً أو عملاقاً ، وهي على أية حال معقدة أشد تعقيد ، ولهذا أعيت العلماء الذين حاولوا معرفة تفاصيلها الدقيقة ، إذ على هذه البروتينات يقع العبء الأكبر ، والتنسيق الأعظم ، فكأنما هي بمثابة الفنيين في دولة عظمى ، أو حتى في العالم أجمع ، لأن عددها

يفوق عدد سكان عالمنا مرة ونصف مرة ، لكن هذه البروتينات منضبطة أدق انضباط ، ومتفاهمة على أسمى ما يكون التفاهم في العمل ، والتخصص في الوظيفة .

وفوق هذا تحتوي الخلية العصبية على حوالي عشرة آلاف مليون جزيء دهني ، وعلى أكثر من ٦٠٠ بليون « رسول » وراثي ، وكل رسول منها يحمل خطة محددة من رئاسته العليا (نعني النواة) ، وبهذه الخطط تقوم الخلايا بإنتاج بروتيناتها ، والإنتاج يتم في مطابع خلوية (ريبوسومات) ، والمطابع الحية تحتاج إلى طاقة ، كما تحتاجها أيضاً أية عملية أخرى كيميائية ، ومن أجل هذا زودت كل خلية عصبية بحوالي ١٥٠٠ محطة لتوليد الطاقة (اسمها ميتوكوندريا) ، وذلك يعني أنها شرهة شراهة زائدة لاستهلاك الطاقة ، وهذا صحيح ، لأن حياة الخلية هنا بمثابة العين الساهرة أو الحارسة المتحفزة لكل ما يأتيها من إشارات ، وما يخرج منها من نبضات ، وما تقوم به من تحليلات ، وما تبثه حولها من معلومات ، وكل هذا يتم عن طريق سيل جارف من التفاعلات الكيميائية والإلكترونية .

حشد من التخصصات

وطبيعي أن هذه المعمعة الهائلة التي تجتاح كل خلية في أمخاخنا ، تحتاج إلى تحليلات وقياسات ومعايرات يتشعب فيها الحديث ويطول ، ثم أنها تستلزم مجموعات من العلماء ذوي تخصصات دقيقة مختلفة ، لأن كل مجموعة تنظر إلى الخلية العصبية خاصة والمخ عامة ، من وجهة نظر تتوافق مع تخصصاتها ، فعالم البيولوجيا مثلاً يراها نظام حياة تنطوي على مرافق خلوية ، وجزيئات وراثية ، وظواهر فسيولوجية .. إلخ ، وهو على حق فيما ذهب إليه ، وبحث فيه ، وركز عليه ! .

وعالم الإلكترونات ينظر إلى خلايا المخ على أنها غابة من دوائر كهربية أو إلكترونية تتحدى البشر أجمعين ، ومن أجل هذا يقف عاجزاً عن كشف تفاصيل هذا التشابك المذهل بين الخلايا العصبية ، ولا شك أن الوصول إلى أسرار هذه الدوائر الحية يحتاج إلى أجيال من البحث وراء أجيال .. وعالم الكيمياء الحيوية يعلم يقيناً أن المخ بمثابة معامل كيميائية على أدق وأعلى مستوى من التفاعلات ، وبحيث تؤدي هذه إلى ما نسميه بالانفعالات ، لأن الانفعال أو الاضطراب النفسي لا ينشأ هكذا بذاته ، بل من ورائه جيوش من مواد كيميائية بعضها تكونها أمخاخنا ، والبعض الآخر يصنعه الإنسان على هيئة أقراص مهدئة ، وكلما عرف عالم الكيمياء من أسرار الأمخاخ أعمق ، وأدرك من تفاعلاتها أعظم استطاع أن يقدم للبشرية خدمات أكبر .

كذلك يدخل إلى هذا الميدان علماء النفس والرياضيات والفيزياء .. إلخ ، وكل ينهل من أسرار المخ ما يشاء ، فعالم الرياضيات مثلاً يحاول استنباط معادلات رياضية ليدرك بها مغزى التوصيلات العصبية ، ولقد خرج أحدهم من ذلك بنتيجة لا شك أنها تضع عقولنا وفكرنا في حيص بيص ، إذ قدر أن عدد التباديل والتوافيق من الاتصالات التي تتم بين الألياف المنتشرة حول خلايا المخ قد تصل إلى أعداد تذهل العقول ، وتقع فيما وراء حدود الخيال ، ونحن لا نستطيع أن نكتب هذا الرقم هنا ، لأن كتابته قد تستوعب نصف صفحات هذه المجلة ، إذ عليك أن تكتب الرقم واحد ، وتضع على يمينه ثلاثمائة ألف صفر !! .. فهل منا من يستطيع أن يستوعب ضخامة الرقم ؟ .. إنه — على أية حال — يعطيك فكرة عن تلك الغابة المتشابكة من الاتصالات والتفاعلات وتبادل المعلومات التي تتمخض في النهاية عن شعورنا بعالمنا ، وإحساسنا بوجداننا ، وإدراكنا لذاتنا ﴿ **صنع الله الذي أتقن كل شيء** ﴾ (سورة النمل ، الآية ٨٨) .

حقائق مثيرة

وطبيعي أن كل مجموعة من العلماء تقدم ما وضع العلم بين أيديها من أحدث التكنولوجيات ، لتتجسس بها على أسرار هذا العالم المثير والمحير ، فكل معلومة تحصل عليها مجموعة ، تفتح الطريق أمام المجموعات الأخرى ، لتقدم لنا حقائق جديدة ، والواقع أنها لكثيرة .. كثيرة جداً ، وبحيث لا تكفي النتائج التي حصلوا عليها ثلاثين أو أربعين مجلة من حجم مجلة « **الفيصل** » ، ولهذا فإن ما نقدمه في هذه الدراسة ، أو في دراسات أخرى قليلة قادمة ، إنما هو جهد جد متواضع ، ومع ذلك فلا مناص من تقديم بعض حقائق مثيرة تمخضت عنها هذه البحوث .

●● **إن مخ الإنسان يشغل حجماً يقدر بحوالي ١٤٠٠ سنتيمتر مكعب في المتوسط (في حجم لتر ونصف لتر بالتقريب)** ، وفي هذا الحجم تكمن ما بين ١٢ — ١٤ ألف مليون خلية عصبية ، ومنها تمتد وصلات أو « أسلاك » أو خيوط حية تشبه الأخطبوط ، وعن طريقها تتم الاتصالات التي تسري على هيئة نبضات ، ولقد قدر عددها بحوالي

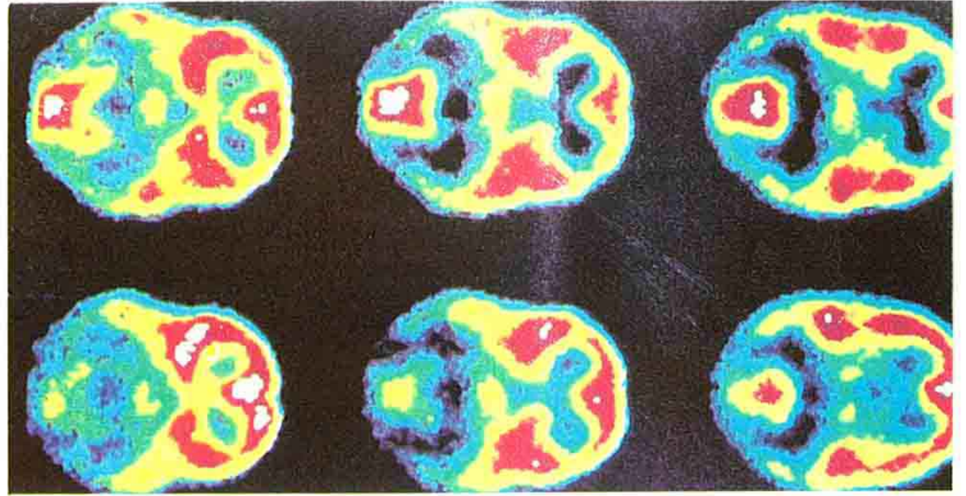
١٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠

وصلة (أي مائة بليون بليون) .. وهي بلا شك متاهات مخيفة ، وبحيث لا تنفع معها حسابات الحاسبين ، ولا تقديرات المقدرين ! .

●● لو أن هذه الوصلات الكامنة في بوصة واحدة مكعبة من أمخاخنا قد أمكن وصلها واحدة بجوار الأخرى ، لبلغ طولها ١٦ ألف كيلومتر ، **وهذا يعني أن مجموع أطوال الوصلات في مخ الإنسان أكبر من المسافة بين الأرض والقمر بحوالي مرتين .. أي في حدود ٦٠٠ ألف كيلومتر** ! .

●● إن محطة توليد قوى واحدة في الخلية العصبية تستهلك من ذرات الأوكسجين ما يقدر عدده بعشرة ملايين ذرة في كل ثانية ، وفي كل خلية — كما ذكرنا — حوالي ١٦٠٠ محطة متخصصة في حرق السكر بالأوكسجين في سلسلة من التفاعلات المتقنة ، ومن هنا فإن خلية عصبية واحدة تستهلك في كل ثانية حوالي ١٦ ألف مليون ذرة ، أو بمعدل مليون مليون ذرة في الدقيقة ، ولندعك تقدرها بعد ذلك في يوم أو سنة ، لو أردت ذلك .

●● **لو أن أي جزء من المخ قد حرم من الأوكسجين لمدة عشر ثوان**



★ يختلف نشاط المخ باختلاف المؤثرات التي يتقبلها من عالمه الخارجي .. فالصور الثلاث العليا لمخ إنسان في ثلاثة مستويات مختلفة وهو يتابع بعض الأحداث بعينيه ، والسفلى وهو مغمض العينين ★

فقط، لأدى ذلك إلى انهيار في وظيفته ، ولو زادت تفرة الحرمان عن ذلك ، لاختنقت الخلايا وماتت ، فكأنما أرخص شيء في الوجود (الهواء) هو أثمن شيء في حياة هذه الخلايا ! .

●● إن هذا النهم الشديد لحرق الأوكسجين وتوليد الطاقة في أمخاخنا ليس له مثيل في خلايا أجسامنا ، ولا بد ـ والحال كذلك ـ من توفير تيارات دماء سريعة إلى أمخاخنا ، لتجعلها تسبح في « طوفان » دائم من دم متجدد ، وقد كان ، إذ زود المخ بأربعة شرايين رئيسية ، تتوجه من قلوبنا مباشرة إلى أمخاخنا ، وبحيث يحصل المخ وحده على حوالي ٢٠ ٪ من ميزانية الدم الموجودة في أجسامنا . هذا رغم أن المخ لا يزن إلا حوالي ٢ ٪ فقط من وزن أجسامنا ! .

●● وتأسيساً على الحقيقة السابقة ، يستهلك المخ وحده حوالي ٢٥ ٪ من ميزانية الجسم من الأوكسجين ، أي كأنما خلاياه بمثابة أفران من طاقات منطلقة ، ويرجع هذا النهم الشديد إلى حقيقتين أساسيتين ، أولهما ناشئ من ضخامة التوصيلات التي تحيط بكل خلية ، وبالتالي مساحتها الكلية ، لأن الخلية هنا تعمل على أساس مبدأ علمي معروف ، إذ كلما زادت شبكات التوزيع ، انخفضت كفاءة ما يسري خلالها ، ولا بد من تعويض يعيد لها معدلاتها ، وكذلك حلت الخلايا العصبية مشكلاتها عن طريق فيض دائم من طاقات عالية ، تعوض بها ما يتسرب من شبكاتها فيما حولها ، أو قد تعيد ضخه إلى الداخل ، والضخ بلا شك يحتاج أيضاً إلى طاقة .. والحقيقة الثانية أن **الخلايا العصبية بمثابة معامل كيميائية في عجلة من أمرها ، وهي دائمة التصنيع لمركبات لا غنى عنها ، والتصنيع في حد ذاته يستهلك طاقة .**

●● لقد أظهر المسح الجزئي بالميكروسكوب الإلكتروني الذي يعمل بموجات ذات ترددات خاصة أن أمخاخنا ليست على مستوى واحد من الطاقة ، فهي في النوم ، غيرها في اليقظة ، غيرها في أثناء التركيز الذهني ، أو التفكير المضني ، غيرها في الصحة والمرض .. إلخ .. إلخ ، ولهذه القياسات طرق عويصة قد يتشعب فيها الحديث ويطول ، لكن يكفي أن نقول إن الصور التي أظهرها المسح بطرق خاصة (**انظر الشكل الدال على ذلك ضمن هذا المقال**) توضح أن المخ يحول تيارات الدم بطرق لسنا ندريها يقيناً ، إلى مناطق معينة تتميز بنشاط زائد ، ليهبها نصيباً أوفر من السكر والأوكسجين ، لتنتج مزيداً من الطاقة .. من ذلك مثلاً أن النشاط العصبي الموجود في مراكز الإبصار يختلف شدة أو ضعفاً باختلاف المؤثرات الضوئية التي تتقبلها عيوننا عندما نتطلع إلى مناظر متتابعة ، ويقل النشاط إذا أسبلت الجفون على العيون ، كذلك الحال مع مراكز السمع التي يزيد نشاطها في حالة سماع الموسيقى مثلاً ، ثم يضعف النشاط عندما لا تتقبل الأذنان شيئاً .. وتظهر الاختلافات أيضاً في حالات الصحة والمرض ، **في نوبات الصرع** ، يزيد معدل استهلاك الطاقة ، ومن أجل هذا يحس مريض الصرع بصفاء ذهني حاد بعد رجوعه إلى وعيه ، في حين أن إصابة المخ بالجلطات ، وما يتبع ذلك من نقص أو توقف اندفاع الدم إلى المناطق المصابة ، يؤدي إلى نقص في استهلاك الطاقة ، ومن ثم يمكن تمييز الأجزاء السليمة من المعطوبة .

●● إن خلايا المخ بمثابة بطاريات كهروكيميائية جد دقيقة ، ويعني هذا أنها تشتغل بوسيلتين متلازمتين ، إحداهما كيميائية والأخرى إلكترونية ، **ولقد قدر أحد العلماء أن الطاقة التي تنتج من مخ إنسان تكفي لإضاءة مصباح كهربي قوته ٢٥ واط ! ،** وطبيعي أن أمخاخنا لا تشع نوراً ، بل الأحرى بنا أن نقول إنها تشع فكراً وإحساساً ونبضات تسيطر بها على كل حركة من حركات أجسامنا .

●● إن أغرب شيء في نشاط الخلايا العصبية هي السرعة المذهلة التي تشحن بها نفسها ثم تفرغ شحناتها ، وكأنما هذه الشحنات بمثابة رصاصات تنطلق متتابعة من مدفع رشاش سريع الطلقات ، لأن هذه الخلايا تبعث بنبضاتها الإلكترونية بمعدلات تصل إلى مئات النبضات في كل ثانية ، وأعلى معدل سجله العلماء قد يصل إلى ١٥٠٠ نبضة في الثانية الواحدة ! .

وحقائق أخرى مثيرة وغريبة ، لا يتسع المجال لسردها ، لكن يكفي أن نشير هنا في نهاية هذه الدراسة إلى أن تجميع مثل هذه المعلومات عن خلايا أمخاخنا هو السبيل الوحيد الذي يمهد لنا الطريق للتعامل معها كيميائياً وإلكترونياً وكهربياً ، فلا تطبيق بدون معرفة سابقة ، وبغير ذلك لا يستقيم التعامل على مستوى الخلايا والأمخاخ والأجسام ، أو أي شأن آخر من شؤون الحياة ، ولقد حقق العلم في ذلك إنجازات كبيرة ومثيرة ، ولهذه دراسة أخرى قادمة لنعلم عن أمخاخنا ما لم نعلم ، وما أكثر ما لا نعلم **﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾** .

جو

Atmosphere

أضواء فجر الشمال



تكسون (Tucson) إشراق الألوان البديع الضارب إلى الحمرة في ليلة (١٢) أبريل (نيسان) الماضي ، مشهد لم يكن موجوداً عند غروب الليلة نفسها ، ولكن **الأورورا** aurora (**الشفق القطبي الشمالي**) نراه كأضواء تتلألأ عن قرب في منظر مهيب لا يتكرر إلا كل (٢٠) عاماً .. وهذا المشهد الجميل نراه في سماء الشمال القطبي لمدة قصيرة ، وذلك بعد فورانات شمسية ملتهبة تحدث في ذروة دورة البقع الشمسية وفي الجانب من الأرض المواجه لهذا النشاط .. والوهج المضيء هذا والذي يخطف الأبصار تسبّبه **الجسيمات** Particles التي تنبعث من الفوران الشمسي وتدخل جو الأرض فتسبّب توهّج ذرات الأكسجين .

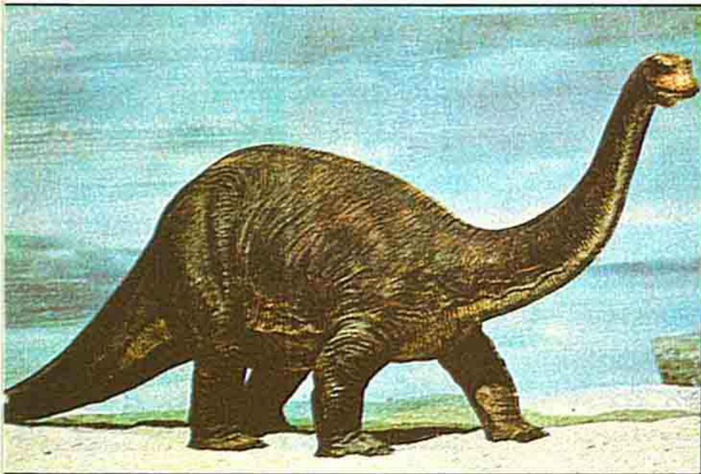
علم المستحاثات

Paleontologie

كشف هام عن الديناصورات

(تكساس Texas) : عالم المستحاثات في **جامعة ميتشيجان** (**أميريكا**) يقول إن آثار أصابع القدم العملاقة الثلاثة – تشاهدها في الصورة – التي وجدت مطبوعة على حجر الجير الكلسي في شمال غربي تكساس تمثل آثاراً أحفورية لأسرع حيوانات الديناصورات التي وجدت على الأرض وانقرضت فجأة منذ (١١٠) مليون عام .. **والعالم (جيمس فارلو** James Farlow) **من جامعة هوب (أميريكا)** وجد بأن العديد من الديناصورات كانت تجري وتنتقل بسرعة تقريبية تصل إلى حدود (٢٥) ميل في الساعة ، وأن هذه الديناصورات باستطاعتها تحطيم الرقم الأولمبي لسباق عدو المائة متر للإنسان وهو (٩,٩) ثانية .. ولم يسبق أن وُجدت آثار لديناصورات تنطلق بهذه السرعة الرهيبة ، ذلك أن أكثر سرعة مقررة لديناصور قبل هذا الكشف لم تكن تتجاوز السبعة أميال في الساعة . والعالم فارلو ليس متأكداً بعد من أنواع الديناصورات التي تركت هذه الآثار ولا كم هو عددها ، ولكنه يشك بأن بعضاً منها هي من أنواع الديناصورات آكلة اللحوم مثل (**التيرانوساورس** Tyrannosaurus rex) والتي وجدت آثار لها في طبقات مشابهة .

ولكن .. لم كانت هذه الزواحف العملاقة والتي





علم الجليديات

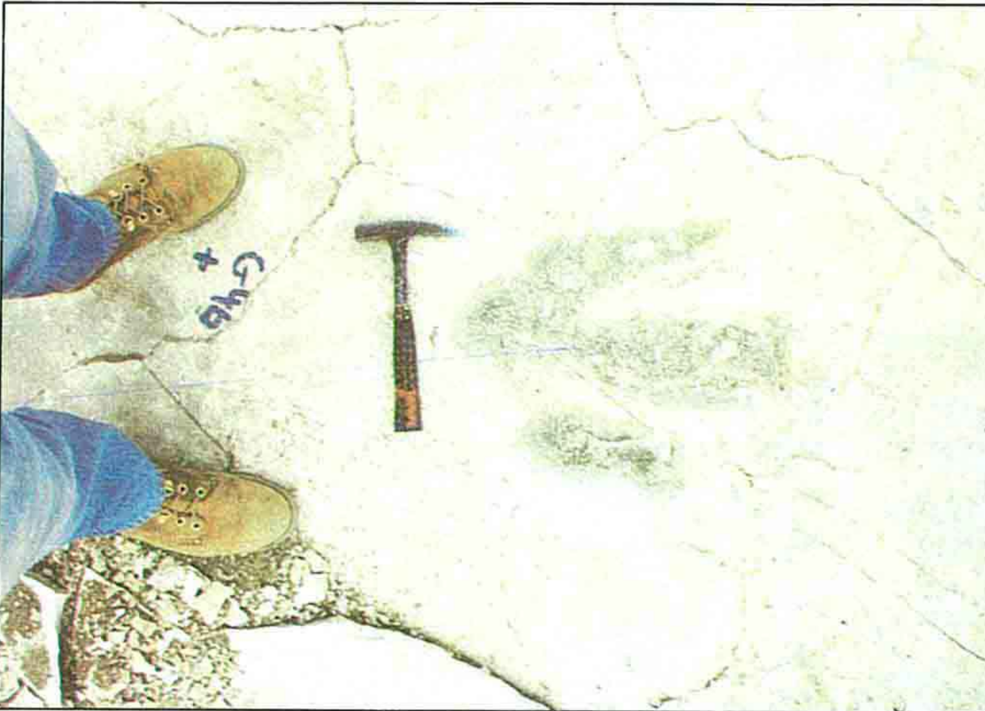
Glaciology

المجلّدة (كولومبيا) تتراجع

(الاسكا) Alaska ـ بعد أن صمدت المجلّدة (نهر الجليد) كولومبيا لتيارات المياه في مضيق الأمير وليام لأكثر من ألف عام، بدأت الآن تتراجع ويتقلّص حجمها، وأضحت آخر جليديات شواطئ الاسكا التي ترتد إلى الخلف، ففي العام الماضي فقط تقلّص طولها بحوالي (٥٠٠) متراً، وهذه أكبر مسافة تتراجعها طوال تاريخها.. وقد تنبأ الجيولوجيون بأن طولها سينقص حوالي (٦) أميال حتى عام ١٩٨٥م، وفي عام (٢٠٣٠)م لن يتبق منها سوى نصفها أي حوالي (٤١) ميلاً فقط، لأن حوالي (٢٠) مليون طن من الجليد يذوب منها كل يوم، ويتوقع علماء الجليديات أن تحصل نفس التراجعات في الخمسين مجلّدة أخرى من جليديات ألاسكا وذلك بسبب تباين درجات الحرارة وقلة سقوط الثلوج.

●●

يبلغ طولها حوالي (٥) أمتار ووزنها أكثر من نصف طن تجري بهذه السرعة الرهيبة؟ . هذا غير واضح للآن. ويقول العالم فارلو لعلها كانت تهرب من شيء ما يطاردها أو أنها كانت تفر من حادث كبير أو لعلها كانت تدور حول أماكن توطّنها.. والصورة تمثل آثار الأقدام العملاقة للديناصورات السريعة والتي وجدت على شواطئ غربي تكساس وطولها حوالي (١٨) بوصة. (البوصة = ٢,٥٤ سم).



●●

لوحة وفنان

● تكوين ●

● يتضح من اللوحة المعروضة المفهوم الفني للفنان علي الرزيزاء وأسلوبه في معالجة موضوعاته .. فالفن عنده نشاط تركيبي إبداعي ، يصنعه الجهد العقلي الواعي بكل أبعاده النفسية والاجتماعية ، وليس من صنع اللاشعور أو الخيال أو الغياب عن الوعي .

● موضوعه في اللوحة هو تكوين لأشكال ومفردات وعناصر مستمدة من التراث ، أي أن الفنان في هذه اللوحة يحاول العودة إلى التراث الإسلامي ، للاستلهام والبحث والتنقيب من خلاله عن مفردات وجماليات تشكيلية كالزخارف المستمدة من الفن الإسلامي ، وعملية تكرارها في إيقاع موسيقي ، والهلال .. وعن طريق إبراز جمالية الحرف العربي كمادة تاريخية مؤثرة تربط الإنسان بجذوره وتاريخه .

● التكوين في اللوحة راسخ من الناحية البنائية ، مصور في إطار البعدين ، ويقوم على اتزان العلاقات الهندسية (الأشكال من حيث الحجوم ، والخطوط من حيث الاتجاهات) ، ويتسم بالهارموني اللوني الواحد الذي يميل إلى الشق الدافئ ، فيغلب على ألوانه الأصفر والبني والذهبي .. ويستخدم الفنان الحروف العربية كعناصر خطية تشغل مساحات لها طبيعة نغمية تساهم في خلق وحدة النسيج العضوي في اللوحة .



● علي عبد العزيز الرزيزاء ●

● من مواليد « أشيقر » بالمملكة العربية السعودية عام ١٣٦٤ هـ .

● دبلوم أكاديمية الفنون الجميلة بروما ـ إيطاليا .

● عمل مدرّساً للتربية الفنية بإحدى المدارس الثانوية ، ويعمل حالياً مدرّساً للتربية الفنية بمعهد التربية الفنية بالرياض .

● اشترك في كثير من المعارض الفنية داخل وخارج السعودية منها :

★ معارض لجنة أسر ومجاهدي وشهداء فلسطين .

★ معرض كبار الفنانين السعوديين بالرياض .

★ معرض الفن السعودي بالأردن .

★ ١٦ معرضاً فنياً بإيطاليا .

● أقام معرضاً ثنائياً بالاشتراك مع الفنان السعودي سمير الدهام بصالة العرض بفندق الرياض انتركونتيننتال عام ١٩٨٢ م .


بسم

الرحيل

شعر: د. زكي الجابر

هذا القطار الصاعد المجهول
يحملني في زحمة المجهول
مقيداً مغلول
وليس لي بطاقة الرجوع ..
أهمس : يا محمود ..
فيصرخ القطار : يا محمود ... يا محمود
الصخر هل يجوع
لرجفة
للمسة ..
لكل ما تحمله الدموع ؟
من يشتري مخاوفي بدفقة اليقين
ومن يذيب خافقي بموجة الحنين ..
محمود .. يا محمود

أي النجيين في جنبيك يرتعد
خوف السماوات أم خوف لما وعدوا
وأي مسراك قد غامت مسالكه
وما انثنيت ، وأي الورد لا ترد
غرثان صديان إلا من هوى لجب
بين الحنايا ، وغير الصدق لا تجد
إذا نهدت عن الأظلام باركه
فجر وليد ولحن ساحر غرد
وهي الفيافي إذا وافيتها انبسطت
ماء كأن المنى من حولها الزرد
تعيا العيون على الساري إذا التبست
منه الظنون ، وساوى غيه الرشد

هل تولد القصيدة
صامتة .. وحيدة
في جبل من عذاب
حتى إذا أدركها المغني
عند التقاء النور بالضباب
تفجرت رائعة فريدة
أتولد الأغنيات
في شفة المغني
أم يولد المغني
في شفة الأغنيات ؟

يا أيها الشعر في أهوائنا عجب
نبكي غناء كما يستضحك النكد
تطامن الليل ، لا سلوى فنشربها
ولا ادكاراً له من روحنا المدد

تلك الدويلات لا زالت بمعتضد
يزهو بشبر ، وشبراً ساد معتمد
غفا الرباب .. ولم يصدح على فنن
إلا الغراب ، يناجي صوته الرصد
إن القصيد الذي باهى بخضرته
خضر الروابي طواه العاصف الرعد
تنور الجهل فيها ، واستطال بها
من لا يطول ، وأبدى عزه الوتد
تلق التماسيح عن حقد وعن ضعة
تبكيك حزناً إذا وافتك تزدرد
يا أمة الوهج الجبار لا هدأت
هذي الضلوع ، ولا أزرى بها الكمد
دين إلى الصدق ، يبقى الحب متصلاً
مهما استطالت ، ومهما تنفث العقد
الحب دمي
الصدق دمي



وأشد الأرض إلى قلبي
وأشد ، الشعر ، الدفء ، الإيمان
يتحرر في الإنسان

في المقلتين غد يحلو وفي يدنا
يوم يطل على آفاقه الرغد
ضراوة الحقد ما أغنت أبا لهب
تبّت يداه وتبّ الحبل والمسد
تغضن الجلد من بعض وما غضنت
منا الضلوع ، وذاك الصابر الجلد
سعياً على الدرب ، تلقانا على نشز
مهما افترقنا ، وإن الشمل يتحد
وإنه القلب يدري أن سورتها
نار ، وإنا لديها المعدن الصلد

وفي دمي
أحس هدأة اليقين
ورعشة الحنين
وانبجس الحجر
بدفقة الدموع والمطر

تفنى الهموم ، ويبقى هم معتكف
في قلبه أحد ، في صبره أحد
تطل سيناء غابات يسيرها
جند هم الرمل تغني عدهم عدد
سمر الوجوه يرق الطبع عندهم
كالنيل لو جئته صديان تبترد
وإنهم عند شد الهول عاصفة
هوجاء في جوفها الأتُون يتقد
هم الخماسين ما هبت وما نذرت
هم النسيم إذا وافاك يتئد
تهفو الشموس على سيناء رائعة
فوق الرمال ويحلو فوقها الرأد
وإنها أمة القرآن ما وهنت
ولن تهون ولن يستامها الحرد

هذا القطار الصاعد الموعود
يحملني والحلم الموعود
أهمس : يا حمود
فيصرخ القطار : يا حمود .. يا حمود
قد ولد المغني
في صيحة الرعود .

مع الربيع الأخضر

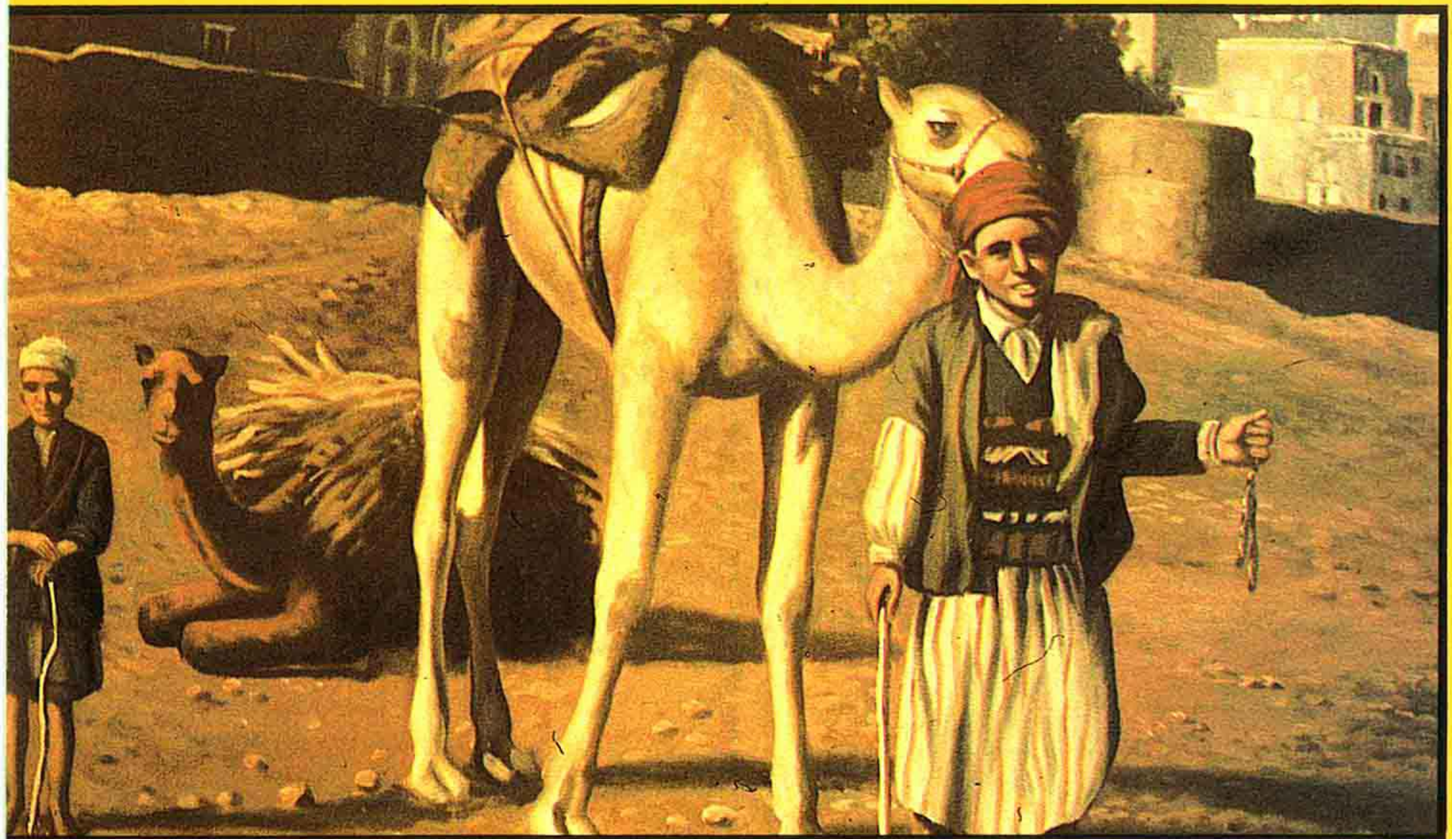
شعر : زكي قنصل

هشّ الربيع فحيّهِ واستبشر
حسبي وحسبك نفحة من عنبر
يا قلبُ أشقانا وأسعدنا الهوى
بالروح أفدي كل طرفٍ أحور
لا تشك أنك في سهادٍ دائم
يا ويح قلب في الهوى لم يسهر
نام الخليّ على الحرير فلم تطفْ
بسريره إلا الدمى من مرمر
هيهات أحسده على لذاته
تنهار ضحكته لدمعي الأحمر

★ ★

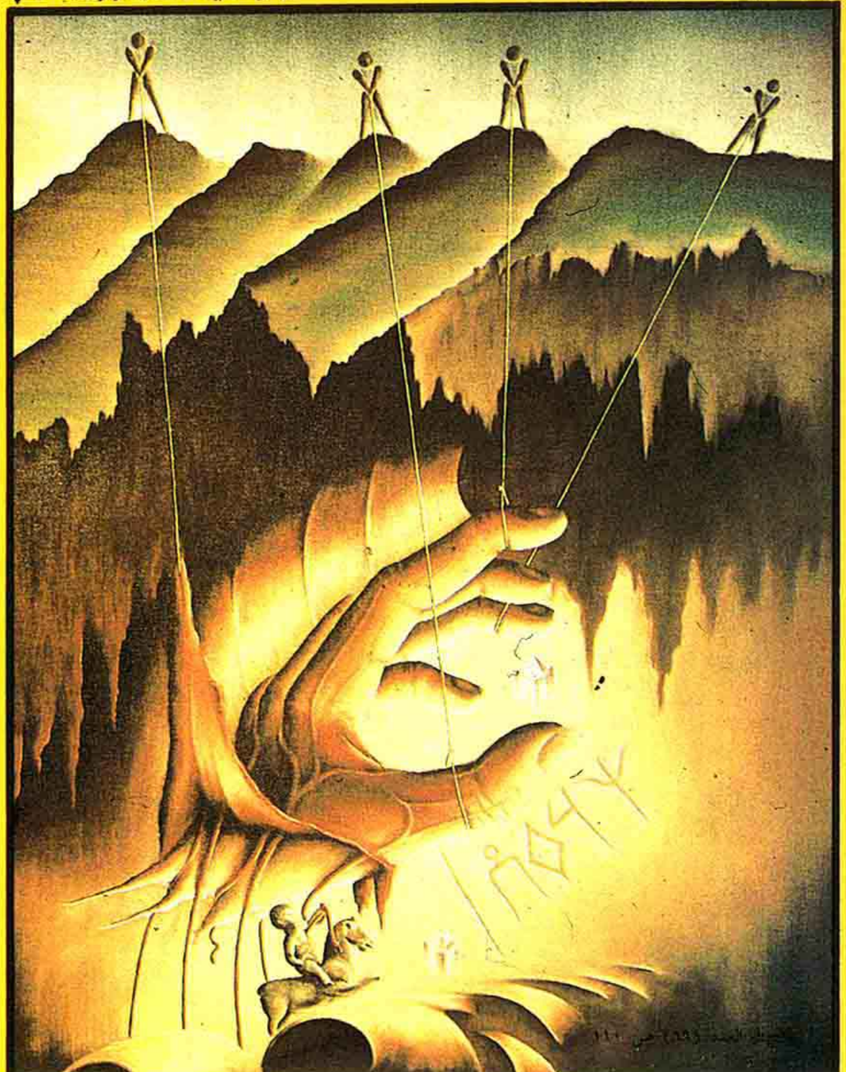
شبنا ولكن لم تزلْ أحلامنا
ربّا تدور مع الربيع الأخضر
قرّبت قلبي للجمال ذبيحة
ونقعت غلّة وجده بالكوثر
ربّيتُه للحب يهتف باسمه
حرزاً يقيه أذى الحسود الأصفر
أنا قد رضيت من الحياة بقسمتي
يبقى الحبيبُ ويأخذ الدنيا ثري !





▲ ★ الجمال ـ للفنان عبد الجبار نعمان ★

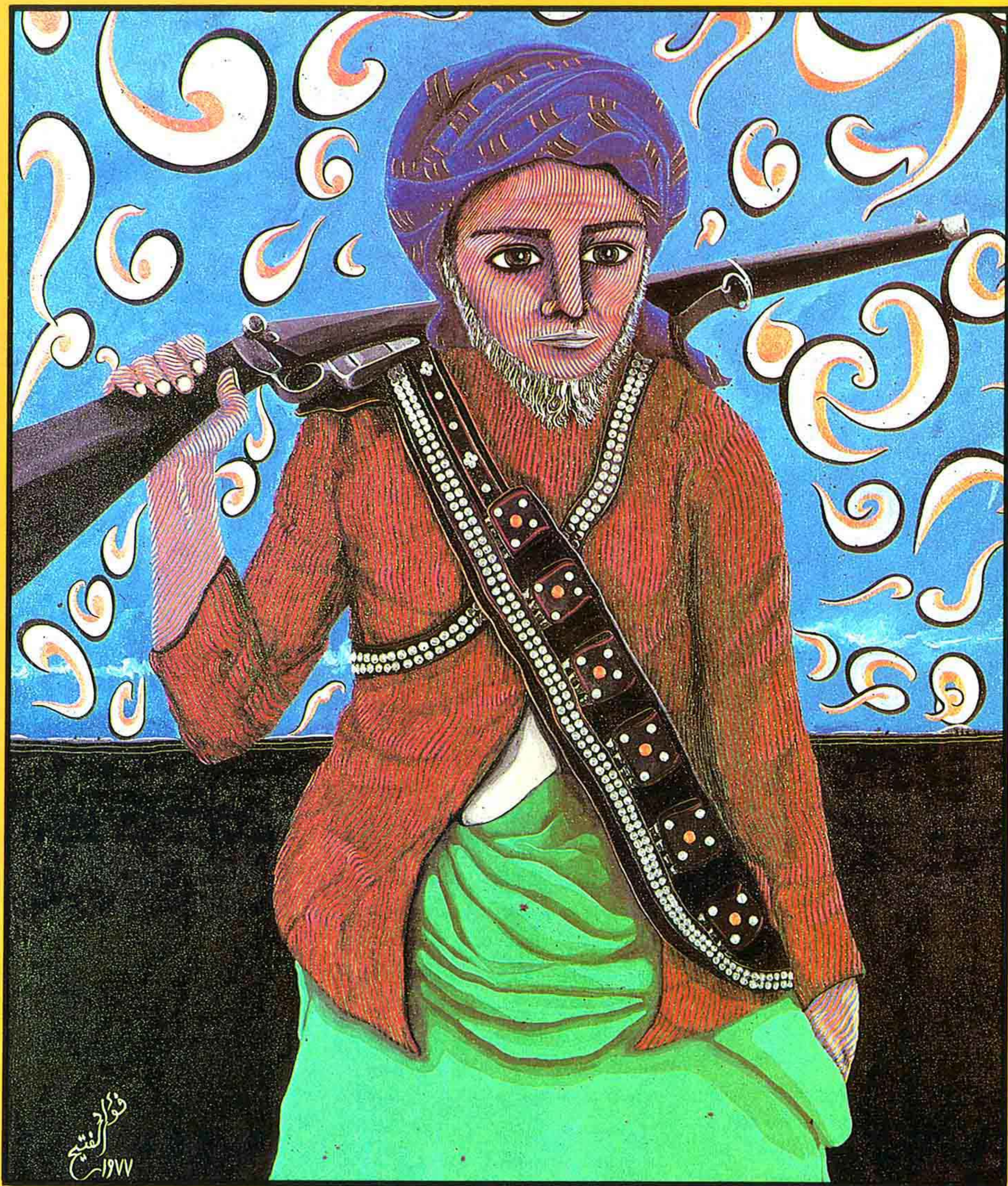
★ اليد الخبيثة ـ للفنان حيدر غالب ★ ▼



الإبداع والأصالة في الفن التشكيلي اليمني

بقلم: سمير ظريف

الذاكرة هي تاريخ أي أمة، والعودة إلى ذلك التاريخ هي عملية استحضار في الذات الاجتماعية.. استحضار للماضي والحاضر.. واستدعاء تلقائي لعمل مقارنة ومقابلة.. ومن جهة أخرى فهي إحياء للبذور القابلة



★ العسكري ـ للفنان فؤاد الفتيح ★

للحياة في أرض هذا الماضي .. أي إحياء تراث هذا الماضي .. والأمم التي لها ماضٍ عظيم ، أقيمت على أرضها حضارة عظيمة شيدت بأيدي أبنائها ..

وتاريخ مجيد صنعه أبناؤها .. ويأتي اليمن السعيد على رأس قائمة البلدان بحضاراتها العظيمة ، وتاريخها الحافل المضيء .

ونظراً لأن الحركة من طبيعة الحياة والبشر فقد ازدهرت بلدان ، وتخلفت أخرى . وهذه طبيعة التاريخ .. ولما كان الإنسان هو محور الكون ، ومن سماته ـ أي الإنسان ـ التطور وصناعة المتغيرات

والحضارات بعقله ووجدانه وإرادته .. لذا كانت الحضارات تقوم بالإرادة ، وترتكز على العقل المتمثل في العلوم ، وعلى الوجدان المتمثل في الفنون .

وفي معرض الفن التشكيلي اليمني الذي أقيم ضمن برنامج (**الأسبوع الثقافي اليمني**) **بالمملكة العربية السعودية** .. شاهدنا محاولات فناني اليمن الشقيق في إحياء بذور الماضي .. واستلهام تاريخ أمتهم عن طريق الفن التشكيلي .. وهي محاولات جادة تختلف باختلاف مستوياتهم الفنية ، كل حسب خبرته وتجربته ودراسته وتحصيله وثقافته .. ورغم التباين الواضح والملموس في المستويات الفنية لهؤلاء الفنانين ، إلا أن عنصر (الأصالة) يجمعهم في مظهر يبرز من خلاله تاريخ أمتهم ، كما يمثل التصميم الصادق على التطور من خلال حركة الفن التشكيلي .

المعرض

في هذا المعرض الذي ضم ٤١ لوحة تشكيلية بين رسم ، وحفر ، بأنواعه «حفر على الزنك — حفر على الحجر — طباعة على الشاشة الحريرية ..» وتصوير زيتي .. أبدعها ستة فنانين وهم : «**عبد الجبار نعمان**» الذي اشترك بلوحتين تصويرهما : (الجمال) و (الصياد) . و «**عبده الحذيفي**» الذي اشترك بست لوحات هي : (الرقص الشعبي) ، (المدّاح) ، (قهوة الصباح) ، (ضاربة الحلبة) ، (فتاة من صبر) ، (شارع من جبلة) .. و «**حيدر غالب**» الذي اشترك بخمس لوحات هي : (اليد الخبيثة) ، (الشجرة) ، (شجرة البن) ، (الغريب) ، (الفلاح) .. و «**هاشم علي عابد**» الذي اشترك بلوحة واحدة هي (منظر طبيعي) .

وفي **مجال الرسم والحفر** اشترك «**عبد العزيز الزبيري**» بثلاث لوحات هي : (المزمار) «حفر على الزنك» ، (فتاة صبرية) «حفر على الحجر» ، (قرية يمنية) «حفر على الزنك» .. و «**فؤاد الفتيح**» وهو من أحسن العارضين من حيث المستوى الفني ، قد شارك بأكبر عدد من اللوحات ، حيث عرض له (٢٤) لوحة بخامات مختلفة ، وسوف نذكر مسميات لوحاته أثناء شرح وتحليل أعماله الفنية .. حيث سنختاره نموذجاً للدلالة على ما وصل إليه الفن التشكيلي اليمني من تقدم .

الفنانون .. وأساليبهم

●● **عبد الجبار نعمان** : يستمد موضوعاته من البيئة ويصورها بأسلوب واقعي ، **فهو في لوحة «الجمال»** يصور الإنسان اليمني البسيط والجمال ، ويصور في الخلفية مباني شاهقة حديثة ، وهو هنا يدعونا لعمل مقارنة بين الحياة البدائية البسيطة ، والمدنية الحديثة التي يسير في ركبها اليمن الشقيق .. ويدعونا الفنان أيضاً إلى تأمل حياة الإنسان البسيط في اليمن .. والتكوين في هذه اللوحة تقليدي .. وأسلوبه مباشر يحاكي الطبيعة والواقع ، ورغم تسجيله للواقع بالمحاكاة إلا أنه نجح في موازنة الكتل عن طريق اتزان العلاقات الأفقية والرأسية في اللوحة ، والمتمثلة في المنازل كخط أفقي ، والفلاحين والجمال كخط رأسي ، كما أنه أجاد استخدام عنصر الضوء والظل بما يتناسب ومفهومه الأكاديمي .. أما الألوان فهي مستمدة من البيئة والطبيعة بل بنفس وجودها في الطبيعة ، **فهو يصور** الأشياء والعناصر كما هي موجودة في الطبيعة وبنفس مفهومها ودلالاتها ورمزيتها .

●● **عبده الحذيفي** : موضوعاته المفضلة هي «الفلاح» ، و «الفولكلور الشعبي» ، ويصور تلك الموضوعات بأسلوب أقرب إلى **المدرسة التأثيرية** .. وهو لا يهتم بالتفاصيل بصفة عامة في لوحاته مثل **لوحة «المدّاح»** التي يصور فيها رجلاً بملابسه التقليدية وهو في حالة غناء ، وتظهر من خلفه الأبنية اليمنية .. وفي لوحته «**الرقص الشعبي**» يصور الحركة والإيقاع بألوان ساخنة ، وضربات فرشاة قوية مثقلة بالألوان توحي بالحركة والصخب .. وهو في أسلوبه هذا يتفق مع مفهوم **الانطباعية** عن سيادة اللحظة ، أي تسجيلها في الحركة الدائمة للوجود نظراً لأنها متغيرة .. وهو يتفق أيضاً مع الانطباعيين في رؤيتهم في تحول الثابت المتماسك إلى التحول الجزئي ، وفي تصوير الضوء والهواء ، وتحليل سطوح الأجسام والأشياء والعناصر إلى بقع لونية عن طريق ضربات الفرشاة السريعة المحللة «أي التكنيك الفني المستخدم» الذي يمثل في مفهوم الانطباعيين التعبير عن العالم المتحرك المتغير .

●● **حيدر غالب** : يصور موضوعاته بأسلوب **سيريالي** ، مستخدماً الرمزية الموجهة بهدف معالجة قضايا وطنه ، ويتخذ هذا الأسلوب للبعد عن المباشرة الموضوعية ، أي من ناحية الموضوع ، وليس بهدف البعد عن المباشرة من حيث الأسلوب .. إلا أن لوحاته تخرج في النهاية بشكل أو بأسلوب سيريالي .. وهو في لوحة «**اليد الخبيثة**» يصور يداً في منتصف اللوحة يتجاذبها أربعة أشخاص يقفون على سلسلة جبال في أعلى اللوحة ، يحاولون جذب تلك اليد ، لكنهم لم يستطيعوا سوى البدء في خلع القشرة الخارجية ، أي الجلد فقط ، الذي تظهر من تحته الشعيرات الدموية والعظام .. وهو في ذلك يريد أن يقول إن هناك صراعاً لا ينتهي بين الخير والشر ، وإن خلع الجانب الخبيث سواء في الإنسان أو في الحياة البشرية بصفة عامة ، يتم بصعوبة شديدة ، ولا يمكن نزعه بسهولة وبساطة ويسر ، ويصور في أسفل اللوحة فارساً يمتطي حصاناً مقطوع الأطراف ، يحاول بتر تلك اليد الخبيثة بسيفه ، أي يحاول القضاء على الشر ، لكنه لم يستطع سوى قطع الشعيرات الدموية لتلك اليد الخبيثة .. وهنا دعوة صريحة لإيجاد فارس يضحي بحياته لنزع الشر نظراً لأن الشر لا يتم نزعه بغير البطولة .. واليد الخبيثة في اللوحة تحيط بمنزل كأنها تريد القضاء



★ المدّاح — للفنان عبده الحذيفي ★

عليه ، أي القضاء على الاستقرار والأمان . . ويضع الفنان اليد في منتصف اللوحة ، نظراً لأنها المحور الأساسي للموضوع ، وذلك في تكوين دائري ، ذات ألوان درامية .

وفي لوحة « **الشجرة** » يصورها الفنان وهي في حالة احتراق ، وتخرج جمجمة من خلال نيرانها ، والشجرة تخرج من أرض جرداء رغم تصويرها باللون الأخضر ، التي يحاول الفلاح حرثها ، كما أن هناك يداً تنبع من الأرض ممسكة بثمرة « ليمونة » في محاولة للعطاء ، بالإضافة إلى الطائر الأبيض الممسك بطرف الحبل الذي نشر عليه القماش الممزق ذي الرموز . . وعن طريق الفلاح واليد والطائر يبعث الفنان فينا الأمل رغم كل رموزه ومفرداته الموحية بالخراب والدمار والشر .

أما لوحة « **الفلاح** » فيصوره كأنه ينبع من الأرض ، التي يمتزج وينصهر بها ، فهو نسيجها وتنبع منه الأشجار الخريفية غير المورقة ، وتنبع من رأسه وجسده الذي صوره كأنه مسامات أرضية مسطحة ، كما أن يد الفلاح نفسه ممسكة بقطعة من الأرض أو بجزء من شجرة مكسورة كأنما أصابها الدمار . . وهنا يريد الفنان أن يقول لنا إن الأرض هي الفلاح ، والفلاح هو الأرض ، ولا قيمة للأرض بدون الفلاح . . وهي مثل لوحتيه السابق تحليلهما سيريالية الأسلوب .

●● **عبد العزيز الزبيري** : يمارس الحفر بأنواعه ، فهو يحفر على الزنك كما في **لوحته « المزمار »** ، التي يصور فيها رجلاً بالزي اليمني التقليدي ، ينفخ في مزماره ، وخلفه مشهد لمنازل عليها الزخارف اليمنية فهو يسجل الفولكلور والبيئة عن طريق التشخيص والطراز المعماري المميز للمنازل اليمنية ، وذلك في إطار واقعي يخضع للمفهوم التقليدي لذلك الأسلوب من حيث المنظور والقيم اللونية والنسب التشريحية والضوء والظل . . وخلافه من عناصر العمل الفني . . ، وفي لوحة « **فتاة صبرية** » وهي صورة شخصية لفتاة ترتدي زياً تقليدياً خاصاً وتضع عمامة على رأسها ، وهي أيضاً مصورة بأسلوب أكاديمي واقعي بطريقة الحفر على الحجر .

●● **فؤاد الفتيح** : الفنان فؤاد الفتيح يبرز أصيلاً قديراً متمكناً من أسلوبه الفني ، ومستفيداً من دراسته الأكاديمية ، حيث **حصل على دراساته العليا من أكاديميات الفنون الجميلة بألمانيا الغربية عام ١٩٧٨م** ، وقد مكث ثماني سنوات يدرس الفن ويشترك في المعارض التي تقام داخل ألمانيا وخارجها حيث استفاد من الدراسة والرؤية والتجربة . . ويظهر أثر ذلك في ممارسته لفن الرسم وفن الحفر بأنواعه ، فهو يرسم بالحبر الصيني ، ويحفر على الزنك والحجر ، كما يمارس الطباعة الحريرية . . فهو فنان متمكن من الخامات التي يستخدمها ، وأسلوبه يتسم بالمهارة وقوة الأداء ، والبنائية في التصميم والتكوين ، بالإضافة إلى القدرة على التعبير ببساطة ، حيث يقدم رؤيا في لوحاته يمتزج فيها الخيال بالواقع . . وحيث يحقق العالمية من خلال المحلية ، من خلال مفردات وعناصر لوحاته ، فهو **يسجل الطرز المعمارية اليمنية المتميزة** بما تتضمنه من مشربيات وزخارف ، ويسجل الملابس اليمنية أيضاً ، ويظهر ذلك في معظم لوحاته مثل : **(حامل الغنمة)** ، **(حارة من بير أبو شملة)** ، **(حاملة المداعة)** ، **(حاملة السلة)** ، **(الصياد)** ، **(أم وطفل)** ، **(الدودحية)** ، **(الأم)** ، **(الجالسة)** ، وأيضاً و **(العسكري)** ، و **(فتاة بطاقية)** ، و **(الحزام)** ، و **(الخنجر)** .



★ المزمار ــ للفنان عبد العزيز الزبيدي ★

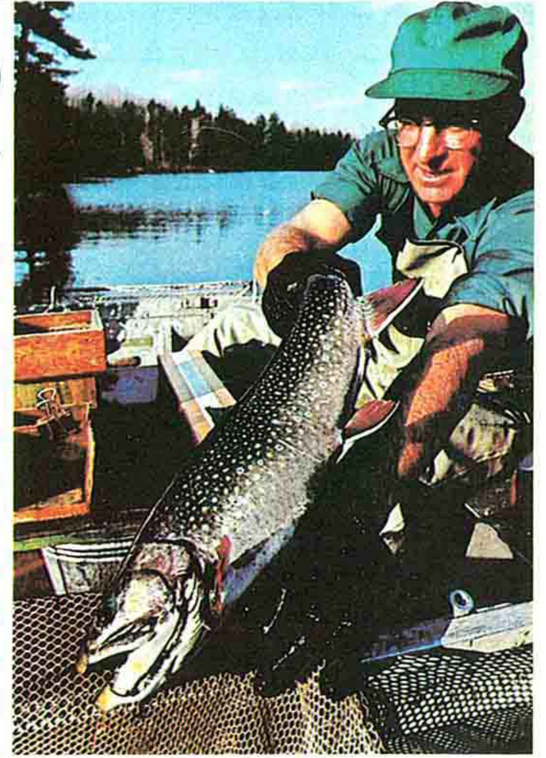
فالموضوع عند الفنان مستمد حيناً من الواقع وحيناً من الخيال ، وفي كلتا الحالتين يستخدم مفردات ورموزاً محلية . . وعناصر الشكل أي القيم التشكيلية حديثة معاصرة . . أي يصور لوحاته بمفهوم العصر . . وأسلوبه الفني يجنح إلى **الواقعية الجديدة** أحياناً ، كما في لوحاته (الأطفال ــ العسكري ــ أطفال بير أبو شملة ــ حارة من بير أبو شملة) . ويجنح إلى **السيريالية** في بعض الأحيان مثل ما يتضح من لوحاته : (رمز رقم (١) ــ رمز رقم (٢) ــ الطيور) . . **ويقوم أسلوبه على التشخيص** ، فالإنسان هو محور أعماله حيث لا تجد لوحة بدون عنصر آدمي ، ويتسم أسلوبه أيضاً بالبساطة وتجريد العناصر ، فالخط الخارجي لأشكاله بسيط ، لكن داخل ذلك الإطار الخارجي . . تمتلئ مساحاته بالتفاصيل والزخارف التي تظهر مهارته ودقته في الرسم والتشريح والقدرة والصبر على رسم الزخارف . . كما أنه في الرسم يميل إلى التشويه الفني لإظهار الناحية التعبيرية في لوحاته ذات الصبغة الأستاتيكية . . ويظهر من خلال أسلوبه الفني مدى استفادته من **الحضارة الفرعونية** ، **والحضارة الإسلامية** ، وأيضاً **الحضارة الغربية الحديثة** .

وفي النهاية نستطيع القول إن الفن التشكيلي في اليمن الشقيق يسير في تقدم وبخطوات بنَّاءة ، وهو قادر على التخطي والتجاوز ، وذلك لاتساع القاعدة التشكيلية من حيث عدد الفنانين والفنانات لو اهتمت وزارة الثقافة والإعلام اليمنية بخلق المناخ المناسب للفنان التشكيلي اليمني وإقامة صالات عرض مناسبة لإقامة المعارض بها ، هذا إلى جانب المؤسسات المختلفة وذلك باقتناء أعمالهم الفنية ، وإرسال الشباب الموهوب فنياً إلى الدول العربية أو الأوروبية الأكثر تقدماً في هذا المضمار للدراسة . . كما يمكننا أن نعلّق الآمال في ذلك على إدارة الفنون التشكيلية التي أنشئت في اليمن حديثاً ، خاصة أن مديرها هو الفنان فؤاد الفتيح أحد أبرز الفنانين في اليمن .

●●● من آفات التلوث

تحظى مشكلة التلوث « Pollution » باهتمام متزايد في الأوساط العلمية نظراً لما تنطوي عليه من أخطار مباشرة على البيئة التي تعد وسط الحياة الوحيد لكافة الأحياء التي تستوطن الأرض. ولا شك أن الثورة الصناعية التي بدأت منذ ما يقارب قرنين من الزمان تقع في مقدمة أسباب التلوث الذي يتزايد خطره يوماً عن يوم. فمشكلة التلوث اليوم هي أشد خطورة مما كانت عليه منذ بضعة عقود، وسيكون خطرها أكبر في العقود القادمة، ويؤيد ذلك ما نطالعه كل يوم عن تزايد حجم هذه المشكلة، واتساع نطاقها الجغرافي. ويكاد لا يخلو مكان على سطح الأرض من التلوث وإن اختلفت درجة إصابة البيئة باختلاف الموقع الجغرافي.

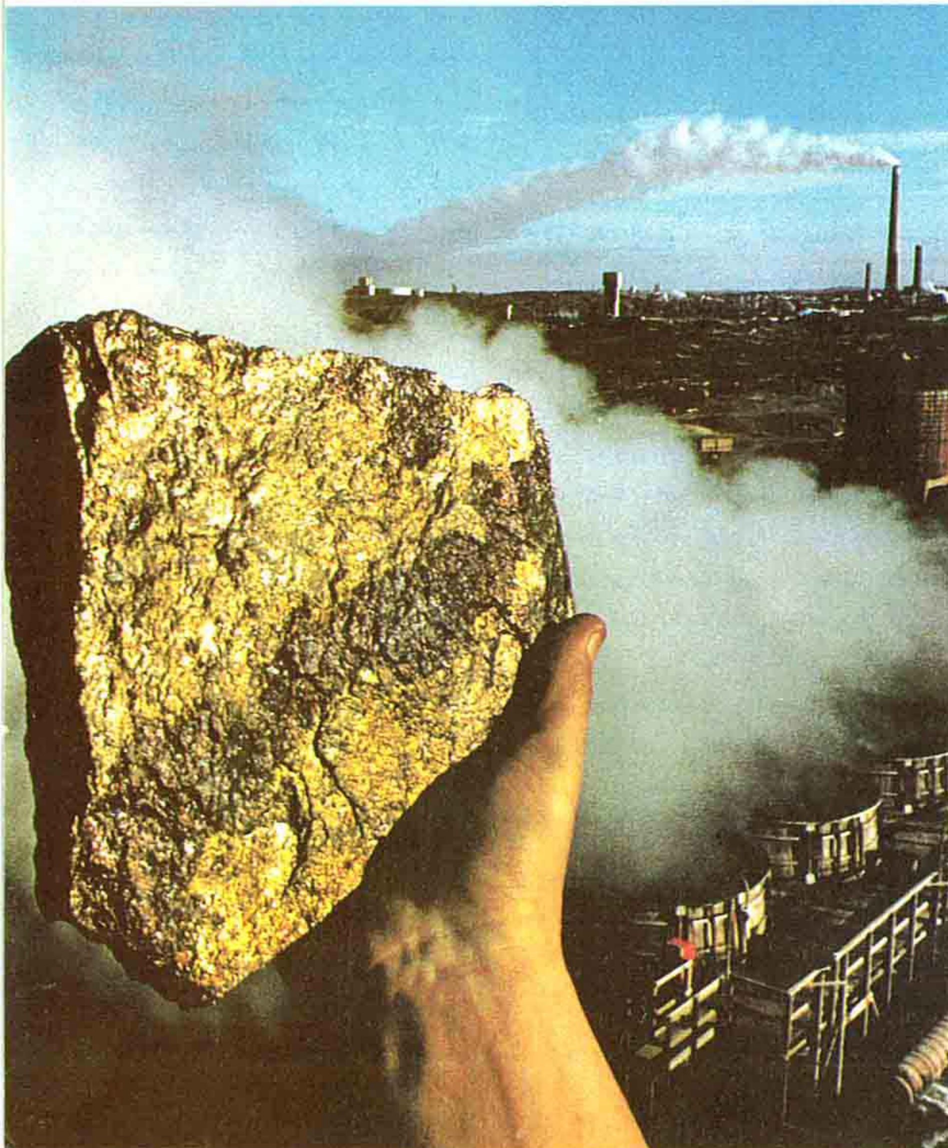
وتتعدد أنواع التلوث ومسبباته لدرجة يصعب معها حصر هذه الأنواع والمسببات إلا أن أشدها خطراً وانتشاراً هو التلوث الكيميائي Chemical Pollution حيث تدل الأبحاث الحديثة على إصابة قطاعات كبيرة من البيئة بالمواد الكيميائية التي من شأنها أن تقضي على الأحياء أو تفسد عليها عيشها. ●●



★ العثور على الأسماك الميتة في البحيرات الملوثة ★



★ قطرة من ماء المطر سقطت على زهرة تفاح فلونتها بالأحمر ★



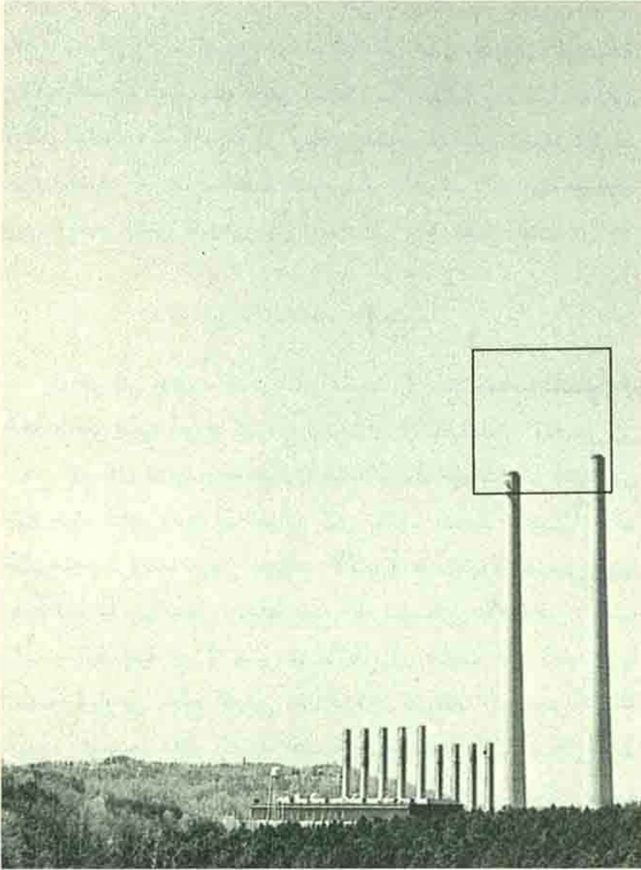
★ صورة لأحد المصانع في «أونتاريو» بكندا، لاحظ كثافة الغازات الملونة ★

«الأمطار الحمضية»

بقلم: عدنان عضيمة

البحيرات الصامتة

أثارت ظاهرة انقراض الأسماك من بعض البحيرات في وسط وشمال أوروبا وأميريكا حيرة الباحثين في شؤون الأحياء والبيئة . إذ سجل اختفاء الأسماك في ٢٠٠٠٠ من أصل ١٠٠٠٠٠ من البحيرات التي كانت تزخر بها . وتتوزع البحيرات التي أصيبت بهذه الكارثة على الجزء الشمالي من الكرة الأرضية وخاصة **البحيرات الواقعة في جبال (أديروندك Adirondack) قرب نيويورك** وبعض البحيرات في كندا ودول شمال أوروبا الإسكندينافية . ودلت الأبحاث أن سبب انقراض الأسماك يعود إلى هلاك الكثير من الأحياء العضوية والحشرات التي تعتمد عليها الأسماك في غذائها ، وإلى إصابتها بنوع من التسمم . وتبين الباحثون أن السبب في كل هذا يعود إلى الحموضة الزائدة لمياه البحيرات والتي يسببها تساقط الأمطار الغنية بحمضي الكبريت والأزوت أو ما يدعى بالأمطار الحمضية Acid Rain .



★ انطلاق غاز ثاني أوكسيد الكبريت من محطة كهربائية تعمل على الفحم الحجري ★

الأمطار الحمضية

الأمطار الحمضية هي محاليل ممددة لحمض الكبريت H_2SO_4 والآزوت HNO_3 التي تتشكل نتيجة لتلوث جو البلاد الصناعية بالغازات الحمضية كثاني أوكسيد الكبريت Sulfur Dioxide SO_2 وأكاسيد الآزوت المختلفة التي يعطي تفاعلها مع الرطوبة الموجودة في الغيوم قطرات الحموض التي تتساقط مع الأمطار أو الثلوج لتضاف إلى المحتوى المائي على سطح الأرض كالبحيرات والأنهار مما يؤدي إلى تلوثها . وأثبتت الأبحاث أن كتل المياه السطحية والجوفية في نصف الكرة الأرضية الشمالي أصبحت ملوثة بالأحماض ، والتأثيرات الضارة لحموضة المياه أخذت تتزايد لدرجة أنها بدأت تؤثر على المنشآت الحضارية كالأبنية والجسور وعلى المحيط الحيوي برمته حيث تهدد الغابات والمحاصيل الزراعية والتربة ، وامتد تأثيرها إلى المياه الجوفية وأصبحت تمثل خطراً على صحة الإنسان نفسه .

ويعتقد خبراء البيئة أن مشكلة الأمطار الحمضية كانت

من نتائج اعتماد الإنسان على الوقود الأحفوري كالفحم الحجري والبترول والغاز الطبيعي للحصول على الطاقة.

واليوم تتزايد «المدافن» التي تنشر نواتج الاحتراق في محطات توليد الطاقة الكهربائية والمراجل وأفران صهر المعادن ومحركات السيارات. وتحتوي نواتج الاحتراق على أوكسيد الكبريت وأكاسيد الآزوت بنسب هامة. ويشكل دخان المصانع عندما ينتشر فوق المدن والمناطق الصناعية ما يشبه الضباب الذي يكاد يغطي مناطق بأكملها. وعندما تتساقط الأمطار تتحول هذه الغازات إلى أحماض تذوب في المياه ويبدأ تأثيرها الضار مباشرة. أما إذا تساقطت الثلوج فإن الأحماض المتشكلة تختزن ضمن الجليد المتبلور لتتحرر عند ذوبانه في نهاية فصل الشتاء.

دورة الأمطار الحمضية

إن غاز ثاني أوكسيد الكبريت وأكاسيد الآزوت المختلفة تنطلق في طبقات الجو بمجرد تحررها كنواتج للاحتراق في المصانع. وتصل إلى ارتفاع أكبر كلما كانت درجة حرارتها مرتفعة. وفي طبقات الجو تخضع إلى نظام حركة الكتل والتيارات الهوائية التي تنقلها مئات وأحياناً آلاف الكيلومترات. وعند تعرض جزيئات الأكاسيد هذه لضوء الشمس فإنها تنشط كيميائياً مما يسهل تفاعلها مع الماء لتشكيل الأحماض. أما الأكاسيد الحمضية التي لا يتسنى لها الارتفاع إلى طبقات الجو العليا فإنها تتجمع قريباً من سطح الأرض نظراً لكون كثافتها أكبر من كثافة الهواء.. وتصبح بذلك أكاسيد حمضية جافة تتحول إلى أحماض عند تساقط الأمطار. وبسبب إمكانية هجرة هذه الأكاسيد إلى أماكن بعيدة فإن التلوث بالأمطار الحمضية لا ينحصر في بلد معين بل يتجاوز حدود بلدان بأكملها، إذ أكدت الدراسات تساقط هذه الأمطار وسط المحيطات وفي البلدان غير الصناعية. كما اكتشف تساقطها في كامل نقاط الجزء الجنوبي من الكرة الأرضية وحيث يكون النشاط الصناعي قليل الكثافة للغاية. ويعتقد بعض العلماء باحتمال أن تكون هذه الأمطار الحمضية قد تشكلت نتيجة للنشاط الحيوي لأحياء المحيطات كالبكتريات والطحالب والفطور إلا أن الاحتمال الأكبر هو أن يكون مصدرها النصف الشمالي من الكرة الأرضية.

أرقام ومؤشرات خطيرة

وقد نتساءل: هل هذه المشكلة وليدة عصرنا الحالي... عصر الصناعة؟؟ والجواب هو أن هذه المشكلة قائمة منذ الأزل. فأكاسيد الكبريت والآزوت يمكن أن تنطلق بكميات كبيرة كنتيجة للظواهر الطبيعية كثوران البراكين وحرائق الغابات كما تطلقها البكتريات والأحياء الدقيقة أثناء قيامها بالوظيفة الغذائية. وتؤدي ظاهرة اللمع والبرق إلى تفاعل الآزوت الجوي مع الأوكسجين لتغني الجو بكميات مناسبة من أكاسيد الآزوت التي تشكل عند تساقط الأمطار حمض الآزوت الذي يشكل بدوره مع التربة أملاح (الأزوتات) أو «النترات» الهامة لتغذية النباتات. إلا أن المفعول المفيد لهذه الأكاسيد قد انعكس في العصر الحديث عندما تدخل الإنسان وبدأ يشغل ملايين الآلات والعربات التي ملأت أرجاء الأرض وخاصة نصفها الشمالي. فجأة تغير كل شيء فعنصري الكبريت والآزوت اللذين اختزنا في الوقود الأحفوري خلال ملايين السنين نجدهما اليوم يعودان إلى الجو بسرعة بالغة هي سرعة احتراق قطعة من الفحم أو كمية من البترول. وأثبتت الإحصائيات أن محطة واحدة من محطات إنتاج الطاقة الكهربائية التي تعتمد على إحراق الفحم الحجري تطلق من ثاني أوكسيد الكبريت كل عام أكثر مما انطلق **من بركان (سانت هيلينز)**(*) الذي حدث في ١٨ مايو (أيار) ١٩٨٠م، في ولاية واشنطون الأميركية والذي قدرت كتلته بـ(٤٠٠٠٠٠) طن.

والكميات الكلية من غاز ثاني أوكسيد الكبريت وأكاسيد الآزوت التي تنطلق من المصانع والآلات في أميركا وأوروبا مذهلة. ففي سنة ١٩٨٠م، أطلقت **الولايات المتحدة** في الجو أكثر من (٢٦) مليون طن من ثاني أوكسيد الكبريت بالإضافة إلى (٢٢) مليون طن من أكاسيد الآزوت. أما **كندا** فأطلقت خمسة ملايين طن من الغاز الأول ومليوني طن من الثاني. وخلال العام المنصرم أطلقت **دول أوروبا وأميركا وكندا** ما مجموعه (١٠٠) مليون طن من ثاني أوكسيد الكبريت. وهذه الأرقام تعكس بوضوح خطورة الوضع على البيئة، وتبرر ما صرح به **عالم التربة السويدي سفانت أودن** Svant Oden عندما قال: «**إن الأمطار الحمضية أصبحت تمثل حرباً كيميائية حقيقية..؟**».

وأدت الدراسات التي قام بها (**أودن**) في شمال أوروبا، وكل من **ليكنز** Likens **وبورمان** في أميركا إلى التأكد من وجود الرواسب الحمضية بتركيز عالٍ في التربة والبحيرات والأنهار وبكميات فاقت حد التصور.

وحتى عدة عقود مضت كان يقتصر تلوث الهواء بالأكاسيد الحمضية على المدن والمناطق الصناعية، إلا أن النمو الاقتصادي والصناعي السريع الذي أعقب الحرب العالمية الثانية صاحبه ازدياد مضطرد في استعمال الوقود الأحفوري مما ضاعف من مشكلة تلوث الجو، وجعل من أي أسلوب لحلها لن يكون إلا على حساب الزيادة في مشكلة التلوث لأن المواد الكيميائية لا تحارب إلا بمواد كيميائية أخرى يكون لها بدورها تأثير خطير على البيئة. لذا اكتفت وكالة حماية البيئة الأميركية سنة ١٩٧٠م، بإصدار **قانون يلزم المصانع ومحطات الطاقة الكهربائية بزيادة ارتفاع المداخن التي يطلق منها عادم الاحتراق إلى الجو**. وهذا من شأنه أن يبعد الغازات الملوثة نسبياً عن مواضع تشكلها. واليوم نجد هذه المداخن في الولايات المتحدة وكندا وأوروبا ترتفع إلى أكثر من ٣٠٠ متر في بعض المصانع. وتعتبر هذه المداخن أهم منابع غاز ثاني أوكسيد الكبريت. إذ تبين أن مدخنة واحدة في أحد مصانع أونتاريو Ontario في كندا تطلق يومياً (٢٥٠٠) طن من هذا الغاز. وبعد أن قام مسؤولو المصنع بإجراءات خاصة خفضت هذا الرقم من (٧٠٠) طن يومياً. مثل هذه المداخن العملاقة من شأنها أن تساهم في زيادة التلوث في جو الأرض بشكل عام وتجعل منه مشكلة عالمية.

وأظهرت الأبحاث أن إحراق طن واحد من الفحم الحجري يحرر (٩٠) كيلوغراماً من ثاني أوكسيد الكبريت . بينما لا يحرر إحراق طن من البترول سوى سبعة كيلوغرامات منه . وهذا ما جعل وكالة حماية البيئة الأميركية توصي بالتخلص من المحطات التي تعمل على تحرير الطاقة من الفحم الحجري .

الكشف عن التلوث بالأحماض

في سبيل الكشف عن جزيئات الغازات الحمضية تستخدم مناطيد خاصة تنطلق في الفضاء لتمتص عينات من الكتل الهوائية والرطوبة من أجل تحليلها وتحديد نسبة الأكاسيد الحمضية فيها . وتساعد العقول الإلكترونية في تحليل المعطيات . وثبتت هذه المراصد في مواقع كثيرة وأمكن بواسطتها التعرف على درجة التلوث الجوي في (٣٢) ولاية أميركية و (٥٥) منطقة في كندا . وأثبتت النتائج أن المناطق الشرقية من الولايات المتحدة وغالبية المناطق الجنوبية الشرقية من كندا تتلقى كميات هائلة من الرواسب الحمضية ذات التركيز العالي . وحيث يتراوح هذا التركيز في مياه البحيرات بمقياس (قوة تركيز شوارد الهيدروجين Phscale) ما بين (٤,١ و ٤,٦) ، بينما تبلغ قيمة PH للماء الصافي (٧) تتناقص هذه القيمة إلى الواحد كلما زادت حمضية المحلول وترتفع إلى (١٤) كلما زادت قاعديته .

وفي بعض مناطق أميركا سجلت درجات حموضة خطيرة . ففي ولاية (بنسلفانيا) بلغت قيمة PH (٢,٧) في بعض البحيرات . أي ما يعادل درجة حموضة (الخل) . وغرب ولاية (فرجينيا) سجلت قيمة PH (١,٥) أي ما يعادل حموضة عصير الليمون . . . !! .

تأثير الأمطار الحمضية على المحيط

أدت أبحاث قام بها **الدكتور (كارل شوفيلد)** سنة ١٩٧٧ م ، في **بحيرات (أديرونداك)** حول سبب انقراض الأسماك ، إلى تقدم مفاجئ يظهر التأثير السام للمياه الحمضية على مختلف الأحياء . إذ لاحظ أن حمضية المياه تسبب انحلال الكثير من الشوارد المعدنية الموجودة في التربة في مياه البحيرات والأنهار . وأهم هذه المعادن الألمنيوم والزئبق والرصاص ، ولهذه المعادن تأثير سام على الأحياء المائية ، إذ يؤدي تجمع شوارد الألمنيوم في خياشيم صغار الأسماك إلى إفرازها المفرط لمواد مخاطية تؤدي إلى اختناقها . وينتشر هذا الضرر ليصيب المحاصيل الزراعية والحيوانات البرية والمياه الجوفية وصحة الإنسان نفسه . وأظهرت الدراسات أن الرياح التي تحمل الغيوم المحملة بالأكاسيد الحمضية تزحف من وسط أوروبا نحو الشمال وخاصة نحو (النرويج) حيث تبلغ قوة الحموضة (٤,٤) في بعض البحيرات التي أصبحت خالية من أسماك « السلامون » . وفي الشتاء تتساقط الثلوج بما تحمله من أحماض متجمدة فيكون الجليد على هذا النحو كقطع الإسفنج المتشربة بالحموض . وعندما يحل الربيع يذوب الجليد فتجري المياه الحمضية في جداول عبر التربة لتذيب الشوارد المعدنية السامة ثم تصب في البحيرات مما يؤدي إلى تغيرات كيميائية مفاجئة كافية للقضاء على الأسماك . وهذا ما يفسر ظاهرة كثرة العثور على الأسماك الميتة في الربيع . ويؤدي اختفاء الأسماك من البحيرات إلى ازدهار بعض الحشرات والأحياء المائية الصغيرة التي تعد الغذاء الرئيسي للأسماك . ولكن هذه بدورها تختلف درجة تأثرها بالحموض . فالأنواع من الحشرات والنباتات التي بإمكانها تحمل زيادة الحموضة تزدهر وتتكاثر بسرعة . وتلك التي لا تتحمل الحموضة تنقص أعدادها ، وهذا ما يحدث لأغلب النباتات المائية . وقد يفسر ذلك مظهر مياه البحيرات الملوثة بالأحماض حيث تبدو شديدة الصفاء لأن اختفاء النباتات المائية يسمح لضوء الشمس باختراق المياه بسهولة .

وتؤثر المياه الحمضية على النباتات المائية الكبيرة ، إذ تضمحل الزنابق المائية بينما تزدهر طحالب الإسفاغنوم Sphagnom Mosses والطحالب الخيطية Filamentous Algae . وهكذا نجد أن حموضة مياه البحيرات لا تؤدي إلى موت كل الأحياء ولكنها تعمل على تناقص أنواعها مما يؤدي إلى اختلال كبير في عامل التوازن الغذائي بالنسبة للأحياء المائية التي غالباً ما تتغذى على بعضها .

وإذا كان من السهل دراسة تأثير زيادة الحموضة في مياه البحيرات على الأحياء ، فإنه من الصعب معرفة تأثيرها على الغابات والمحاصيل والحيوانات البرية . ولهذا لا توجد حتى الآن إحصاءات مؤكدة حول تأثير الأمطار الحمضية على المحاصيل . ولكن من المعروف أن حموضة الأمطار تلعب في هذا الشأن دور السلاح ذو الحدين ، إذ بالرغم من الآثار الضارة التي تخلفها في التربة إلا أنها تشكل في نفس الوقت مصدراً من مصادر إغناء التربة بالآزوت والكبريت وهي عناصر هامة في تغذية النباتات . والتجارب المخبرية التي أجريت في هذا الشأن أعطت نتائج متباينة فبعض هذه الدراسات بينت حدوث تناقص في المحاصيل وأبحاث أخرى بينت عدم تأثيرها وأخرى أثبتت أن الأمطار الحمضية تؤدي إلى تزايد بعض المحاصيل . إلا أن أغلب العلماء يجمعون على أن الترسب المستمر للأحماض في التربة لا بد أن يفضي إلى إصابة النباتات بأضرار بالغة على المدى البعيد .

وفيما يخص تأثير الأمطار الحمضية على الغابات فإن الدراسات التي قام بها العلماء حتى الآن لا تكفي بدورها لإعطاء حكم صحيح نظراً لأن نظام النباتات الغابية تحكمه ظروف بيولوجية معقدة تختلف كثيراً عن تلك التي تحكم حياة النباتات التي يزرعها الإنسان . وخلال ست سنوات من التجارب يؤكد **الدكتور (فولك أندرسون)** من الجامعة السويدية للعلوم الزراعية أن أشجار الصنوبر قد ازداد نموها بتأثير الأمطار الحمضية وخاصة في المناطق التي تتميز بتربتها الفقيرة . إلا أنه يؤكد أن الأضرار التي تسببها هذه الأمطار لن يظهر أثرها إلا بعد مضي وقت كاف وستلحق بالثروة الغابية خسائر خطيرة .

وفي **ألمانيا الغربية** بيّنت الدراسات في الكثير من الأحوال تلف جذور الأشجار نتيجة ترسب الحموض وهذا ما أدى إلى تناقص كبير في نموها .

وفيما يتعلق بتأثير الأمطار الحمضية على الأحياء البرية فقد أكدت الدراسات أن المخلوقات التي تتكاثر عن طريق وضع البيوض تصاب بأضرار بالغة بتأثير تفاعل محاليل المياه الحمضية مع قشور بيوضها الكلسية مما يتلف هذه البيوض أو يقلل من سمكها ويؤدي بالتالي إلى عدم تفقيسها . وهذا ما يؤثر بشكل خاص على الطيور المغردة . **كما بيّنت دراسة قام بها (إريك نيولم) من جامعة (لوند) في السويد أن الطيور تُصاب بالتسمم بالألمنيوم نتيجة تغذيها بالحشرات الملوثة بهذا المعدن** والتي تكون قد نقلته من البرك والبحيرات الحمضية . وأثبت تشريح بعض الطيور المتسممة احتواء عظامها على كميات هامة من معدن الألمنيوم . **وفي بولونيا** تُصاب الكثير من الغزلان البرية بالتسمم بالمعادن مما أدى إلى تناقصها بشكل كبير خلال العقدين الماضيين .

أضرار أخرى

لقد تركت الأبحاث الخاصة بالأمطار الحمضية العلماء يتساءلون بتخوف عن المستقبل فيما لو استمرت المشكلة على ما هي عليه وخاصة بعد أن أثبتت أبحاث أخرى تأثيرها على المنشآت التي يبنيها الإنسان كالأبنية والجسور ، إذ تبين أنها تؤدي إلى تآكل الجسور الحديدية وحتى الفولاذية . وكذلك تؤدي إلى سرعة تآكل أحجار البناء ، وخاصة القديمة منها ويعتبر الخبراء المتخصصين في الآثار هذه الظاهرة من أهم العوامل المؤدية إلى تآكل الأبنية والقطع الأثرية الشهيرة (**كالأكروبول**) في أثينا باليونان ، **ومعبد (الكرنك)** في مصر وأبي الهول ، ومبنى « الكابيتول » في الولايات المتحدة ، وحتى تمثال الحرية في نيويورك لم ينج من هذا التآكل . . . !! .

التأثير على الإنسان

تؤثر الأمطار الحمضية على صحة الإنسان تأثيراً كبيراً . فالهواء الجاف المحمل بالأكاسيد الحمضية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأمراض التنفسية كالتهاب القصبات المزمن Bronchitis و« الربو » Asthma و« الانتفاخ الرئوي » Emphysema . وقد أشار **الدكتور (ليونارد هاميلتون)** من مختبر (بروك هافن) للأمراض الوبائية في دراسة نشرها عام ١٩٧٥ م ، إلى أن : « الأكاسيد الحمضية الناتجة عن إحراق الوقود الأحفوري هي المسؤولة عما يتراوح بين ٧٥٠٠ إلى ١٢٠٠٠٠ حالة وفاة كل عام في الولايات المتحدة » .

ويعتقد علماء آخرون أن الأرقام قد تكون أكبر من ذلك بكثير . وفي غرب السويد لوحظت ظاهرة إصابة الأطفال « بالإسهال » الذي يستمر لعدة أشهر . وكشفت الأبحاث أنه يعود إلى احتواء مياه الشرب على كميات كبيرة من شوارد النحاس التي تأتي كنتيجة لتفاعل المياه الحمضية مع المواسير النحاسية التي ينقل فيها الماء إلى المنازل ، ومركبات النحاس هذه تسبب تلوين شعر الإنسان باللون الأخضر عندما يستحم بهذه المياه .

القنابل الثلاث الموقوتة

يجمع العلماء أن عصرنا الحالي تهدده ثلاث قنابل موقوتة تتمثل في :

(١) الأمطار الحمضية .

(٢) التلوث بالمواد الكيميائية السامة .

(٣) تزايد نسبة غاز ثاني أوكسيد الكربون في الجو .

ويقولون إن هذه الأخطار آخذة في التزايد سنة بعد أخرى طالما أن حاجة الإنسان إلى إحراق الوقود آخذة في التزايد .

ويتساءل الخبراء الآن : هل من حل لهذه المشكلات ؟ وهل ستتمكن الدول والشعوب بالتعاون مع بعضها من وضع القوانين التي تضمن العيش ضمن « هواء نقي » . . . ؟ .

الإجابة تبق مرهونة بنتائج الأبحاث المتواصلة التي ينكب عليها العلماء في المعاهد وجمعيات ووكالات حماية البيئة ، وخاصة في تلك الدول التي أصيبت بداء التلوث إلى درجة أصبحت تهدد الحياة فيها ، إلا أننا نجد المتشائمين أكثر من المتفائلين في إمكانية الوصول إلى حل . **ويرى بعض العلماء أنه إذا كان من الصعب القضاء على التلوث فإن من الضروري العمل على وقف الزيادة من حدته قبل فوات الأوان .**

ويتساءل العالم النرويجي (لاوس أوفراين) : كيف سيكون الحال عام ٢٠٠٠ ؟؟ .

وهل سننعم في نهاية هذا القرن برؤية الأشجار الخضراء والطيور المغردة والأسماك التي تقفز فوق الماء . . . ؟؟ .

أم أن الربيع سيكون صامتاً تماماً . . . ؟؟ .

المرجع

Ref:

«Acid Rain-Howgreat a Menace?».

By «ANNE La BASTILLE».

«National Geographic» - Vol 160 - No 5 November 1981.

الهوامش

(★) المجلة : طالع العدد (٥٨) من مجلة « **الفيصل** » موضوعاً موسعاً عنه .



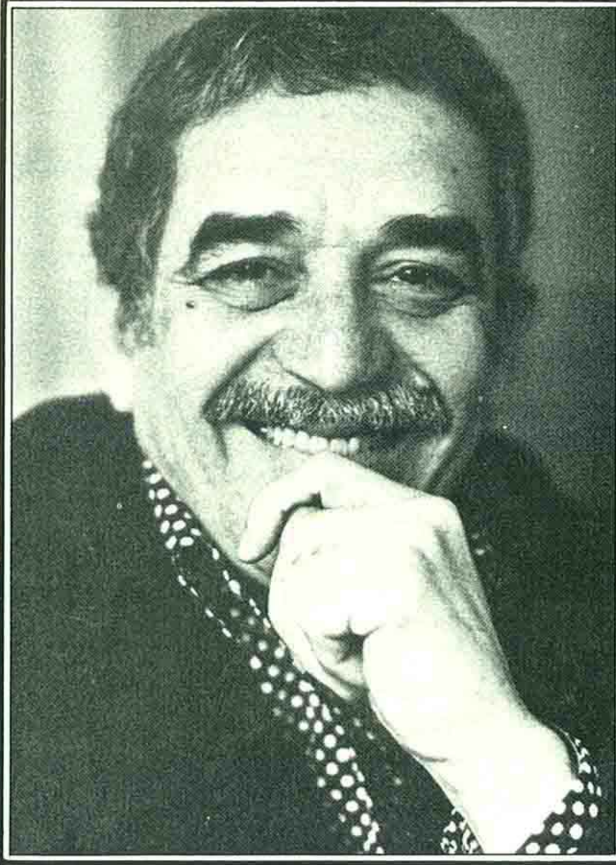
أعلنت لجنة جائزة «نوبل» فوز الروائي الكولومبي «غابرييل غارسيا ماركيز» بجائزتها الأدبية لعام ١٩٨٢م .. ويعتبر ماركيز الفائز رقم (٧٩) لجائزة نوبل للآداب منذ إنشائها عام ١٩٠١م .. ويأتي ترشيح ماركيز لجائزة عام ١٩٨٢م، لمجموعة أعماله الروائية والقصصية .. وهو أول أديب كولومبي يفوز بهذه الجائزة، والرابع بالنسبة لأمريكا اللاتينية حيث فاز قبله «غابريلا ميسترال» عام ١٩٤٥م، و«ميخيل إنجل أوستريياس» عام ١٩٦٧م، و«بابلو نيرودا» عام ١٩٧١م.

والمعروف أن قيمة الجائزة (١٥٠,٠٠٠) دولار)، أعلن ماركيز أنه سيخصصها لإصدار جريدة يومية في بلده (كولومبيا) .. وقد كان ماركيز أحد المرشحين لهذه الجائزة منذ عشر سنوات .. وقد بعث إليه الرئيس الفرنسي «فرنسوا ميتران» برسالة تهنئة قال فيها: «بتأثر أحيي الصديق الشخصي. باحترام أحيي الروائي المنطبع في خيال شعوب العالم. بفخر أحيي رجل الفعل الذي أسندت إليه حكومتي رئاسة مجلس الشعوب الناطقة باللغات اللاتينية. إن تكريمك أبهج جميع الفرنسيين».

ومجلة «الفيصل» إسهاماً منها في تعريف قارئها بهذا الروائي بمناسبة فوزه بجائزة نوبل للآداب لعام ١٩٨٢م، تنشر هذه الدراسة .. كما تنشر إحدى قصصه القصيرة بعنوان «نابو الزنجي» في مكان آخر من هذا العدد.

غابرييل غارسيا ماركيز

روائي العصر



بقلم: حسين عيد

بدأت الرواية في أميركا اللاتينية ـ خلال السنوات الأخيرة ـ تحتل مكاناً بارزاً في الأدب العالمي .. فترجمت روايات كتَّابها إلى مختلف لغات العالم .. ثم نشر غابرييل غارسيا ماركيز رواية «مائة عام من العزلة» في عام ١٩٦٧م .. فأحدثت دوياً هائلاً في مجال الرواية واستقبلها النقَّاد والقراء بحفاوة بالغة، وترجمت إلى معظم اللغات المعروفة، ودفعت بغارسيا ماركيز إلى طليعة الروائيين في العالم، وجعلت منه مليونيراً شهرة ومالا .. حتى أنه طبع من روايته الجديدة «تاريخ موت معلن عنه» مليون نسخة في كولومبيا وحدها، وترجمت إلى أكثر من اثنتين وثلاثين لغة أخرى.

من هو غابرييل ماركيز؟!

ولد **غابرييل غارسيا ماركيز** في مدينة «**أراكاتاكا**» في كولومبيا في أمريكا اللاتينية وذلك في عام ١٩٢٨م. عاش طفولته في مدينته الصغيرة. لا يكاد يتذكر ملامح أبويه. كان يخيَّل إليه أن أمه غائبة .. عرفها للمرة الأولى وهو في السابعة، فقد تركته لرعاية جديه، اللذين يتذكرهما كما يتذكر مخلوقات خرافية. وهكذا تعرف على العالم وعلى أسماء الأشياء، وجوهرها في بيت أجداده الكبير، فتعلق بجده وجدته التي ملأت خياله بالخرافات والأساطير.

درس في مدينته المرحلة الابتدائية، ثم انتقل وهو في الثانية عشرة من عمره إلى مدينة **بوغوتا** ليدرس في مدارس **الجزويت**، ولم يكن متفوقاً، بل عزوفاً عن الدرس، ملولا بالمناهج وموادها. كما درس الحقوق أيضاً في **جامعة بوغوتا**.

نشرت له أول قصة قصيرة في الملحق الأدبي **لجريدة اسبكتادور** وهو في الثامنة عشرة من عمره، ثم كتب عدداً آخر من القصص، ونشرها في المجلات المحلية.

انضم إلى هيئة تحرير **جريدة «اسبكتادور»** وبدأ يكسب مالا من عمله، ثم أرسلته الجريدة إلى **إيطاليا** عام ١٩٥٤م، لينقل الانطباعات المباشرة عن موت **البابا بيوس الثاني عشر**، لكن **ماركيز** بعث بتعليقات حول موضوعات أخرى ليؤخر عودته

إلى أميركا اللاتينية . التحق في هذه الفترة بدراسة حول الإخراج في **المركز السينمائي التجريبي** .. كما سافر خلال هذه الفترة إلى عدد من البلدان الأوروبية والآسيوية .

في عام ١٩٥٥م ، أغلق **غوستافو روخاس بينيليا** جريدة **اسبكتادور** ، فانقطع بذلك مورد الرزق الذي يسر له المعيشة في باريس .. فبعثت له الجريدة تذكرة عودة ، لكن **ماركيز** استرد ثمنها ، وعكف على كتابة روايته الثانية « **ليس لدى الكولونيل من يكاتبه** » . فصرف كل مدخراته . ولم يكن يستطيع أن يعمل دون بطاقة عمل ودون أن يعرف الفرنسية ، فكان يقوم بتوضيب الصحف وبيعها ، أو بيع الزجاجات الفارغة . كما أخبر صاحبة **فندق فلاندر** وزوجها (**بياريس**) بعدم قدرته على الدفع ، فسمحا له بالنوم في غرفة على سطح الفندق ، حيث مكث فيها لمدة عام آخر .. ويعترف **غارسيا ماركيز** أنه بفضل تفهم صاحبة الفندق استطاع كتابة رواية « **ليس لدى الكولونيل من يكاتبه** » .

في عام ١٩٥٨م ، تزوج من **مرسيديس** التي ظلت تنتظر عودته لمدة أربعة أعوام ، والتي أنجب منها فيما بعد ولدين هما **رودريغو وغونزالو** .. وعمل في الصحافة في **كاراكاس** في مجلتي « **إيليت** » و « **مومنتو** » . كتب خلال هذه الفترة رواية « **الساعة السيئة** » وكتب جزءً من رواية « **جنازة الأم الكبرى** » .

اختاره **كاسترو** بعد دخوله **هافانا** ؛ لينشئ مكتباً لوكالة الأنباء الكوبية الجديدة « **برانسا لاثينا** » ، وهكذا عمل في **كاراكاس** ثم في **نيويورك** حيث حضر الجلسة الشهيرة التي دق فيها **خروشوف** على الطاولة بحذائه في **الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة** . كما أتاح له عمله أن يتعرف على **تشي غيفارا** .. لكنه استقال بعدئذ ليتفرغ لإنتاجه الأدبي ، خاصة وقد بيعت ثلاثون ألف نسخة من روايته الأولى « **عاصفة الأوراق** » وملأت روايته « **ليس لدى الكولونيل من يكاتبه** » واجهات المكتبات .

وفي عام ١٩٦٠م ، وصل إلى **المكسيك** حيث ساعده أصدقاؤه واختاروا له مسكناً في إحدى الضواحي الجميلة ، حيث استقر في **مكسيكو** لمدة ثمان سنوات . كان يكتب فيها للسينما لأن إيراد كتبه لم يكن يكفيه .

في عام ١٩٦٧م ، نشر أعظم أعماله وهي رواية « **مائة عام من العزلة** » فدرّت عليه شهرة ومالا بلا حدود .

وفي نهاية نفس العام رحل إلى **إسبانيا** ، ليقرر في النهاية أن يعيش في **برشلونة** ، وهو يقول عن هذا القرار : « **كانت هذه فرصتي لأقيم في برشلونة ، فقد كنت قادراً على العيش من إيراد كتبي ، وأشبع نهمي في أن أظل أقرأ وأكتب ..** » .

وهكذا يعيش **غارسيا ماركيز** مغترباً عن وطنه ، لكنه يوضح الأمر بقوله : « **عندما أسأل لماذا لا أعيش في كولومبيا ؟ أجيب : من قال إني لا أعيش في كولومبيا ؟ .. إني غادرت الوطن ، ولكني ما زلت أحيا في كولومبيا . أعرف حقيقة ما يحدث في الوطن . أنا على اتصال دائم بواقع بلادي . أعرف أخبارها من الرسائل . ترسل لي قصاصات الجرائد . أنا مطلع على ما يحدث هناك ..** » .

> كل عمل روائي جيد هو سبر لأغوار العالم .

غارسيا ماركيز : كاتباً

تشكل الموجة الجديدة من الأعمال الأدبية في أميركا اللاتينية رافداً جديداً متطوراً من الواقعية .. هو الواقعية السحرية ، التي يعرفها **الدكتور صلاح فضل** بأنها « **تعبّر عن رؤية كونية سحرية للعالم ، رؤية لا تاريخية ينمحي فيها الحدود بين الأحياء والجماد ، أو بين الثقافة والطبيعة ، حيث تكتسب الأشياء والظواهر خواص وقدرات مميزة ، وحيث نشاهد جانباً من هذا الواقع السابق على مبادئ العقل والمنطق وقوانين السببية** » .

★ ماركيز مع ابنه وابنته ★



ويعدد الكاتب الكوبي **اليخو كاربتيير** أهم أسباب هذه الظاهرة وهي : بكارة المناظر الطبيعية والغابات العذراء ، صياغة الإنسان من الناحية الكونية ، حضور العنصر الهندي الرهيب ، والأسود الغريب . خصوبة المولدين فيها ، وأخيراً غرابة اكتشافها الحديث . . مما جعل أميركا اللاتينية شلالا يتدفق بالسحر والأساطير .

كما أشار **اليخو كاربتيير** إلى أن الرواية الإسبانية ــ الأميركية المعاصرة « بالرغم مما يراه البعض فإن الخيال الجامح فيها يرجع إلى محافظة الروائيين على مفردات ومصطلحات كانت متداولة في إسبانيا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر » .

ويعترف **غارسيا ماركيز** صراحة بأنه « ليس من المعجبين بالرواية الإسبانية . ولكن إذا كان الحديث يدور عن **سرفانتيس** وأدب الصعلكة ، فإنه ليس أمامي من مفر . . فهذه هي الرواية الإسبانية العظمى » .

وهذه مقتطفات من آراء ماركيز تلقي الضوء على مفهومه للرواية ، والكاتب ، ومهمته ، وأثره . . :

● العمل الأدبي هو عمل فردي محض ، وأكثر من ذلك إنه العمل الأكثر فردية في الدنيا . لا أحد يستطيع مساعدتك في كتابة ما تكتبه ! .

● كل رواية جيدة هي سبر لأغوار العالم ! .

● **الرواية المثالية** : هي رواية حرة حرية مطلقة ، لا تقلق بمضمونها السياسي والاجتماعي فحسب ، وإنما تقلق بقدرتها على فهم الواقع . ومن الخير أن تكون قادرة على عكس صورة الواقع حتى تظهره على حقيقته من وجهة الآخر .

● الكاتب الذي يجيد ما يعمل ، يحاول ألا يشبه أحداً ، وأن يلغي تأثره بكتَّابه المفضلين فلا يقلدهم .

● إن واجب الكاتب السياسي الأول أن

> الكاتب الذي يجيد مايعمل يحاول ألا يشبه أحدًا ، وأن يلغي تأثره بكتّابه المفضلين .

يكتب جيداً ، ولا أقصد الصدق فحسب ، وإنما أن يكتب منسجماً مع معتقداته الراسخة .

● ما أفكر به هو أن التواضع في مهنة الكتابة ، فضيلة ضئيلة القيمة ، لأنك إذا ما جلست لتكتب بتواضع فإنك ستبقى كاتباً في مستوى متواضع ! .

● عمل الكاتب أن يكتب ، لا أكثر من ذلك . أرفض أن أساعد الناشر في برنامجه الدعائي . فهل يساعدني الناشر في كتابتي ؟! .

● أنا أعتقد بأن الكاتب يستطيع أن يقول كل ما يخطر له إذا كان بإمكانه جعل الناس يصدقون ما يقوله . والمؤشر الذي يجعلنا نعرف إذا كان الناس سيصدقون ما نقوله ، هو قبل كل شيء : أن يصدق الكاتب نفسه ما يقوله ! .

● على الكاتب أن يكتب معتمداً على واقعه الخاص ، وليس ثمة مناص من هذا ، فالكاتب الذي لا يستلهم واقعه الخاص وتجاربه الخاصة ، هو كاتب سيئ ويسير في طريق خاطئ .

● إن دور الأدب في التغيير محدود ، لكني أعرف أنه يترك أثراً في أقل الناس تفاعلاً مع الحياة ، لذلك فإن الخيال المبدع والكتابة الفنية يسلحان الناس بالأمل والقدرة على التهكم والإدانة ! .

مؤثرات عالم ماركيز القصصي

تأثر عالم ماركيز القصصي بعدد من المؤثرات التي ساعدته وظهرت آثارها في أن ينتج أدباً متميزاً له مذاق خاص . . من هذه المؤثرات :

● **البيئة الخاصة لأميركا اللاتينية** : حيث يتسم واقعها بمرارة قاسية ، ويتلفع فيه الواقع اليومي بالأساطير والحكايات المتوارثة والمشاهد المرتبطة بالطبيعة . . **وغارسيا ماركيز** مقتنع ــ من هذه الزاوية ــ بأن كل ما كتبه له قاعدة واقعية .

● **الصحافة** : أفاد **ماركيز** عمله الصحفي في توفير عنصري الإيجاز والمباشرة والأهم من ذلك ساعده على اقناع القارئ بصدق ما يروي . . وهو في ذات الوقت كان واعياً بخطرها فاستطاع الابتعاد عنها في الوقت المناسب .

● **حرية الإبداع** : يتناول **غارسيا ماركيز** أعماله الأدبية من منظوره الخاص ، الذي يتميز بمخيلة جبارة لا يمكن أن يحدها أي قيد . . ومن هذا المنطلق يبدو تأثره بأدب **سرفانتيس** خاصة ، ونجاحه في اختراع عالم كان كل ما فيه ممكناً .

● **السينما** : يرى **غارسيا ماركيز** أن تجربته في السينما ضخمت إمكاناته الروائية حيث جعلته يدرك ليس ما يقوم به الكاتب فحسب ، بل ما يجب أن يقوم به كذلك . وبدا له أن سيطرة الصورة على عناصر روائية أخرى ، ليست ميزة فحسب ، وإنما هي تحديد لها . . **ولقد بهره هذا الاكتشاف ، فأدرك أن الإمكانية الروائية غير محدودة .**

أعمال ماركيز الأدبية

أعمال الكاتب **غابرييل غارسيا ماركيز** التي نشرت حتى اليوم هي :

● **رواية** « عاصفة الأوراق » عام ١٩٥٥ م .

● **رواية** « ليس لدى الكولونيل من يكاتبه » عام ١٩٥٧ م .

● **مجموعة قصص** « جنازة الأم الكبرى » عام ١٩٦٢ م .

● **رواية** « الساعة السيئة » عام ١٩٦٢ م .

● **رواية** « مائة عام من العزلة » عام ١٩٦٧ م .

● **مجموعة قصص** « الحكاية الحزينة التي لا تصدق لايرنديرا الساذجة ، وجدتها الخائرة القوى » عام ١٩٧٤ م .

● **رواية** « خريف البطريرك » عام ١٩٧٥ م .

● **رواية** « تاريخ موت معلن عنه » عام ١٩٨١ م .

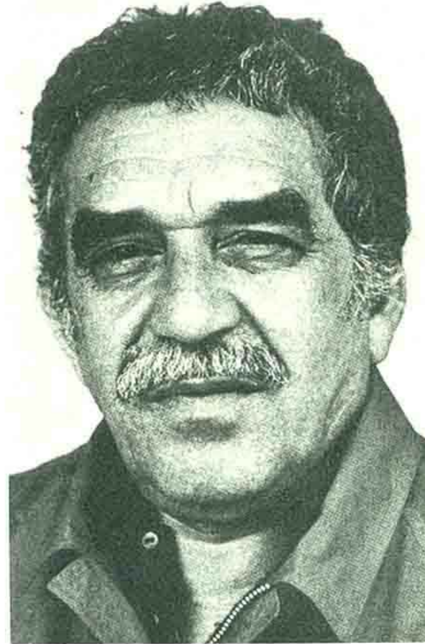
يقرر **غارسيا ماركيز** أنه اضطرَ أن يكتب « **مائة عام من العزلة** » حتى تنال رواية « **ليس لدى الكولونيل من يكاتبه** » حقها من الشهرة . . وهي تحكي بقدر رهيب من المرارة والشاعرية حكاية كولونيل يبلغ من العمر خمساً وتسعين عاماً . . ينتظر كل يوم جمعة أن يأتيه البريد بمعاشه التقاعدي . **وهو يعي أن رفاقه قد ماتوا وهم ينتظرون** .

ويعيش الكولونيل مع زوجته في فقر مدقع خاصة بعد أن مات ابنه الوحيد مطعوناً في حلبة مصارعة الديكة ، لأنه كان يوزع منشورات سرية . . لكنه يشعر بصعوبة الاحتفاظ بالديك الموروث عن ابنه ليدخل به مصارعة الديكة التي ستجرى في يناير (كانون الثاني) . . وهو يذهب كل يوم جمعة إلى الميناء النهري . ينتظر مركب البريد . إنه ينتظر منذ خمسة عشر عاماً . ثم يأتي موظف البريد ليخبره « **لا شيء للكولونيل** » . . فيشعر العجوز بالخجل ويتابع : « **ليس لدي من يكاتبني** » .

ويناضل العجوز فيعمل على استبدال المحامي . لكنه يضطر ــ إزاء مشاكل الفقر المتراكمة ــ أن يبيع الديك ، فيكتشف استغلال صديقه لحاجته . لكنه يتمسك ثانية بالديك ، ويصر على عدم بيعه ، فهو يخص القرية كلها ، كما يرتبط الديك بابنه المفقود . . ويصبح الديك هو المعنى الوحيد في حياته المليئة بالعذاب والمعاناة . . **ويستمر الكولونيل في الانتظار** .

أما رواية « **مائة عام من العزلة** » فهي

« عمل الكاتب أن يكتب لا أكثر من ذلك ، أرفض أن أساعد الناشر في برنامجه الدعائي ، فهل يساعدني الناشر في كتابتي ؟! »



« لست من المعجبين بالرواية الإسبانية ، ولكن إذا كان الحديث يدور عن سرفانتيس ، فإنه ليس أمامي من مفر ، فهذه هي الرواية الإسبانية العظمى . »

تعتبر أشهر رواياته على الإطلاق . . وهي تحكي قصة حياة قرية خيالية هي **ماكوندو** . . وهي رواية دائرية مليئة بالحركة ، وكما يقول عنها الناقد **ميغيل فرنانديز براسو** « **الرواية نشيد الحرية الفردية ، والتحرر من أفكار سلفية لا شعورية ، والرواية هيولى نظمها مغناطيس ذاتي ، تتشابك فيها الظلال والكلمات المألوفة ، بزخارف وأصداء مختلفة الألوان ، يطبعها الطابع الإنساني الشامل . الرواية اهتزاز عجلة الحياة المضطرد ، تصور وجوه الحياة الحقيقية والكاذبة ، وتترجم فترات الصمت والدهشة ، وتعرض الوهم المحسوس ، وترسم المدى الخيالي الذي يمكن أن يبلغه الواقع** » .

أما رواية « **خريف البطريرك** » فقد عالج فيها موضوع الحاكم المستبد ، لحظة اكتشاف موته في بداية الرواية ، ومعاناته من قسوة العزلة واليأس والتفرد ، لتنتهي الرواية بلحظات احتضاره . . فالرواية تقدم رؤية فنية لمدى خواء عالم الحاكم المستبد ، وأنه محكوم عليه في النهاية بالموت والاندثار .

أما روايته الأخيرة « **تاريخ موت معلن عنه** » فيعتبرها **غارسيا ماركيز** أحسن رواياته . وهو يرجع مولدها إلى ثلاثين سنة ماضية ، من نقطة بداية واقعية هي حادثة قتل في إحدى قرى **كولومبيا** . وقد كان قريباً جداً من أبطال المأساة . إلا أن أمّه طلبت منه ألا يكتب هذه الرواية ما دام أبطالها على قيد الحياة . . وعندما توفي أبطال الرواية بدأ كتابتها . وقد نتج عن هذا الواقع رواية لا صلة لها به .

وهكذا يضيف الكاتب الكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز إضافات جديدة إلى الرواية العالمية .. ترتقي بها نحو مدارك عالية .. وتسلح قراءها ــ في ذات الوقت ــ بمزيد من الوعي بالواقع ، والتطلع بأمل نحو المستقبل .



قلب شاعر

شعر: فتحي سعيد

تقول التي عن وكرها طار طائري … وآوى إلى وكر غريب المشاعر

يلوذ به في الليل من شر راصدٍ … ترصده في كل خطو وخاطر

يدب بلا ساقٍ ويمشي بلا خطى … بنابٍ وحسنٍ فاغر الفم كاسر

كأني به عينان في جبهة الدجى … قد اختفتا خلف اللهى والحناجر

تفحان مثل الجان في كل قطرة … تميمة سم .. لا تميمة ساحر

ففي كل عين جمرة من جحيمها … تلظت بليل أسود الوجه كافر

وما زلت أرميها بسهم وغنوةٍ … واحتال كي تأتي لأقنع ناظري

إلى أن تلوّت وانحنت ثم أقبلت … على خجل تسعى لوقع المزاهر

فقلت : دعيني لست أنت التي إذا … تخطفني في الليل سرب الدياجر

بصاحبتي تصغي إلي وتصطلي … بناري وأشعاري وأطياف سامري

فيا وهج العنقود والشعر في دمي … حنانيك وارحم ليل هذا المكابر

سأشدو كما أهوى وليس لصاحبٍ … عليّ بسلطان ولا هو آمري

وأرسل رمحي راحماً غير واغلٍ … وأسرج خيلي صاعداً غير غائر

ومن ذا الذي يقوى على قلب عاشق … إذا كان بين الناس قلب لشاعر

التل بين الخرابيش

بقلم: خليل محمد الشيخ خليل

تتمثل فكرة الغاب عند جبران خليل جبران ، أكثر ما تتمثل في قصيدة « المواكب » ، التي نظمها عام ١٩١٨ م ، أما الخرابيش فهي جمع خربوش : وهي لفظة عامية أردنية ، تعني الخيام التي كان « النَوَر » يسكنونها . وهي على عاميتها قوية الدلالة لأن مصطفى وهبي التل (عرار)[1] ، كان يستخدمها في القصيدة « بين الخرابيش » على نحو لافت للنظر . وهو في هذا الاستخدام يكشف عن دلالة نفسية .

والغاب عند جبران « صورة للمطلق . . . » و « يوتوبيا ، تتمثل فيها الوحدة والسعادة »[2] ، وهو نقيض للمجتمع وما فيه من ظلم وعبودية ، والخرابيش عند عرار ، نقيض هي الأخرى للمجتمع ، فهي تخلو - كما يرى - من الكذب والتزوير ، وتخلو من الفوارق الطبقية أيضاً . فمن هنا يتشابه عرار مع جبران في عمومية التوجه ، فكلاهما شاعر رومانطيقي ، مهاجم للمجتمع الذي يعيش فيه . لكنهما مختلفان في دوافع هذا التوجه وفي تفصيلاته . فاشتراكهما في عمومية التوجه ، لا يعني التطابق أيضاً ، لأن ثمة فرقاً واضحاً بين الشاعرين ، يرجع إلى الاختلاف السيكولوجي ، والثقافي ، كما يرجع إلى اختلاف الظروف الموضوعية بينهما .

رأيان متناقضان

لكن المقارنة بين الغاب عند جبران ، والخرابيش عند عرار ، تواجه معضلة ، فإن دارسي عرار لم يشيروا إلى تأثر عرار بشعر المهجر ، بله اطلاعه عليه . فالأستاذ **محمود المطلق** ؛ صديقه وتلميذه يقول في معرض الحديث عن ثقافته :

« لم يكن مصطفى واسع الثقافة والاطلاع والمعرفة ، وإنما كانت معارفه بسيطة وثقافته محدودة ، فقد تلقى في صباه تعلماً يعادل التعليم الثانوي ، إن لم يقل عنه . . . ولم يحاول فيما بعد أن يوسع ثقافته كثيراً ، وأن يطلع على المذاهب الفكرية الحديثة في العلوم والفنون والآداب ، ولهذا كان مستوى ثقافته أقل كثيراً من مستوى ذكائه الفطري »[3] .

والأديب الأردني **يعقوب العودات** (البدوي الملثم) ، وهو صديق الشاعر يقول :

« وعلى مدى معرفتي الطويلة بـ (عرار) أقرر للتاريخ أمراً لا بد من تقريره ، والتنويه به ، وهو أنه كان على جانب عظيم من سعة الاطلاع والأفق ، وكثيراً ما كانت تدور بيننا مساجلات حادة في نظريات (**داروين**) و (**سبنسر**) ، وتعاليم (**تولستوي**) ، والتطور الاجتماعي ، وأصل الحياة والكون والأمواج والظواهر الجوية والكون والجنة والنار . فكان مصطفى الفارس المُجلّي ، يدلك على هضمه النظريات الحديثة (مكتبة) حافلة بأمهات الكتب الصفراء والبيضاء يوم كان (شرقي الأردن) في قحط من الكتب والمجلات »[4] .

فهذان الرأيان ؛ تما من خلال علاقات شخصية وانطباعات عامة خارجية ، ومن حقنا أن نتجاوزها إلى شعره ، لنرى مدى تأثر الشاعر بالتيارات الشعرية العربية من حوله . صحيح أن هذا التجاوز يوهم بإهمال ما يمكن أن يضيء لنا هذه السبيل . ولكن الباحث يجد نفسه مضطراً . لأن الدراسات التي كتبت عن عرار اقتصرت على الدراسة الخارجية لشعره ، واستخدمت شعره وثائق تحاكمه على ضوء مرحلته التاريخية ، أو تحاكم مرحلته التاريخية من خلاله .



★ مصطفى وهبي التل ★

المواكب .. وبين الخرابيش

وقد يقال إن التشابه بين عرار وجبران أمر طبيعي ، فكلاهما شاعر رومانسي ، رافض لكثير من قيم المجتمع السيئة كالكذب والتزوير والنفاق والظلم ، والعبودية . والرفض لهذه المساوئ ومحاولة تحرير المجتمع منها ، وإيجاد البديل خصائص مشتركة في الأدب الرومانسي . وهذه المقولة صحيحة ، لكنها غير كافية لتفسير هذا التشابه . فإذا كان جبران يقيم في « المواكب » ، موازاة بين المجتمع والغاب ، يدعو فيها إلى هجر المجتمع والعودة إلى الطبيعة ، فإن عراراً وهو يقيم مثل هذه **الموازاة** ، لا يريد هجر المجتمع إلى خرابيش النَوَر ، ولا يريد استبدال المجتمع بالخرابيش ، ولكنه يأمل في إصلاح المجتمع على ضوء القيم التي يحاول تجسيدها في ذلك المجتمع . **وهذا يعني أن تأثر التل بجبران** - كما سنوضح - لم يفقده شخصيته المتميزة ، بل استطاع أن يتخذ أدواته ورموزه من العالم المحلي الذي يحيط به . **فالتشابه بينهما لم يكن محض مصادفة ولعل ذلك يعود إلى ما يلي :**

(١) أن قصيدة « المواكب » نشرت سنة ١٩١٨ م ، وأثار نشرها استحساناً وسخطاً لدى الكثيرين في العالم العربي[5] ، **أما قصيدة عرار « بين الخرابيش »** فقد نظمت سنة ١٩٣٩ م ، وهذا يعني أن ثمة فاصلاً زمنياً بين نظم القصيدتين يتيح لعرار فرصة لقراءة القصيدة والتأثر بها .

(٢) أن قصيدة عرار « بين الخرابيش » من القصائد المطولة فهي (أربعة وسبعون بيتاً) ، وهي تختلف اختلافاً واضحاً عن بقية قصائد عرار ، في طولها ، وفي تسمية أجزائها . وهذه التسمية لافتة هي الأخرى للنظر ، لأنها تكشف

وجبران

.. والمواكب

عن رغبة واعية للشاعر في بناء قصيدته على نحو هندسي واضح منظم . وهذا هو توزيعها :

١ ــ ٨ منية المتمني .

٩ ــ ١٦ طرد الهوى .

٧ ــ ٢٣ انصاف ياهو .

٢٤ ــ ٢٩ ينفلقوا .

٣٠ ــ ٣٦ ياشيخ .

٣٧ ــ ٤٢ المدينة الفاضلة .

٤٣ ــ ٥١ الناس .

٥٢ ــ ٥٧ سفاسف العلم .

٥٨ ــ ٦٦ النعيم المقيم .

٦٧ ــ ٧٤ أوابد الأردن .

أما « المواكب » فهي من القصائد التي خضعت لبناء هندسي أكثر دقة وإحكاماً من بناء القصيدة السابقة . ففيها صوتان : صوت يعدد نقائص المجتمع . وهذا الصوت يتحدث طوال القصيدة بوزن واحد هو (البحر البسيط) وقافية واحدة هي (حرف الراء) ، وصوت يعدد مزايا الغاب وهو صوت يتوحد فيه الوزن (مجزوء الرمل) وتتنوع القوافي . « وإذا كان الالتزام بالوزن يؤكد المعنى تكراراً إيقاعياً ، فإن تنويع القافية يؤكد المعنى أيضاً . ولكن تنويعاً يدل على عالم الطبيعة وعدم رتابته وهو بذلك مقصود وموظف لغاية يحملها المعنى »[٦] .

فالقصيدتان متشابهتان في الإعداد القبلي ، المسبق للموضوعات المتناولة فيها . وإذا كان هذا يتوافق مع طبيعة جبران الفنية ، فهو يتعارض مع طبيعة التل الفنية ، لأن أبرز خصائص هذه الطبيعة هي العفوية ، والبساطة في المضمون والشكل ، حتى ليقترب كثيراً من كلام الناس[٧] .



★ جبران خليل جبران ★

الناس بين جبران والتل

يفتتح جبران قصيدته بالحديث عن الناس ، وهو يرى أن الشر في الناس موجود بالفطرة ، وأن الخير فيهم موجود بالقوة ، ويرى أنهم ــ على أحسن الاعتبار ــ قطيع ، يسير فلا روية ولا منطق . فيقول :

الخير في الناس مصنوع إذا جُبروا
والشر في الناس لا يفنى وإن قُبروا
وأكثر الناس آلات يسير بها
أصابع الدهر يوماً ثم تنكسر
فلا تقولن هذا عالم عَلَم
ولا تقولن ذاك السيّد الوقر
فأفضل الناس قطعان يسير بها
صوت الرعاة ومن لم يمش يندثر

أما عرار فيتحدث عن الناس ، ويرى أنهم عبيد للقوي ، يلثمون يد من سامهم خسفاً ، حمق فيهم روح القطيع . يقول :

الناس ما الناس عبدان القوي بهم
ما بالمطية من مهماز مغوار
يزجون من سامهم خسفاً وأرهقهم
عسفاً تحيات اجلال وإكبار
ويضفرون بأيديهم لقاطعها
حرصاً على البغي اكليلين من غار
حمق يجارون تياراً ومجتمعاً
وأمة وشعوباً كل تيار

فالشاعران يشتركان في الموقف السلبي من الناس ، هذا الموقف الذي يرى أن الداء يكمن في طبيعة الشعب ، لأن نزعة الشر المتأصلة والمتغلبة على نزعة الخير ، هي التي تحول دون الإصلاح والتطوير . ولهذا تتشابه النبرتان من خلال تشابه الوزن الشعري ، ومن خلال التعميمات ، والأحكام القاطعة الحادة .

وينبغي أن أنبه إلى أن استخدام عرار لكلمة « الناس » في غير هذه القصيدة كان استخداماً محدوداً . فهو عندما يريد أن يتحدث عن مجتمعه كان يستخدم التعبيرات التالية : بنو أبي ، قومي ، أمتي ، الأمة ، الشعب[٨] .

وقد وردت كلمة الناس في ديوان التل ، في غير هذا الموضع خمس مرات[٩] . مرتين منها تكرار لمعنيين وردا في القصيدة ، أما بقية المواطن ففيها رغبة الشاعر بالتعميم وإخراج القضية إلى الحيز الإنساني . ولذا يكون من اللافت للنظر استخدامه لهذه الكلمة وإعادتها أربع مرات في تسعة أبيات ، لأن جبران كرر الكلمة نفسها أربع مرات في عشرة أبيات .

لكن جبران يتحدث عن الناس من خلال الصوت الأول ، ليدينهم ، بينما يتحدث الصوت الثاني عن الغاب ليبرز محاسنه . أما التل فعنده هو الآخر صوتان ، لكنهما لا يبدوان على ذلك النحو الذي ارتآه جبران ، بل يتداخلان دون أن يمتزجا . فهناك صوت الذات ، في توحدها وتفرّدها وغربتها :

ولا أبالي إذا لاحت مضاربهم
مقالة السوء في تأويل مشواري

فالذات هنا نقيض للناس ، أو على الأدق لمستوى وعيهم . وهناك الصوت الثاني الذي يتمثل في صوت الناس ، الناطق عن مجتمع متخلف مملوء بالجهل والكسل .

اليوتوبيا .. والمدينة الفاضلة

وإذا كان الغاب عند جبران يوتوبيا ، فإن خرابيش النور عند عرار هي ــ كما سماها ــ المدينة الفاضلة . وتكشف المقارنة بين الغاب والخرابيش عن تشابه واضح في القيم والمفاهيم . فغاب جبران يخلو من الرق والعبودية :

ليس في الغابات حر
لا والعبد الذميم

ومدينة عرار الفاضلة تخلو هي الأخرى من العبودية :

بين الخرابيش[10] لا عبد ولا أمة
ولا أرقاء في أزياء أحرار

وإذا كان جبران يسخر من عدالة الأرض فيقول :

والعدل في الأرض يبكي الجن لو سمعوا
به ويستضحك الأموات لو نظروا

ويرى :

إن عدل الناس ثلج
إن رأته الشمس ذاب

ليخلص إلى تقديم صورة إيجابية للغاب حيث :

ليس في الغابات عدل
لا ولا فيها العقاب

فإن التل يرى أن مدينته الفاضلة تتميز بأنها تخلو من القضاء المنحرف الذي يسود المجتمع :

ولا قضاة ولا أحكام أسلمها
برداً على العدل آتون من النار

وإذا كانت المساواة هي من ميزات غاب جبران ، وتكاد هذه المساواة تساوي بين الأشياء جميعاً .

فإذا ما اللوز ألقى بزهره فوق الهشيم
لم يقل هذا حقير : وأنا المولى الكريم
فإن الناس عند التل هناك متساوون :

الكل زط مساواة محققة
تنفي الفوارق بين الجار والجار

وإذا كان جبران يقف من العلم موقفاً سلبياً ، فيرى أن :

إن علم الناس طرّاً
كضباب في الحقول
فإذا الشمس أطلّت
من وراء الأفق يزول

فإن التل يرى أن من حسنات الخرابيش خلوها من أدوات العلم :

بين الخرابيش لا حبر ولا ورق
ولا يراع ولا تدوين أسفار

ولا سفاسف كتب أذهبت عمري
قراءة بين توريد وإصدار

وإذا كان في المجتمع من جرائم القتل ، ما يجعل العيش فيه مستحيلاً ، فيرى جبران أن المجتمع متناقض لأن عقوباته متناقضة :

فالسجن والموت للجانين إن صغروا
والمجد والفخر والإثراء إن كبروا
فسارق الزهر مذموم ومحتقر
وسارق الحقل يدعى الباسل الخطر[11]

فإن التل يرى أن مجتمعه المثالي يخلو من كل ذلك :

فلا جناة ولا أرض يضرجها
دم زكي ولا أخاذ بالثار

ولهذا تتوارى صورة الغاب ، وصورة المدينة الفاضلة ، كما تتوارى صورة المدينة والمجتمع عندهما . فإذا كان الفرح الإنساني المتجسد بالغناء يمثل الحل عند جبران ، فإن الفرح الإنساني الفطري الذي يمثله النَّور يبعث الفرحة في نفس عرار وينسيه ـ مؤقتاً ـ تلك الآلام والمشكلات التي يراها في مجتمعه . . ولهذا يتشابه الصوتان في النهاية فجبران يأمل هجر المجتمع إلى الغاب ، والتل يدعو إلى هجر المدينة . فيقول جبران :

العيش في الغاب والأيام لو نظمت
في قبضتي لغدت في الغاب تنتثر
وللتقادير سبل لا تغيرها
والناس في عجزهم عن قصدهم قصروا

والتل يقول :

دعي المدينة لا يخدعك باطلها
فزيفها بيّن من غير منظار

وبعد ذلك يقول عن حياته بين الخرابيش :

بين الخرابيش لا عمري يضيع سدى
ولا يضيق الهدى ذرعاً بأطواري

ولعل هذا يجسد المفارقة في الأدب الرومانسي ، فهو بعد أن يكتشف حقيقة العلاقات الاجتماعية ، يرتد ليرى عجزه وعجز الناس من حوله ، فيهرب إلى الطبيعة باعتبارها ملاذاً وحلاً . ولكن يبقى أن نسجل لعرار ريادته في الحديث عن النور حديثاً يتسم بالإنسانية ، وبالجرأة على ما تعارف عليه الناس من مقاييس ، وهو بالتالي نقطة متقدمة على جبران ، لأن جبران اختار الغاب ، والغاب فكرة مجردة فيها من المثالية والتهويم ما فيها ، أما التل فقد اختار مجتمعاً منبوذاً ، دافع عنه ، وبيّن إنسانيته . صحيح أن حديثه عن مجتمع النور ، ليس دقيقاً إذا حوسب من منظار اجتماعي علمي ، كما أن حديث جبران عن الغاب يبدو هشاً إذا تذكر المرء « شريعة الغاب » ولكن التل يبقى في التقويم النهائي ، ملتزماً بالدفاع عن الناس في هذه القصيدة أكثر من جبران .

الهوامش

(١) مصطفى وهبي التل ، شاعر أردني ، ولد في أربد سنة ١٨٩٧م ، وتوفي سنة ١٩٤٩م ، ولقبه « عرار » . انظر تفصيل حياته في كتاب (البدوي الملثم . . عرار شاعر الأردن) ، وفي كتاب أحمد أبو مطر (عرار الشاعر اللامنتمي) .

(٢) إحسان عباس ، محمد يوسف نجم ، الشعر العربي في المهجر ، ص ٤٧ .

(٣) مقدمة ديوان « عشيات وادي اليابس » ، ص ٤٢ .

(٤) البدوي الملثم ، عرار شاعر الأردن ، ط ١ ، ١٩٥٨م ، ص ٣٩ .

(٥) علق على القصيدة العقاد بمقالة نشرتها جريدة الأهالي سنة ١٩١٩م ، وأعاد العقاد نشرها في كتابه الفصول سنة ١٩٤١م ، كما أن مقالات محمد مندور التي نشرها في « الرسالة » و « الثقافة » ، المصريتين ، كانت تلفت النظر بقوة إلى الأدب المهجري ، بل تتخذه ميزاناً للأدب الجاد الذي سماه مندور « الأدب المهموس » ، وتفصيل ذلك في كتاب مندور « في الميزان الجديد » .

(٦) يمنى العيد ، الدلالة الاجتماعية لحركة الأدب الرومانطيقي في لبنان ، ص ١٤٨ .

(٧) د . محمود السمرة ، اللغة والأسلوب في شعر عرار ، مجلة « مجمع اللغة العربية » ، العدد ٥ ـ ٦ .

(٨) انظر ديوان مصطفى وهبي التل ، عشيات وادي اليابس .

(٩) انظر عشيات وادي اليابس ، ص ٨ ، ١٦ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٢٢٦ .

(١٠) إن تعبير « بين الخرابيش » الذي يستخدمه التل ، يحاكي تماماً تعبير جبران « ليس في الغابات » ، على صعيد المضمون ، وعلى صعيد التوظيف .

(١١) هذا خطأ واضح ، وورد في بعض الطبعات بدلا من يدعى ، فهو الباسل .

التطور الطبيعي للكلام عند الطفل وأسباب تأخره

بقلم:
د. نبيه غبرة

يولد الإنسان وعنده ملكة التكلم في جملة الملكات الكثيرة التي أودعها الله فيه. وهذه الملكة أو القدرة الكامنة تتفتح بالتدرج شيئاً فشيئاً، وخطوة بعد خطوة، بتسلسل بديع، يراقبه الأهل بشغف ومتعة وسعادة؛ وكأن طفلهم الصغير يقوم بأعظم الأعمال وأجلها. وهو يقوم بذلك فعلاً وبكل تأكيد. أفليس النطق من صفات الإنسان الأساسية المميزة؟ أليس التكلم دليل الذكاء والفهم والنباهة؟ ودليل صحة الأجهزة والحواس الكثيرة المتعلقة بعملية تكامل التكلم؟

إن التكلم هو الوسيلة التي يستعملها الإنسان للتعبير عن حاجاته ورغباته وأفكاره بالرموز الصوتية. ولكن ألا توجد وسيلة صوتية أخرى يعبّر بواسطتها الطفل الصغير عن حاجته؟ بالطبع توجد. فهناك البكاء الذي هو وسيلة الطفل الرضيع الأساسية للتعبير.



البكاء والنطق

ولقد درس العلماء بكاء الطفل بتسجيل بكائه في الأعمار والمناسبات المختلفة . ثم تحليل الأصوات الصادرة عنه ، فوجدوا أشياء كثيرة . منها أن لكل طفل صوته الخاص المميّز ، وهذا ما يجعل الأم تميّز صوت ابنها بكل سهولة من بين أصوات أطفال كثيرين غيره ، وأن طبيعة صوت البكاء تختلف عند الطفل حسب الدافع : أهو الجوع ؟ أم الألم ؟ أو غير ذلك ؟ . بل إن بكاء بعض الأعراض المعيّنة يتميّز بطبيعة معيّنة . كما أن **لدرجة الذكاء علاقة وثيقة بطبيعة البكاء من نواح عدة ..** فقليل الذكاء مثلاً ، يحتاج إلى منبّه أشد كي يبكي ، كما أن بكاءه يستمر لمدة أطول . بينما يبكي الطفل الذكي بسرعة ولمنبّه ضعيف الشدة ويكف عن البكاء بسرعة .

وعلى العموم فإن بكاء الوليد يتميّز بكونه قصيراً مُقطَّعاً متكرراً ، يشتد بعد حدوث السبب الداعي للبكاء ، ويأخذ بالتناقص بعد زوال السبب . وعندما يكبر الطفل يطول بكاؤه ويصبح ذو مقطعين . وفي الشهر السادس يتعدد لحن البكاء ويصبح أكثر تعبيراً . وعندما يكبر أكثر يمكن أن يتضمن بكاء الطفل بعض مقاطع كلمات حقيقية .

تطور الكلام وتكامله

يتماشى تطور التكلم عند الطفل وتكامله مع تطوره العام الجسمي والنفسي والعقلي . وهو يتبع نظاماً ثابتاً تقريباً حتى عمر الست سنوات ، أما بعد ذلك فإنه يتأثر كثيراً بالجو التربوي والتعليمي الذي يعيش فيه الطفل .

ويحتاج التكلم إلى تعاون وتناسق مجموعة من الأعضاء ذات الأداء الوظيفي الطبيعي .

فهو يحتاج قبل كل شيء إلى جهاز سمع سليم ، ليتلق الطفل موجات الألفاظ والأصوات المنطوقة من الغير .

ثم يحتاج إلى الأعصاب السليمة ، والمراكز الدماغية السليمة ، ليُصار إلى نقل التنبيهات الصوتية أو الإشارات الصوتية إلى الدماغ حيث تحصل الاستجابة .

وأخيراً فإن الطفل الذي تلق الصوت وأدرك اختلافاته يحاول أن يقلده بإصدار أصوات مماثلة ، وهذا يحتاج إلى تعاون أجهزة التنفس والتصويت والرنين والنطق .

وتظهر أولى الأصوات عند الطفل **في نهاية الشهر الأول** من العمر ، وذلك عندما يبدأ بإصدار أصوات حنجرية : غو .

وفي **الشهر الثاني** يتلفظ الطفل بالفاظ آه ، أه ، إه .

وفي **الشهر الثالث** يبدأ بالمناغاة ، وبمحاكاة أمه في ذلك .

وفي **الشهر الرابع** يبدي سروراً واضحاً بمناغاته لأمه ، ويرغب في الاستمرارية لمدة طويلة .

وفي **الشهر الخامس** يبدأ بجمع صوتين إلى بعضهما : آه ، غو .

وفي **الشهر الخامس أو السادس** يبدأ بلفظ بعض الأحرف الساكنة مثل : مْ ، نْ ، بْ ، ك ، دْ ، تْ .

وفي **الشهر السابع** يتلفظ بـ : با ، دا ، كا .

وفي **الشهر الثامن** يبدأ بجمع المقاطع فيقول : با ـ با ، دا ـ دا ، ما ـ ما .

وفي **الشهر العاشر** يكتشف الطفل أن تلفظه ببعض التركيبات الصوتية يؤدي أحياناً إلى نتائج عظيمة . فإذا ما لفظ (ماما) التفتت أمه إليه أو حضرت . وإذا ما لفظ (بابا) وكان حاضراً التفت إليه ، فيأخذ بتكرار هذه الكلمات ، ويصبح لها في ذهنه معنىً محدداً . وعندها فقط نستطيع أن نقول إن الطفل بدأ يتكلم . فهو يقول (بابا) ويعني أباه . ويقول (ماما) ويعني أمه . ويقول (دادا) ويعني أخاه . وهذا يختلف كثيراً عن التلفظ بمقاطع هذه الكلمات متفرقة أو متكررة دون معنى معيّن في الشهر السابع أو الثامن .

ويتلفظ الطفل **في عمر السنة** بثلاث كلمات واضحة ذات دلالة وسطياً .

ويبدأ الطفل **في شهره السادس عشر** بالتلفظ بكلمات غير واضحة لا يفهمها سوى الأم أو الأب وهو ما نسميه بالبربرة .

وفي منتصف السنة الثانية يتلفظ الطفل بحوالي اثني عشرة كلمة واضحة وسطياً .

وبعد منتصف السنة الثانية يصبح الطفل أكثر سيطرة على كيفية النطق السليم ، وعلى نشاطاته الحركية واليدوية الأخرى ، ويتطور تكلمه بشكل سريع .

وفي نهاية السنة الثانية يبدأ الطفل بتأليف الجمل من كلمتين أو ثلاث أحياناً ، ويبدأ باستعمال بعض الضمائر : أنا ، أنت ، لي .

ويتطور التكلم **في السنة الثالثة** بشكل سريع حتى لنرى أن الطفل في نهاية سنته الثالثة لا يكف أو لا يكاد يكف عن التكلم .

ويعاني الطفل في سنته الثالثة من صعوبة خاصة في التكلم ، وذلك أن قدرته على التعبير لا تتماشى مع إدراكاته الواسعة وأفكاره المعقدة . ونراه يجتهد في جعل كلامه طلقاً وموزوناً . ولكن قلّما يستطيع الطفل أن يكون لنفسه لهجة ثابتة قبل السنة الخامسة .

وفي هذا الدور يتعرض الطفل للتلعثم أو حتى التأتأة ، إذ إنه يفتش

عن الكلمة المناسبة فلا يجدها ، فيأخذ بترديد كلمة أو مقطع كلمة أو حرف .

ويدرك الطفل في **سن الرابعة** أهمية التكلم بالنسبة للمجتمع والقوة المستمدة منه ، ولذا يصبح أكثر رغبة في إجادة التكلم والانطلاق فيه ، ولكن هذا يجعله يتلعثم أحياناً ولا شك . ويصبح ٦٠ ـ ٨٠٪ من كلام الطفل مفهوماً في عمر الثلاث سنوات ، ويؤلف جملاً من ثلاث كلمات بسهولة .

وأما في عمر الأربع سنوات فإن كلام الطفل يصبح مفهوماً ١٠٠٪ تقريباً ويؤلف جملاً من أربع كلمات .

وفي الخامسة يؤلف جملاً من خمس كلمات .

وفي السادسة يستطيع الطفل إخراج جميع الأحرف من مخارجها الصحيحة .

في سن الأربع سنوات يحسن الطفل استعمال بعض الصفات والظروف ، وأسماء الجر وأدوات التعريف . كما يبدأ بتمييز المفرد والجمع والمذكر والمؤنث وبعض الضمائر .

وتصبح لغة الطفل على العموم في سن الست سنوات قوية ثابتة وطلقة .

أما بعد السنة السادسة فإن حسن اللغة يعتمد على المدرسة والبيئة ، ويتأثر بهما أكثر مما يتأثر بقدرة الطفل وملكاته الوراثية .

وهكذا فإن مسيرة التكلم تبدأ من الأصوات ، إلى الأحرف ، إلى الكلمات ، إلى الجمل ، ومن السهل إلى الصعب ، ومن غير المعقد إلى المعقد حتى تكتمل وتصبح ملكةً ولغة .

ولقد أصبح من الواضح أن السنين الأولى من العمر بالغة الأهمية بالنسبة لتطور التكلم عند الطفل وخاصة السنة الأولى .

أسباب التطور الطبيعي للتكلم

إن التأخر العقلي أو **الضعف العقلي والصمم** هما السببان الرئيسيان لتأخر التكلم ، وهناك أيضاً أسباب أخرى أقل أهمية .

وقبل البدء في ذكر أسباب التأخر لا بد من تعريفه بوضوح . فتأخر التكلم يعني **تأخر الطفل في البدء بتلفظ كلمة واضحة ذات دلالة ، ثم متابعتها بكلمات أخرى ، ثم بضم الكلمات بعضها إلى بعض وتأليف الجمل منها** . وهذا يعني أن تلفظ الطفل ببعض الأصوات أو الأحرف أو حتى المقاطع مثل (با) أو (ما) وما شابه فقط لا يعني التكلم كما يظن بعض الأهل . كما أن هذا التعريف يعني أن اضطرابات التكلم ، كاللثغة والتأتأة ، وغيرها لا علاقة لها بتأخر التكلم فهي موضوع منفصل وسندرسه لوحده في مقالة قادمة إن شاء الله .

التكلم والذكاء

من البديهي جداً ارتباط التكلم بالذكاء . فلكي يتكلم الطفل لا بد له من الملاحظة والانتباه والتدقيق والإدراك ، ومحاولة التقليد والمحاكاة والتجريب والتصميم والتكرار حتى النجاح ، وكلها وغيرها أيضاً صفات تتعلق بالذكاء . أما الطفل الضعيف العقل الذي لا ينتبه ولا يهتم ولا يُثار ولا يدرك فأنى له أن يتكلم ؟ ولكن لا بد هنا من ذكر ملاحظات هامة جداً :

(١) **ليس كل من يتأخر في التكلم هو متأخر عقلياً** ، فقد يتأخر الطفل في التكلم ويكون في نفس الوقت ذكياً جداً ، بل وعبقرياً ، وهناك أمثلة كثيرة على ذلك ، ونكتفي بذكر مثال واحد : وهو أن **أينشتاين** بلغ الرابعة من عمره دون أن يستطيع التكلم مما سبب لأهله كثيراً من المخاوف .

(٢) الطفل **المتأخر عقلياً** لا يكون متأخراً في التكلم فحسب بل **يكون متأخراً في جميع الحقول التطورية والذكائية عموماً** . فهو متأخر اجتماعياً وحركياً في كل المجالات . وقد يستثنى من ذلك أحياناً القدرة على المشي والنظافة من السبيلين (التبول والتبرز) . أي تبدو عليه علامات البلاهة والضعف العقلي .

(٣) **ليس التكلم الباكر وإحسانه دليل التفوق العقلي** أو الذكائي ، فقد يكون الطفل عادياً ويتكلم باكراً وبشكل جيد نسبياً . ومن المعروف أن الإناث يتقدمن الذكور في التكلم .

(٤) ودليلنا العملي في كل ما تقدم هو فهم الطفل لمعنى الكلمات المنطوقة . فهو إن كان يفهم معاني كلامنا وأوامرنا ـ دون إشارة ـ ويدلنا على أشياء معيّنة من المحيط ، فيدلنا عليها بأعيانها حين سؤاله عنها ، فهو طفل يسمع جيداً ويفهم جيداً وليس بضعيف العقل .

ولقد ذكر أحد الأطباء أنه شاهد طفلاً عمره خمسة عشر شهراً لا يلفظ إلا أربع كلمات أو خمس ، لكنه يدل بمهارة على مائتي شيء مختلف من كتب مصورة ، مثل : (حصان ، عصفور ، كرسي ، ملعقة وغيرها) . فهذا طفل ذكي ولكنه دون الوسط في التكلم .

وباختصار ، فإن الطفل الضعيف العقل لا بد وأن يتأخر في التكلم حتى ولو كان ضعفه متوسطاً . ـ وهو ما نسميه بالطفل المتأخر عقلياً القابل للتعلم الذي تكون علامة ذكائه بين الخمسين والسبعين ـ .

ويتناسب تأخر التكلم طرداً مع الضعف العقلي . فكلما كان الضعف العقلي أشد كان تأخر التكلم أشد . كما أن تكلم ضعيف العقل لا يكون جيد اللفظ ولا جيد الدلالة .

التكلم والصمم

الصمم من الأسباب الهامة في تأخر التكلم ، لذا كان اختبار فحص السمع من الفحوص المتممة أو حتى الأساسية في فحوص الطفل الدورية ؛ فضلاً عن الطفل المتأخر في التكلم . وقد يظن الأهل أن الطفل سليم حاسة السمع ولكنه في الحقيقة خلاف ذلك ، فقد شوهد نوع من الصمم الخاص بالتواترات العالية حيث يسمع الطفل الأصوات ذات التواترات الضعيفة (٢٥٦ ـ ٥١٢) المُحْدَثة مثلاً بالتصفيق أو الوشوشة وصوت المذياع وغلق الباب وصوت السيارة ولكنه يعجز عن تمييز الأصوات ذات التواترات العالية (٥١٢ ـ ٢٠٤٨) المستعملة في كلامنا العادي . فهؤلاء الأطفال إما أن يتأخروا في التكلم أو أن لا يحسنوا لفظ الأحرف التي تحتاج إلى تواتر عال مثل حرف السين والفاء .

لذا كان اختبار السمع ضرورياً في كل حالة تأخر في التكلم أو اضطراب فيه .

ومن الاختبارات السهلة الابتدائية هي إحداث أصوات مختلفة شدة التواتر (القبض على قطعة ورق بقبضة اليد وضمها ، وقرع جرس ، و (خشخيشة) ، وملعقة على كأس) ، وملاحظة الطفل فيما إذا كان يلتفت جهة الصوت أم لا . وبالطبع يجب إجراء الاختبار في خفية عن عين الطفل . ويمكن إجراء هذا الاختبار بعد الشهر الثالث من العمر .

وأما الأسباب الأخرى الأقل أهمية فهي :

الوراثة : وقد تسمى بالعامل العائلي ، فكثيراً ما نجد في حال تأخر طفل عادي الذكاء عن التكلم وجود حالات مشابهة في العائلة ، وذلك أن التكلم كبقية المهارات يحتاج إلى نضج المراكز العصبية ، وهذا أمر تتدخل فيه الوراثة .

التوأم : وجد أن التوأم يتأخر قليلاً في التكلم ، لكنه يلحق بزملائه عادة في نهاية السنة الثانية . ولعل السبب هو عدم تفرغ الأم الكافي لمحاكاة توأميها .

وجود اضطراب في الجملة العصبية المركزية : كما هو الحال في شلل الدماغ الطفلي ، حتى ولو كان الطفل ذا ذكاء عادي فلا بد أن يكون متأخراً في التكلم في السنين الأولى على العموم .

وجود علة جراحية كانشقاق قبة الحنك : حيث يكون سقف الفم منشقاً ولادياً فهنا يحدث تأخر واضطراب في التكلم .

الأمراض الشديدة والمزمنة خاصة في السنة الأولى وذلك بسبب عدم تمرن الطفل على التكلم خلال مدة المرض وتأثره بحالته العامة . وخاصة إن اقتضى الأمر التواجد في المستشفى .

الأمراض النفسية عند الطفل : وبالطبع هو سبب نادر الحدوث لكنه قد يشاهد .

اضطراب الجو العائلي النفسي : قد يؤدي إلى تأخر التكلم في الحالات الشديدة التي تترافق بالتوتر الدائم ، أو ذات التأثير المباشر على نفسية الطفل .

أسباب غير واضحة

قد يتأخر الطفل في التكلم ويعجز الطبيب عن إيجاد سبب واضح لذلك .

أسباب مزعومة وغير صحيحة

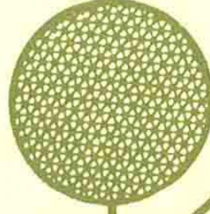
لجام اللسان : كثير ما يظن الأهل أن سبب العلة هو في اللسان نفسه أو في لجامه . وهذا اللجام أو الغشاء الرقيق الموجود في أسفل اللسان ومنتصفه لا يمكن أن يكون سبباً في تأخر التكلم ، ولكن قد يكون سبباً في اضطراب التكلم وعدم وضوحه ، وذلك في الحالات الشديدة عندما يكون اللجام وترياً وقصيراً جداً بحيث يصعب مد اللسان أو إخراجه إلى ما وراء الأسنان الرباعية .

وكذلك لا يمكن أن يكون **الكسل** سبباً في تأخر التكلم ، ومن الظلم بمكان توصية الأهل بعدم تلبية رغبات الطفل كوسيلة لإجباره على التكلم ، فلا يعقل أن يمتنع الطفل عن التكلم بهذا السبب .

وليس هناك **مكان للحسد ، أو الدلال ، أو عدم تكليم الأهل** للطفل في أسباب تأخر الطفل عن التكلم .

وأخيراً فإن الطفل يستطيع أن يتعلّم لغتين في وقت واحد وبسهولة إن كان كل من الوالدين يتكلم لغة مختلفة وليس هذا سبباً في تأخر تكلم الطفل .

وخلاص القول : إن الطفل الطبيعي الجيد السمع ـ لكل الأصوات ـ الذكي الذي يفهم الكلام ، لا بد وأن يتكلم ولو تأخر قليلاً فلا داعي للقلق . ولكن مهما كانت الظروف لا بد من الاستعانة بالطبيب في حال الشك بتأخر التكلم إذ قد ينصح باللجوء إلى أخصائي بتعليم التكلم ـ إن توفر وجوده ـ في حال عدم نطق الطفل بالكلمة الواضحة لما بعد السنتين من العمر .



بقلم: أندريه شديد
ترجمتها عن الفرنسية:
خديجة سليمان



من يعطيني شخصاً ينصت إليَّ

فيما مضى ، كنت صاحب مكتبة ، ثم أصابني مرض طويل أبعدني عن أي نشاط ، اليوم ، أنا وكيل لإحدى شركات المنتجات الدوائية ، وأكسب من هذا العمل ما يجعلني أعيش ، بلا زيادة ، أذهب وأجيء ، حاملاً حقيبة مليئة بالعينات .

أبداً لن تهدني الهموم تماماً ، ففي القلب ربطت زورقاً أهرب فيه دائماً من كل شيء لأشعر بالحرية من جديد .

نقطن ، **ابني وأنا** ، مدينة على حافة البحر المتوسط ، صاخبة ، مليئة بالحركة ، لامعة كاللؤلؤ بعد أمطار نادرة ولكنها غزيرة . تتصادم فيها الأصوات والألوان والأفكار ، وهذه النغمة المزدوجة تروق لي .

في الصباح الفائت ، وأنا أتجول مع حقيبتي ، عكست صورتي واجهة محل المبتكرات . لم يكن **أنطوان** مخطئاً ، فشعري كان طويلاً حقاً . قال لي برنة استنكار إلى حد ما : « **لك مظهر فنان !** » .

أنطوان ، ابني ، صبي



جاد ، مستقبله يشبه دليل المسافر ، وإمكاناته ملموسة تماماً ، لدرجة أن صاحب البنك بعد تعيينه نائباً للمدير ، قرر أن يزوّجه من ابنته . إني أتساءل عما فعلته لكي ينجح مثل هذا الابن ؟ فبينا أطوي الأيام بقدم على الأرض وذهن شارد ، يتقدم **أنطوان** دون جراح بخطوات محسوبة .

عندما كان صبياً ، كنت أمثل شيئاً بالنسبة **لأنطوان** . كانت قامتي تفرض نفسها عليه بلا شك . وكان ينقل حركاتي . كان يتسلّق ذراعي ويدعوني **« جَبَلُه »** . وبالرغم أنه لم يصل أبداً إلى طولي ، أصبح عليّ الآن أن أستدعي له صورة قصير الساقين . عندما أتكلم ، لا يستمع إليّ أبداً ، وعندما يتكلم ، أنصت إليه . فهو يرى أن الأفق يُلمس والأحاسيس تُوزن ، وما الحياة بالنسبة له سوى لعبة لا تستقيم فيها الحسابات . أما أنا فكلما عرفت أكثر ، ازددت جهلاً ، وكلما نظرت إلى الحياة ، رأيتها آمنة ، كان سيدمر أمني ، لو كان عندي أمن ! .

انطوان على حق ، فالشعر المسدل على القفا يعطي شكلاً غريباً ، قررت على الفور قصّه .

كان على ابني أن يقدمني في اليوم التالي إلى أسرة زوجته ، وكان متردداً في الإقدام على ذلك حتى الآن ، ولم أكن أرغب في مضايقته بأي طريقة . سأدخل إذن أول صالون حلاقة يقابلني .

في الداخل أربعة حلاقين ، ولا زبون واحد . حيا صاحب المحل مقدمي بصوت جهوري بهدف جذب انتباه الثلاثة الآخرين وتحريك ركودهم . وفي لحظة أحسست أني وضعت وضعاً على المقعد الدائري ، وقد غطى كتفي بفوطة بيضاء ، والتفت حول عنقي فوطة أخرى تدلت حتى صدري ، وعلى الفور أخذ المقص يقعقع .

– ترغب بالتأكيد في حلاقة جيدة .

هكذا قال صاحب المحل ، وهو رجل بدين دمث ذو شارب شمعي .

أثنى بعد ذلك على جودة نوعية شعري بقوله :

– كثير من الشباب يحسدونك عليه .

فكرت على الفور ، بأسف بالغ ، في صلع أنطوان المبكر .

– ستشرب قهوة بالطبع ؟ .

قالها بعد فترة ، في الوقت الذي عاد فيه أحد معاونيه حاملاً فنجانين ساخنين على صينية من الصفيح .

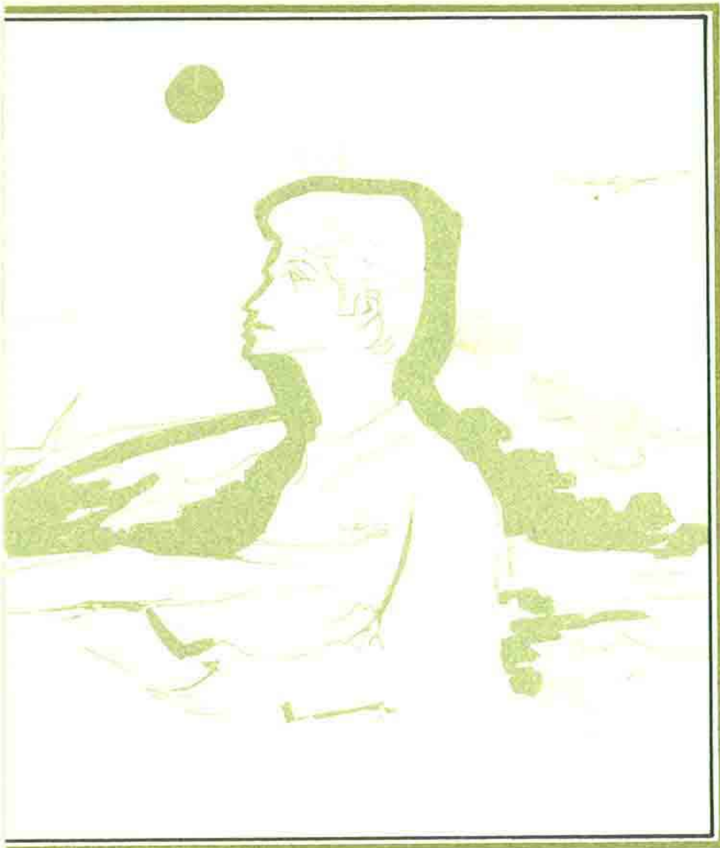
شربنا القهوة ونحن نتبادل أطراف الحديث . كان ، كما بدا ، يسافر كثيراً ، فسألته عدداً من الأسئلة أجاب عليها بسعادة غامرة ، لكن ، عندما التقط مقصه من جديد ، فهمت أنه كان في حاجة إلى الصمت . وهكذا نسيت رأسي بين يدي هذا الرجل البشوش ، وغرقت في كومة الجرائد التي وضعت بحذر على ركبتي .

انتهت الجلسة وأنا لا زلت متأثراً بما قرأت ، طفل عاملته زوجة أبيه بشراسة وحبسته على مدى أسبوع كامل في غرفة مظلمة ، نسيت النظرة التقليدية إلى المرآة وسألت :

– كم تطلب ؟ .

– ما تريد .

فالأسعار في بلادنا تختلف



تبعاً للذوق والفرصة والتوقيت ، ولما كانت لي طبيعة خجلة ، جردت نفسي بطريقة سيئة من هذه الحرية الجليلة .

ـ ولكن . .

أردف الرجل بقوله مضاعفاً ارتباكي :

ـ لا يمكن أن يحدث ذلك بيننا .

وضح ارتباكي أكثر عندما أشفق عليَّ محادثي ، وهو يسوق رقماً بدا لي غاية في التواضع ، وما كنت أجرؤ حينئذ على الإصرار . فقد تأثرت تماماً وأنا أكتشف أنني كنت الزبون الوحيد في ذلك الصباح . وعندئذ رجوته إضافة ثمن القهوة إلى الحساب لكنه غضب هذه المرة :

ـ إنك تهينني ! تدخل عندي لأول مرة ، ونتحادث كما لو كنا صديقين قديمين ومع هذا تحاسبني على ثمن قهوتي .

شكرته وكلي خجل ثم صافحته بحرارة وأنا أعده بالعودة مرة أخرى .

قال الرجل وهو يصحبني حتى العتبة :

ـ أنت هنا في بيتك .

البنك الذي يعمل به ابني كان قائماً على بعد خطوات من الحلاق ، وكانت صدفة طيبة تلك التي سمحت لي بملاقاة **أنطوان** وهو خارج .

ما إن لمحني حتى أطلق صيحة :

ـ أي رأس صنعوه لك ! يا عجوزي المسكين ، شيء مفزع ، إنك تبدو على هيئة . . . !

فهمت من منظره أن مسألة غذائي مع أسرته لم تعد قائمة ، وأن **أنطوان** أصبح مشغولا في البحث عن سبب معقول لتخلفي . وعلى هذا ، ابتعد بسرعة وهو يستدير مرة أو مرتين حتى يتأكد من أنني لا أتبعه .

أحسست بفخذي ثقيلتين . وتمنيت لو تركتاني أسقط في انتظار صبي ـ يشبه **أنطوان** في طفولته ـ يضع يده في يدي ويساعدني على الوقوف .

شخص ما كان يناديني :

ـ خذ ، نسيت هذه .

كان هو الحلاق ، الذي سعد تماماً بالعثور عليَّ ، ناولني حقيبتي . أما الضربة الودية الخفيفة التي ربت بها على كتفي بعد ذلك فقد أعادت إليَّ حركتي .

قلت له : **أنا وحدي ، هلا أردت أن نتناول معاً طعام الغذاء ؟ .**

وحددت له المقهى ـ المطعم في مواجهتنا حيث الموائد تفيض على الرصيف فوافق قائلاً :

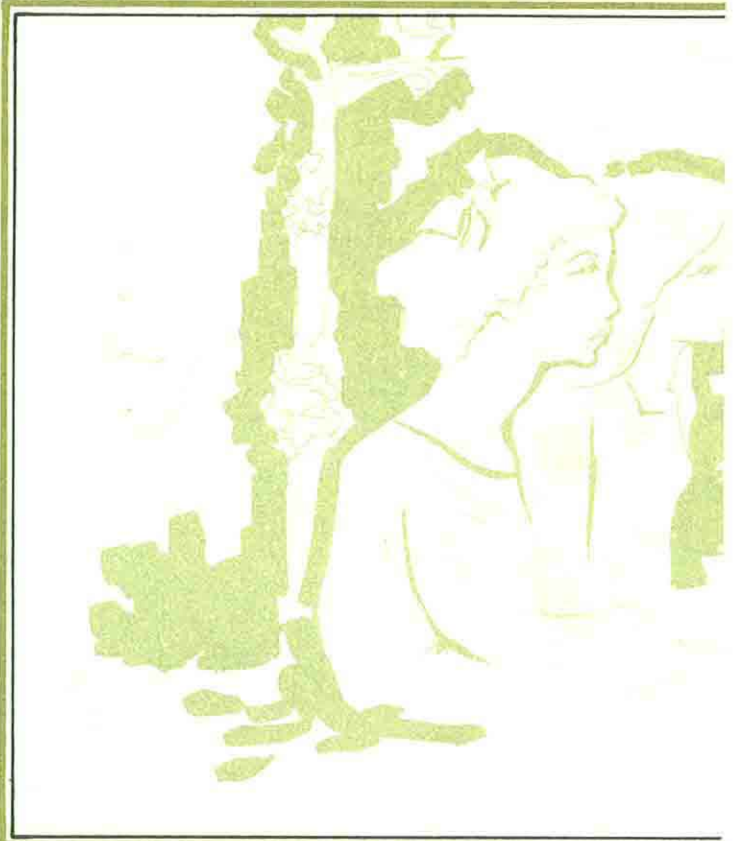
ـ الوقت الذي يستغرقه إغلاق المحل وأجيء .

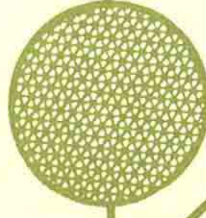
عبرت المطلع ، كنت أشعر بحرارة الجو ، فالشمس ، المزرعة فوق المدينة ، كانت تتخذ شكل جمجمتي التي لم تعد تدافع عن كتلة شعري .

ومن حيث كنت أجلس ، كنت أطل على البنك ، وأيضاً على محل صديقي الجديد .

كنت ، وأنا أنتظره ، أجيل نظري لعدة مرات من البنك إلى المحل . والزورق يرتفع بهدوء بالغ .









ناب

بقلم : غابريال غارسيا ماركيز
ترجمة : طلعت شاهين

(نـابو) كان منبـطحاً على وجهه فوق الحشائش الجافة ، متشمماً رائحة الإسطبل العالقة بالجسد ، متحسساً الجلد الأسمر اللامع والجذوة الخابية للخيول الأخيرة ، لم يكن يشعر بالجلد ، (نابو) لم يكن يشعر بأي شيء على الإطلاق . كما لو كان قد لبث نائماً منذ آخر خبطة للحدوة في الجبهة ، لم يكن أكثر من هذا الشعور بالوحدة ، جلسة مزدوجة ، كما لو كان يتخيل لأول مرة رائحة الإسطبل الرطبة والعدد الكبير من الحشرات الدقيقة الملتصقة بالحشائش ، فتح عينيه ، أعاد إغلاقهما ، واستمر ساكناً ، معتداً بنفسه ، قوياً ، كما كان طوال المساء ، حالماً خارج الزمن ، إلى أن قال أحدهم من خلف ظهره : « **هيا يا نابو ، لقد نمت كثيراً** » . استدار ولم ير الأحصنة . لكن الباب كان مغلقاً ، كان يجب على نابو أن يتخيل مكان الدواب في هذا الظلام ، بالرغم من أنه لم يكن يسمع ركلاتها الضجرة ، تخيل أن من حدثه من خارج المكان هو السائس . لأن الباب كان مغلقاً من الداخل وموصداً بالمتراس . مرة أخرى قال الصوت من خلف ظهره : « **حقيقة يا نابو ، لقد نمت كثيراً ، لقد مكثت نائماً طوال ثلاثة أيام** » . حينئذ فتح نابو عينيه عن آخرهما وأجاب : « **أنا هنا لأن الحصان ركلني** » .

لم يكن يعرف في أي ساعة يعيش ، الأيام كانت تسير للخلف ، كان كما لو أن أحداً قد مرر إسفنجة رطبة على ذلك السبت البعيد في تلك الليلة التي ذهب فيها إلى ميدان القرية ، لقد نسي القميص الأبيض ، نسي أنه يملك قبعة خضراء ، من القش الأخضر ، وبنطلوناً غامقاً ، لقد نسي أنه لم يكن يملك حذاء ، نابو كان يذهب إلى الميدان في ليالي السبت ، كان يجلس في ركن ما ، صامتاً ، لا من أجل الاستماع للموسيقى ولكن من أجل رؤية الزنجي ، كل أيام السبت يشاهد الزنجي الذي يضع على عينيه مناظير سميكة ، مربوطة إلى أذنيه ، ويعزف « **الساكسيفون** » أمام أحد المساند الخلفية ، نابو كان يرى الزنجي ، ولكن الزنجي لم يكن يشاهد نابو ، لو أن أحداً كان قد رأى نابو ذاهباً إلى الميدان في ليالي السبت ليشاهد الزنجي وسأله (**ليس الآن لأنه لا يستطيع أن يفهمه**) إن كان الزنجي قد شاهده في إحدى المرات ، لأجاب نابو بالنفي ، بعد ذلك كان هو الوحيد الذي يمشط الخيول .

في أحد أيام السبت ، الزنجي لم يكن في مكانه من الفرقة الموسيقية . في البداية كان على نابو أن يفكر بأن الزنجي يعود لعزف الألحان الشعبية ، على الرغم من وجود المسند في مكانه . ليس بالضبط من أجل هذا ، لقد تذكر أنه قد ذهب متأخراً واعتقد أن الزنجي سيعود السبت التالي . نابو استدار إلى الجانب الآخر وشاهد الرجل الذي حدثه ، في البداية لم يتعرف عليه بوضوح في ظلام الإسطبل . الرجل كان جالساً على نتوء بارز ، يحدثه وهو يضرب على ركبتيه . « **لقد ركلني حصان** » أعاد نابو قوله ، بعد أن تعرّف على الرجل . « **حقيقة** » قال الرجل : « **الخيول غير موجودة هنا ، ونحن ننتظرك في الجوقة** » ، نابو هزّ رأسه ، لم يكن قد بدأ التفكير ، لكنه تذكر أنه شاهد الرجل في مكان ما ، الرجل كان قد قال إنهم ينتظرون نابو في الجوقة ، نابو لم يفهم ، لم يتذكر أيضاً إن كان قد قال هذا أحد ما ، لأنه في تلك الأيام ، عندما



ـــو الزنـــــجي

كان يمشط الخيل ، كان يحب التسلي ببعض الأغاني ، وغنى بعد ذلك ليسلي الطفلة الخرساء ، بنفس الأغاني التي يمشط بها الخيل ، لكن الطفلة الصغيرة كانت في عالم آخر ، في عالم الدهليز ، جالسة بعيون معلقة على الحائط . عندما غنى نابو ، لو أن أحدهم كان قد قال إنه سينضم إلى الجوقة قد لا يندهش ، الآن اندهش قليلاً لأنه لم يفهم ، كان متعباً ، مخدراً ، متوحشاً . قال : « **أريد أن أعرف أن الخيل . .** » قاطعه الرجل : « لقد قلت لك إن الخيل غير موجودة هنا ، فقط تشوقنا وصول صوت مثل صوتك » . **لو هبط فم فوق الحشائش ، لسمع نابو ، لكن الألم الذي تركته الحدوة في جبهته لم تجعله يغرق بين هذه الانطباعات السيئة ، أعاد رأسه إلى القش ومكث نائماً .**

على الرغم من غياب الزنجي عن الجوقة ، إلا أن نابو ذهب مرتين أو ثلاث إلى الميدان ، لعل أحداً يجيبه عن سؤاله عما حدث للزنجي ، لكن نابو لم يسأل ، واصل حضور الألحان إلى أن حضر رجل آخر معه « **ساكسيفون** » ليشغل مكان الزنجي ، حينئذ أقنع نابو نفسه بأن الزنجي لن يعود ، بعد ذلك انصرف ولم يعد إلى الميدان ، عندما استيقظ اعتقد أنه نام برهة قصيرة ، فما زالت حدة الحشائش الرطبة في أنفه ، ما زال الظلام مستمراً أمام عينيه ، حوله ، لكن الرجل ما زال في الركن ، الرجل يواصل الخبط على ساقيه ، قال بصوت هادئ وغامض : « **نحن ننتظرك يا نابو ، أنت تنام عامين ولا تريد أن تستيقظ** » . أعاد نابو إغلاق عينيه ، ثم فتحهما ، مواصلاً النظر نحو الركن ، ورأى الرجل مرة أخرى ، تائهاً ، حائراً ، بعد ذلك تعرّف عليه .

عندما عرف أصحاب المنزل ما فعله نابو في الميدان ليالي السبت ، فكروا أن ما قاله عن ذهابه قد فعله لأنه الآن يملك موسيقى في المنزل . حدث هذا عندما اشترينا « **الجرامفون** » لتسلية الطفلة الصغيرة . وعندما كانت في حاجة إلى شخص يحرسها طوال اليوم تقريباً . اعتقدنا أن هذا الشخص هو نابو . لقد استطاع أن يقضي معها وقتاً عندما لا يكون منتبهاً للخيول . الصغيرة استمرت جالسة تستمع الألحان الموسيقية . في مرات عديدة عندما كانت الموسيقى مسموعة ، كانت الصغيرة تهبط من مكمنها . مع أنها تظل ناظرة للحائط ، سائلة اللعاب ، زاحفة حتى حجرة الطعام ، نابو يرفع إبرة الجهاز ويبدأ في الغناء . في البداية ، عندما جاء إلى المنزل وسألناه عن عمله ، قال إنه يعرف الغناء ، لكن هذا لم يجبه أحد . لأننا كنا في حاجة إلى صبي يمشط الخيول . نابو لبث هادئاً ، لكنه واصل الغناء ، كما لو كنا قد قبلناه من أجل الغناء . أما تمشيط الخيول ، لم يكن خارج هذه التسلية ، التي يقوم بها ، كان يؤديه برغبة حادة . استمر أكثر من عام ، حتى إننا تعودنا على فكرة أن الصغيرة لا تستطيع السير ، ولا التعرف على أحد ، تركنا الصغيرة كأنها ميتة ، وحدها تستمع « **الجرامفون** » ناظرة للحائط بلا اهتمام ، حتى رفعناها من مكانها ، وقدناها إلى الغرفة ، لقد تركت ما آلمنا ، لكن نابو واصل وفاءه ، مراعياً المواعيد ، منتبهاً للجرامفون . هذا كان في الأيام التي لم يكن قد ترك فيها الذهاب إلى الميدان ليالي السبت . في يوم ما ، عندما كان الصبي في الإسطبل ، كنا في الدهليز ، أحد ما قال مع الجرامفون « **نابو** » ، لم نهتم بمن قال هذا ، لكن عندما سمعنا للمرة الثانية « **نابو** » ، رفعنا رؤوسنا وسألنا : « **من يكون مع الصغيرة** » . أحدنا قال : « **لم أشاهد أحداً يدخل** » . قال آخر : « **أنا متأكد بأنني سمعت صوتاً ما قال « نابو »** » . ولكن عندما ذهبنا لاستطلاع الأمر لم نجد سوى الصغيرة على الأرض ، منحنية أمام الحائط .

نابو عاد مبكراً واضطجع ، بعد السبت الذي ذهب فيه الزنجي وثلاثة أسابيع بعده ، في يوم اثنين ، بدأ الجرامفون في الغناء بينما كان نابو في الإسطبل ، لم يهتم أحد بهذا في البداية ، لكن بعد ذلك ،





شاهدنا الزنجي الصغير عائداً، يغني وهو يصب الماء للخيول، قلنا له: «**من أين أتيت؟**» قال: «**من الباب. كنت في الإسطبل منذ منتصف النهار**». قلنا له: «**الجرامفون يغني، ألا تسمعه؟**». قال نابو إنه يسمعه. سألناه عن الذي أدار الزنبرك؟. هزّ كتفيه: «**الصغيرة منذ فترة هي التي تدير الزنبرك**».

هكذا كانت تمر الأشياء إلى اليوم الذي وجدنا فيه محكات ولوح للكتابة في قش الإسطبل، مع حافة حدوة مرصعة من الأمام، وجدنا نابو، رفعناه من كتفيه، فقال: «**أنا هنا لأنه ركلني حصان**». لكن أحداً لم يهتم للذي استطاع قوله، اهتممنا بالعيون الباردة الميتة، والفم المليء بالرغاوي الخضراء، لقد أمضى الليلة باكياً، محترقاً بالحمى، يهذي، متحدثاً عن المشط الذي فقده في قش الإسطبل. هذا كان اليوم الأول، في اليوم التالي عندما فتح عينيه قال: «**أنا عطشان**». أحضرنا له الماء فشربه كله في جرعة واحدة، طلب أكثر من مرتين، سألناه ماذا يشعر. قال: «**أشعر كما لو ركلني حصان**». واصل الكلام طوال اليوم وطول الليل. وفي النهاية جلس في السرير، مشيراً إلى أعلى، بإصبع السبابة، وقال إن ركلة الحصان لم تدعه ينام طوال الليلة. منذ أمس لم يعد يشعر بالحمى، لكنه واصل الكلام حتى عندما وضعوا في فمه منديلاً. بدأ الغناء من خلف المنديل، قائلاً إنه سمع بأذنه، تنفس الخيول باحثة عن الماء من أعلى الباب المغلق. عندما أخرجنا المنديل لنطعمه شيئاً، استدار نحو الحائط، وكنا نعتقد أنه نام، وقد يكون مناسباً له أن ينام قليلاً. لكن عندما استيقظ لم يكن في السرير، كانت أقدامه ويديه مقيّدة ومربوطاً في ركن الغرفة، وكان نابو يغني.

عندما تعرّف نابو على الرجل قال له: «**أنا لم أشاهدك من قبل**». قال الرجل: «**أنت كنت تشاهدني أيام السبت في الميدان**». وقال نابو: «**حقيقة!، ولكن اعتقدت أنني شاهدت حضرتك، وحضرتك لم تشاهدني**». قال الرجل: «**لم أشاهدك أبداً، لكن بعد ذلك، عندما انقطعت عن الذهاب، شعرت كما لو أن أحداً قد انقطع عن مشاهدتي أيام السبت**». قال نابو: «**حضرتك لم تعد بعد ذلك لكني واصلت الذهاب حوالي ثلاثة أو أربعة أسابيع**». ظل الرجل بدون أن يتحرك ضارباً على ركبتيه: «**أنا لا أستطيع العودة إلى الميدان، على الرغم من أنه القيمة الوحيدة التي خسرتها**». نابو تعب من المناقشة، هز رأسه على قش الإسطبل، وواصل سماع الصوت البارد، المصر، لم يكن هنالك وقت ولا حتى لمعرفة أنه كان نائماً في ثبات عميق مرة ثانية. دائماً يحدث له هذا منذ أن ركله الحصان. ودائماً يسمع الصوت: «**نحن ننتظرك يا نابو، ألا توجد طريقة أخرى لقياس الزمن مثل حملك على النوم**».

أربعة أسابيع مرت منذ أن ترك الزنجي الفرقة الموسيقية. نابو كان يمشط ذيل أحد الخيول. لم يكن يفعل ذلك من قبل. ببساطة كان يمشطها وهو يغني أثناء ذلك كثيراً، لكن يوم الأربعاء ذهب إلى السوق وشاهد مشطاً، قال: «**هذا المشط يصلح لتمشيط ذيول الخيل**». بعد ذلك كان حادث الحصان الذي ركله وتركه مخبولاً بقية حياته، عشرة أو خمسة عشر عاماً. شخص ما بالمنزل قال: «**كان من المفضل أن يموت في ذلك اليوم ولا يظل هكذا، لا دواء له، يهذي بقية حياته**». لكن لم يعد أحد لمشاهدته منذ اليوم الذي حُبس فيه. فقط نعرف أنه هناك، محبوس في الغرفة، ومنذ ذلك اليوم لم تعد الصغيرة تدير الجرامفون. لكن في البيت كان لدينا اهتمام به. حبسناه كما لو كان حصاناً، كما لو كانت الركلة قد أدت به إلى البلادة، ووضعت في صدره كل غباء الخيول، الحيوانية. وتركناه معزولاً بين أربعة جدران، كما لو كنا قد عزمنا على دفعه إلى الموت حبساً، لم نكن لدينا برودة دماء كافية لقتله بطريقة أخرى. هكذا مرّت أربعة عشر عاماً، إلى أن كبر أحد الصغار وقال إن لديه شوقاً لرؤية وجه نابو، وفتح الباب.

نابو عاد للنظر نحو الرجل وقال: «**ركلني حصان**». قال الرجل: «**منذ قرن وأنت تقول هذا، وأثناء هذا كله نحن ننتظرك في الجوقة**». عاد نابو يهزّ رأسه، أغرق جبهته في القش، اعتقد أنه تذكر، مبكراً، كيف حدثت الأشياء، قال: «**كانت تلك المرة الأولى التي مشطت فيها ذيل حصان**». قال الرجل: «**نحن أردنا هذا، لإعادتك للغناء في الجوقة**». وقال نابو: «**ما كان يجب شراء المشط**». قال الرجل: «**على أي حال أنت وجدته، نحن عرفنا أنك ستجد المشط وأنك ستمشط ذيل الحصان**».

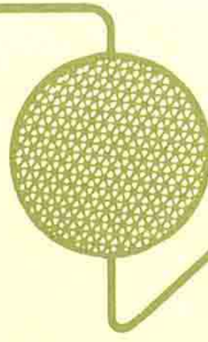


فقال نابو : «**لم أقف أبداً في الخلف**» . والرجل ما زال هادئاً ، غير بادئ الضجر : «**لكنك وقفت والحصان ركلك ، كانت هذه الطريقة الوحيدة لكي تنضم للجوقة**» . والحديث لا يهدأ ، يومي ، متواصل ، إلى أن يأتي شخص من المنزل ليقول : «نحو خمسة عشر عاماً لم يقم أحد بفتح هذا الباب» . الصغيرة (**لم تكن قد كبرت ، ثلاثون عاماً مرت ، وبدأ الحزن في الجفون**) كانت جالسة ، ناظرة للحائط ، عندما فتحوا الباب . هي أدارت وجهها . متشممة نحو الجانب الآخر . وعندما أغلقوا الباب ، عادوا يقولون : «**نابو أصبح هادئاً ، لم يعد يتحرك في الداخل . في يوم ما من هذه الأيام سيموت ، ولن نعرف إلا من الرائحة**» . شخص ما قال : «**سنعرفه بالطعام ، لن يترك الطعام أبداً ، هكذا حسن ، لنغلق عليه ، بدون أن يضايقه أحد ، من الجانب الخلفي يدخل الضوء جيداً**» .

والأشياء الباقية من هذا النوع ، الصغيرة فقط واصلت النظر نحو الباب ، متشممة البخار الذي يتسلل من أحد الشقوق ، ظلت هكذا حتى الفجر ، عندما سمعنا ضجة لصوت معدني في الدهليز . وتذكرنا أنها نفس الضجة التي حدثت منذ خمسة عشر عاماً مضت ، عندما كان نابو يهتم بالجرامفون ، نهضنا ، أضأنا اللمبة وسمعنا أنغام الأغنية المنسية ، الأغنية الحزينة التي كانت قد ماتت في الأسطوانات منذ زمن بعيد . الضجة كانت متواصلة ، في كل مرة بصوت أعلى ، إلى أن سُمعت ضربة حادة ، في اللحظة التي وصلنا فيها إلى الدهليز ، وشعرنا أن الأسطوانة ما زالت تواصل الغناء فشاهدنا الصغيرة في الركن مع الجرامفون ، ناظرة إلى الحائط وفي يدها ذراع التشغيل مرفوعة ، منزوعة من الصندوق الصوتي . لم نتحرك . الصغيرة ظلت هناك ولم تتحرك ، ظلت هادئة ، متصلبة ، ناظرة إلى الحائط رافعة الذراع . نحن لم ننطق بشيء ، ولم نعد إلى الغرفة ، تذكرنا أن شخصاً ما كان قد قال لنا إن الصغيرة تجيد إدارة زنبرك الجرامفون . فكرنا أن نبقى ساهرين ، نستمع للموسيقى المستهلكة من الأسطوانة التي واصلت الدوران بشطط الذراع المكسورة .

عندما فتحوا الباب في اليوم السابق ، شاعت رائحة فضلات حية من الداخل ، لجسد ميت . الذي فتح الباب صرخ : «**نابو !؟ ، نابو ؟**» . لكن لم يجبه أحد من الداخل . وتحت عقب الباب ، كان الطبق فارغاً ، ثلاث مرات في اليوم يدفع الطبق من تحت عقب الباب ، وثلاث مرات في اليوم يعود الطبق فارغاً ، لهذا كنا نعرف أن نابو ما زال حياً ، لا شيء أكثر من هذا .





لا توجد حركة في الداخل، ولا غناء. هذا ما كان يجب أن يحدث بعد أن أغلقوا الباب، عندما قال نابو للرجل: **«لا أستطيع الذهاب إلى الجوقة»**. سأله الرجل لماذا؟، قال نابو: **«ليس لدي حذاء»**. رفع الرجل قدميه وقال: **«هذا ليس بذي أهمية، لا أحد هنا يستخدم الأحذية»**. شاهد نابو باطن قدمي الرجل الصفراوين والمتحجرتين، مرفوعة: **«منذ زمن بعيد وأنا هنا»**. قال نابو: **«منذ دقيقة فقط ركلني حصان، سأضع قليلاً من الماء على رأسه وسأدفعه للتنزه قليلاً»**. قال الرجل: **«الخيول ليست في حاجة إليك، الخيول غير موجودة الآن، أنت الذي يجب أن يأتي معنا»**. قال نابو: **«الخيول يجب أن تكون هنا»**. انتصب قليلاً، دفن يديه في القش بينما قال الرجل: **«منذ خمسة عشر عاماً ولا تجد من يحرسها!!»**. لكن نابو خدش الأرض من تحت القش قائلاً: **«يجب أن يكون المشط هنا»**. قال الرجل: **«الإسطبل مغلق منذ خمسة عشر عاماً. لقد أصبح مليئاً بالحطام»**. قال نابو: **«لا توجد حطام يمكن أن تتكون في يوم واحد. لن أتحرك من هنا حتى أجد المشط»**.

في اليوم التالي، بعد أن عادوا للتأكد من إغلاق الباب، عادوا بعد سماع حركة عسيرة في الداخل، لم يتحرك بعد أحد، وذهلوا عندما سمعوا أصوات الصرير الأولى للباب الذي بدأ في الانهيار، مدفوعاً بقوة هائلة، سمعت من الداخل أصوات نحيب حيوان محاصر، في النهاية سُمعت طقطقة مفصلات الباب الصدئة تتحطم، عندما عاد نابو يهز رأسه قائلاً: **«ما لم أجد المشط، لن أذهب إلى الجوقة، يجب أن أظل هنا»**. وحفر في القش، مزّقه، مخططاً على الأرض، إلى أن



قال الرجل: **«هذا شيء حسن، يا نابو، إذا كان الشيء الوحيد الذي تنتظره للعودة إلى الجوقة هو المشط، هيا ابحث عنه»**. مال نحو الاعتداد بالنفس، مستنداً بيديه على السياج وقال: **«هيا، يا نابو أنا أعتقد أن أحداً لن يستطيع إيقافك»**.

ثم بعد ذلك انهار الباب، والرفض الحيواني الهائل، بالجرح الخشن المطبوع على الجبهة، **(على الرغم من مضي خمسة عشر عاماً)** هبط متعجلاً، قافزاً على الأثاث، متعثراً في الأشياء، متوعداً بقبضتيه المرفوعتين، اللتين تحملان ذراع الجرامفون المربوطة منذ خمسة عشر عاماً مضت، **(عندما كان صبياً أسود يحرس الخيول)** صارخاً في الممرات، ثم اندفع مع الرجل، كالعاصفة المدمرة **(قبل أن يصل إلى الفناء)** والصغيرة، التي بقيت جالسة، وذراع الجرامفون في يدها منذ الليلة السابقة **(هي عندما شاهدت القوة السوداء محررة من السلاسل، تذكرت شيئاً يمكن أن يكون كلمة واحدة)** وصل إلى الفناء **(قبل أن يجد الإسطبل)** ثم شوهد حاملاً مع الرجل مرآة الدهليز، لكنه لم يشاهد الطفلة الصغيرة، ولا مجموعة الجرامفون، ولا المرآة، كان نقياً كوجه الشمس، وبعيون مغلقة عمياء **(بينما لا يزال في الداخل صخب المرايا المحطمة)** اندفع بلا هدف كالحصان المباع، باحثاً بالغريزة عن باب الإسطبل الذي أغلق منذ خمسة عشر عاماً ومحّى من ذاكرته، لكن لم يمح من غريزته **(منذ ذلك اليوم البعيد الذي مشط فيه ذيل الحصان ولبث مخبولا بقية حياته)** تاركاً وراءه الفاجعة، التفسخ، التشوش، مثل ثور معصوب العينين في حجرة مليئة بالأضواء، إلى أن وصل إلى الفناء الخلفي **(لم يجد الإسطبل بعد)** وحفر الأرض بنفس الهياج الذي حمل به المرآة، وربما فكر أن حفر القش سيعيده مزروعاً من جديد، برائحة بول الفرس، قبل أن يصل تماماً إلى باب الإسطبل **(الآن أكثر قوة من قوته المضطربة)** دفع الباب وسقط في الداخل على وجهه، ربما كان يحتضر، لكنه ما زال مكسواً بهذه الوحشية الحيوانية التي كانت منذ نصف ثانية لا تصل لسمع الطفلة التي رفعت ذراع الجرامفون، وعندما شاهدته يمر، تذكرت اللعاب، لكن بلا حركة من مكانها، ساكنة الفم، ولم تحرك ذراع الجرامفون في الهواء، تذكرت الكلمة الوحيدة التي تعلمت قولها في حياتها، وصرخت من الدهليز: **«نابو!! نابو!!»**.



البخلاء
«للجاحظ»

حقق نصه وعلّق عليه:
د. طه الحاجري

عرض وتقديم: فؤاد نصر الدين حسين


★ علي الجارم ★


★ الجاحظ ★


★ الكندي ★


★ أبو نؤاس ★

تصدير

يصدر المحقق الأستاذ طه الحاجري الكتاب بتصدير يقول فيه :

في ختام القرن التاسع عشر (سنة ١٩٠٠م) أصدرت دار برل C. J. Brill بلندن «كتاب البخلاء» لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. وقد عني بنشره وتحقيق نصه العلامة المستشرق فان فلوتن C. Van Vloten ، وأهداه إلى شيخ المستشرقين في عصره العلامة الكبير نولدكه Th. Noldeke .

وقد أسدى فان فلوتن ـ بنشره هذا الأثر ـ إلى الأدب العربي منة لا تكاد تقدر، وأضاف يدأ جديدة لا يسعنا إلا أن نذكرها تقديراً وشكراً، مهما دخل هذه النشرة من أسباب النقص ومظاهره، فأكبر الظن أنه لولا عناية ذلك المستشرق «بكتاب البخلاء» لظل حيناً من الدهر حبيساً حيث كانت مخطوطته مودعة، وظل الجاحظ مختفياً عن قراء العربية بأمثل آثاره الفنية، وأجدرها بتمثيل قيمته الأدبية، وحرمت نهضتنا الأدبية في ذلك الوقت هذه الصورة الرائعة من صور الأدب القديم الخالد.

نشر **فان فلوتن** هذا الأثر عن المخطوطة الوحيدة التي وفق إليها، فأثار نشره لها كثيراً من آيات التقدير والإعجاب في دوائر المستشرقين، وقد رأوا فيه لوناً جديداً من ألوان الأدب العربي، واتجاهاً فريداً بين اتجاهاته، ولم تكد تمضي على ظهوره بضعة أشهر حتى كتب **العلامة الكبير نولدكه** فصلاً عنه في Literalixhes Sentralb-latt (سنة ١٩٠٠م، ص ١٩٨٨م) يعرف به ويشيد بقيمته.



وقد تمنى في هذا الفصل لو أن أحد المستشرقين انتدب له يوماً ما فترجمه إلى إحدى اللغات الأوروبية[1].

ولم تكد هذه النشرة التي نشرها **فلوتن** تصل إلى **مصر** حتى تلقفها أحد أولئك الذين يتجرون بنشر الكتب وهو الحاج **محمد الساسي المغربي**، فقذف بها إلى المطبعة (سنة ١٣٢٣ هـ ـ ١٩٠٥ م) دون أن يتكلف شيئاً من أوليات ما ينبغي في نشر الكتب، فلم يحاول مراجعة المخطوطة (وقريب منه في دار الكتب المصرية، في مجموعة كتب **الشنقيطي** نسخة من مخطوطة عن مخطوطة **كبريلي** التي صدر عنها **فان فلوتن**) بل ولا ملاحظة القراءات التي أثبتها **فلوتن** في هوامش الصفحات أو الملاحظات والإيضاحات التي ذيل بها نشرته، وهي ملاحظات لها قيمتها بل لم يكلف نفسه الإشارة إلى النشرة التي طبع عنها، **وبذلك جاءت هذه الطبعة المصرية الأولى صورة مشوهة من النشرة الأوروبية**.

على أنه يسرنا أن نشير هنا إلى أن **وزارة المعارف المصرية** قد تنبهت إلى شيء من واجبها فعهدت **بكتاب البخلاء** إلى عالمين من علمائها هما الأستاذان **أحمد العوامري بك، وعلي الجارم بك**، فأظهراه في نشرة يبدو فيها أثر الجهد ومظهر القصد إلى التحقيق. ولكن الطابع الأول لهذه النشرة أنها نشرة مدرسية.. فهاتان الطبعتان المصريتان تتفقان في أنهما اتخذتا من نشرة **فان فلوتن** الأصل الوحيد لهما. وكذلك الأمر في الطبعة التي طبعت بعد ذلك في **دمشق** وإن كانت تمتاز عنها بمراجعة آراء بعض العلماء في مواضع من النص، وقد عقب على هذه الطبعة الأستاذ **داود الحلبي** في سلسلة مقالات نشرها بالمجلد العشرين من **مجلة المجمع العربي بدمشق**.

ثم يقول الأستاذ **طه الحاجري** في نهاية تصديره:

«**وقد اعتمدنا في هذه النشرة على طائفتين من المصادر مباشرة وغير مباشرة**. أما الأولى فتتألف من المخطوطة التي اعتمد عليها **فان فلوتن** في نشرته وهي المخطوطة المحفوظة في **مكتبة كبريلي**، ومخطوطة أتيحت لنا في **مكتبة باريس الأهلية**. وأما الأخرى فتتألف من الكتب المختلفة التي رجعنا إليها في تخريج الآثار والشواهد التي ضمنها الجاحظ كتابه. ثم الكتب التي تضمنت بعض المقتبسات من كتاب البخلاء».

١ ـ مقدمة

ثم تأتي المقدمة التي يتحدث فيها المحقق عن **الجاحظ**، والنزعة الفنية عند **الجاحظ**، ومكانها من نزعاته الأخرى، «**وكتاب البخلاء**»: أصل وضعه، تاريخه، أسلوبه التأليفي، الوضع الفني عند **الجاحظ**. أبرز الخصائص الفنية في **كتاب البخلاء**: الوصف، السخرية.

النزعة الفنية عند الجاحظ

كان الجاحظ إماماً من أئمة الكلام وزعيماً من زعماء المعتزلة. وصاحب نحلة من نحلهم. وكان عالماً محيطاً بمعارف عصره لا يكاد يفوته شيء منها.. واسع الرواية، دقيق المعرفة، قوي الملكة في نقد الآثار وتمييزها. ولكنه كان فوق كل هذا كاتباً أديباً بكل ما تتضمنه هذه الصفة من رهافة الحس وخصوبة في الخيال وقوة في الملاحظة، ودقة في الإدراك وقدرة على التغلغل في دقائق الموجودات، واستشفاف الحركات النفسية المختلفة، وتمكن من العبارة الحية النابضة والتصوير الكاشف البارع الذي يبرز الصورة بشتى ملامحها وظلالها في بساطة ودقة وجمال.

«**وكتاب البخلاء» الذي نقدمه هو أكبر الآثار التي أبقت الأيام عليها من ميراث الجاحظ الأدبي الخالص**. ومن ذلك كانت تلك الصفة الأخيرة هي موضوع الكلام في هذا الفصل، ولست أحسبني مغالياً في شيء إذا ذهبت إلى القول بأنها كانت أقوى صفات الجاحظ التي قدمنا ذكرها وأغلبها عليه في جميع آثاره.

ولقد يكون مرجع ذلك ـ في بعض أمره ـ إلى طبيعة الفن الجميل من شدة لصوقه بالنفس وتأثيره في الوجدان، وقدرته على مغالبة تقلبات الرأي ومذاهب الحياة، ولكنه يرجع ـ في أكثر أمره ـ إلى قوة المزاج الفني وغلبة النزعة الفنية عند **الجاحظ** حتى ليمكننا القول في غير تحرج بأن تلك القوة هي التي رفعت من شأنه بين المتكلمين من المعتزلة فجعلته علماً من أعلامهم وإماماً من أئمتهم.

٢ ـ أصل الكتاب ووضعه

ويتساءل المحقق قائلاً:

وبعد فما الذي لفت الجاحظ إلى موضوع البخلاء يصطنعه كتاباً وهل كان مبتدعاً فيه أم سبقه السابقون من كتّاب العربية إليه؟.

أما أنه ابتدع الكتابة في هذا الموضوع ابتداعاً فلا، فابن النديم في «الفهرست» والجاحظ نفسه في «كتاب البخلاء»، يشيران إلى أن له في هذا الموضوع أسلافاً من أمثال **الأصمعي وأبي الحسن المدائني وأبي عبيدة**، ولكن الأمر مختلف بين الجاحظ وبينهم.

ونحن في هذا الفصل نحاول أن نحدد الألوان المختلفة والنزعات التي كانت تسود هذا النوع من الكتابة.

كانت أحاديث البخل وأخبار البخلاء تسير في طريقين وتتجه إلى غايتين. وفي أحد الطريقين **يقوم دعاة الشعوبية فيردون على العرب فخرهم التقليدي، بالكرم ويقولون إن أكثر هذا الفخر كلام لا يفي به الفعل، ونوع من النفج لا حقيقة له في الواقع**. وفي سبيل ذلك يذهبون يتلقطون من هنا وهنا أخبارهم مما يتعلق بمآكلهم الغثة ومطاعمهم الكريهة وهيئة معيشتهم الخشنة إلى غير ذلك مما هو من لوازم البداوة، ليغضوا بذلك من قدرهم في نظر جمهور الناس ويحيطوهم في أخيلتهم بجو من الضعة والمهانة، وليقولوا لهم: أنى تكون مع هذه الحياة الدنيئة التي يحيونها كل تلك الدعاوى العريضة التي يتشدق بها الشعراء ويتغنى بها أنصار العربية المنافحون عنها. كما وجدوا في باب الهجاء عند شعراء العرب مادة موفورة يصدرون عنها والهجاء قائم على التجني.. والعرب إذا وجدت رجلاً من القبيلة قد أتى قبيحاً ألزمت ذلك القبيلة كلها كما يقول **الجاحظ**.

وفي الطريق الأخرى، يقوم دعاة الدولة القائمة ومن وضعوا أنفسهم في خدمة السلطان ومسايرته في سبيله من العلماء وأهل الأدب، ومن هؤلاء من ينصر الدعوة العربية ويتعصب لها **كالأصمعي**، ومنهم من هو أميل إلى الشعوبية **كالمدائني**. وليست الدعوة للدولة ببعيدة عن الدعوة للشعوبية فبينهما وشائج واصلة وإن كانت قد اتخذت لوناً خاصاً بها.

ولقد كانت الدولة العباسية تشعر منذ قامت على أنقاض الأمويين بالحاجة إلى التمكين لنفسها والتخلص من هذه الأشباح الدموية التي كانت تتخايل لها، ببث الدعوة ضد هؤلاء الذين كانوا

ما يزالون يمثلون في كثير من الأذهان طائفة من المزايا والفضائل لا بد للدولة من محاولة محقها باصطناع ضروب مختلفة من الدعاية إلى جانب ما كانت تصطنعه من **أخذ الأمويين وأنصارهم بالقوة وتحريم الإشادة بذكرهم**، فكان من مظاهر هذا الموقف الذي اتخذته ضد الأمويين أن يوحى إلى العلماء والكتّاب بكتابة الكتب وإذاعة الرسائل، إشادة بمآثر الدولة القائمة، وتمجيد **العباس بن عبد المطلب**، وتفضيل **هاشم علي عبد شمس** إلى غير ذلك من الموضوعات التي تحقق ذلك الغرض من التماس شنع الأمويين وتصنيف الكتب فيها.

ولعل من أقرب الشنع تأثيراً في نفوس الجماهير ما يتعلق منها بالمطاعم بين الشره الذي تتقزز منه الحضارة والبخل الذي تنفر منه الإنسانية، وهما يتجاوزان كثيراً في حديث البخلاء.

وهكذا نجد أن **معاوية** كان **«نهماً شحيحاً على الطعام.. كان يأكل كل يوم خمس أكلات آخرهن أغلظهن ثم يقول: يا غلام ارفع فوالله ما شبعت ولكن مللت، وأنه أصلح على عجل مشوي فأكل معه دستاً من الخبز السميد وأربع خرافي وجدياً حاراً وآخر بارداً سوى الألوان، ووضع بين يديه رطلاً من الباقلا الرطب فأتى عليه»**.

وعبد الملك بن مروان كان يلقب **«برشح الحجر ولبن الطير»** لبخله. وكذلك كان **هشام بن عبد الملك** فيما يذكرون كان بخيلاً شديد البخل كما يقول **ابن الطقطقي**.

وذكر **الجاحظ** أنه دخل حائطاً له فيه فاكهة وأشجار وثمار فجعلوا يأكلون ويدعون بالبركة. فقال: هشام: يا غلام اقلع هذا واغرس مكانه الزيتون. وكذلك كان عمال العصر الأموي ووجوهه **كخالد بن عبد الله القسري، وخالد بن صفوان المنقري، والمغيرة بن عبد الله الثقفي، وزياد الحارثي، وبلال بن الجابردة، والحكم بن أيوب الثقفي** ومن إليهم موضع التندر بالبخل والشره من **الأصمعي والمدائني وأبي عبيدة**.

وقد أورد الجاحظ من هذه الأخبار مسندة إليهم وهي مقصورة على العصر الأموي. هذان هما الاتجاهان البارزان في الحديث عن البخل وإقحامه في باب الكتابة والتأليف، ولا ريب أنه كانت هناك اتجاهات أخرى يتجه إليها هذا الحديث ويصطبغ بألوانها في البيئات الأدبية في ذلك العصر كبعض الأغراض الشخصية التي تثير أصحابها الرغبة إليه وتشعر نفوسهم الحاجة إلى اصطناعه.

ومهما يكن من أمر فهاهم أولاء أسلاف **الجاحظ** في الكتابة عن البخل والبخلاء، وهاهوذا أسلوبهم في تناول ذلك الموضوع. ومهما تكن حقيقة الحوافز إليه فقد كانت كتابتهم فيه إخبارية لا فنية، تعرض صوراً من الحياة الماضية دون الحياة الحاضرة، ولكنه مع ذلك كان ـ فيما نحسب ـ موضوعاً لفت **الجاحظ** إليه ونبّه نزعته الفنية إلى اقتحامه والإبداع فيه فكان هذا الكتاب: **«كتاب البخلاء»**.

والواقع أن مرجع الأمر في هذا الكتاب إلى نزعة **الجاحظ** الفنية وحدها، فهي حافزته إليه وباعثته فيه وصاحبة الأمر في تصريفه وتلوينه. وإن كان الأستاذان **أحمد العوامري وعلي الجارم** يغمزان في الفصل الذي كتباه عنه بأنه إنما يصدر في هذه البراعة التي يمتاز فيها الوصف **«البخل»** وفيما يلقي على ألسنة هذا وذاك من البخلاء من عبارات الإيثار له والمحاجة عنه عن أنه **كان هو نفسه بخيلاً، وبذلك استطاع أن يلقنهم الحجج على حسن التصرف بادخار المال، وأنه الحزم بعينه والتدبير الذي هو عماد الحياة المتزنة الفاضلة**، ولأن الولوع بالشيء يحبب إلى النفس التحدث عنه والإفاضة فيه، ولأن من عرف الجاحظ، وأن من أبرع صفاته أن يستر ما يحب أحياناً بإعلان ما لا يحب **رجح أنه كان بخيلاً**.

والناظر في «كتاب البخلاء» يرى أن معظم الشخصيات التي رسمها الجاحظ فيه هم من طبقة التجار حتى ليمكن القول بأنه يعتبر من جوانبه تصويراً لها ووصفاً لبعض ألوان حياتها. ولا ريب أن لنشأة **الجاحظ في البصرة** حيث تكثر هذه الطبقة (التجار) وتحتل فيها مكاناً ظاهراً واتصاله على نحو ما ببيئاتها مما كان له أثره في اتجاهه إلى تصويرها.

٣ ـ تاريخ كتاب البخلاء

دعنا الآن نتبين قدر المستطاع الوقت الذي وضع فيه «كتاب البخلاء». وليس لدينا نص قاطع نستطيع أن نتعرف به ذلك التاريخ على وجه يقيني أو أدنى إلى اليقين.. وأكبر الظن عندنا أنه كتبه قبل وفاته بشهور.. ولقد مات الجاحظ سنة ٢٥٥ هـ.

٤ ـ أسلوب الجاحظ التأليفي

أما الأسلوب التأليفي **«لكتاب البخلاء»** فيتلخص فيما وصفه به مؤلفه من أنه في **«نوادر البخلاء واحتجاج الأشحاء وما يجوز من ذلك في باب الهزل وما يجوز في باب الجد»**.

فعلى هذا بنى الكتاب كله إلا ما ذيله به من حديث العرب والأعراب، فهو بين أحاديث يسوقها على لسان بعض من عرفوا بالبخل من معاصريه **كسهل بن هارون، والحرامي، والحارثي، والكندي، والثوري، وابن أبي المؤمل، وابن التوأم، والأصمعي** يحتجون لمذهبهم في الاقتصاد في النفقة والتثمير للمال، أو مذهب **«الجمع والمنع»** كما يحلو **للجاحظ** أحياناً أن يذكره بهذا الوصف ويدافعون عنه ما ينبز به. فيأخذ **الجاحظ** في إيراد هذه الحجج مذاهب مختلفة، فهو يسوقها مرة بمساق الجد والسخرية تترقرق في خلالها، ويعرضها أخرى في معرض السخرية الصريحة والتهزؤ المكشوف، وهو في ذلك كله يحكي حركاتهم النفسية حكاية دقيقة. ويعرض ما تورده خواطرهم أسبابهم المختلفة التي تحكمهم من بواطنهم عرضاً رائعاً.

٥ ـ الوضع الفني عند الجاحظ

كان وضع الأحاديث وتوليدها باباً من الأبواب التي اتسمت بها نزعة **الجاحظ** الأدبية، ووجدت فيها متاعاً لها ومجالا لعبقريتها. وقد يتأثم بعض المتزمتين من أن نسند إلى **الجاحظ** أنه كان **وضّاعاً مولّداً**، ويرون في هذا المنهج من التكذيب والتزوير ما يجلون به **الجاحظ** ويرفعونه من أن يتدنى إليه.

أما أن **الجاحظ** كان يولّد الأقوال ويضع الأحاديث ويفتنّ في ذلك شتى الأفانين، فأمر ظاهر كل الظهور في هذه الأحاديث المستطيلة والرسائل المستفيضة والقصص المفتنة التي ضمنها كتابه هذا ونسبها إلى هذا أو ذاك من رجال عصره، فإن



أسلوبها وطريقة وضعها ومنحى الاستدلال فيها كل ذلك **شاهد قوي الحجة واضح الدلالة على أن الجاحظ هو صاحبها** .

٦ ــ أبرز الخصائص الفنية في البخلاء

والآن نأخذ في إلقاء نظرة سريعة أيضاً على أبرز الصفات الفنية في «**كتاب البخلاء**». ولعل أول هذه الصفات جلباً لقارئ ذلك الكتاب هو **البراعة في الوصف والدقة في التصوير**. ونحن حين نطلق الوصف نعني به ما يشمل **الوصف الحسي والوصف النفسي جميعاً**.

على أن كل قطعة من «**كتاب البخلاء**» شاهد قوي لا يحتمل الجدل على **قوة تصوره ودقة ملاحظته وخصوبة خياله وعنايته بالتفصيلات التي تجلي الصورة وتبرزها من جميع نواحيها ، وتضعها أمام القارئ وقد اجتمعت لها خصائص الوضوح وبلاغة التعبير وقوة التأثير**

وأسلوب الجاحظ في الوصف هو ــ في حقيقة الأمر ــ وجه من وجوه الواقعية الغالبة عليه ، وقد أعانه على أن يبلغ بأسلوبه هذا ذلك المبلغ من دقة التصوير وروعته قوة إدراكه لقيم الكلمات وإحساسه الملهم بالظلال التي تنتشر عنها .

٧ ــ السخرية في البخلاء وبعض سمات الجاحظ الفنية الساخرة

ننتقل بعد هذا إلى الكلام عن صفة أخرى من أبرز الصفات الفنية التي تبدو هنا في «**كتاب البخلاء**» وهي (**السخرية**) ، فنلقي عليها نظرة سريعة قدر ما يعيننا على تفهم هذا الكتاب واستبطان روحه .

ترجع السخرية إلى طبيعة **الجاحظ** ومزاجه ، فقد كان رجلاً **مرح النفس متهللاً للخاطر منطلق الوجه نزاعاً إلى الضحك**. ومن ذلك ما نجده لديه من **الدعوة إلى الضحك والمزاح والفكاهة** والدفاع عنها ورد ما يعترض به عليها . كما نرى صورة بينة من ذلك في مقدمة **البخلاء** ، وفي ذلك الفصل الطويل القيم الذي تحدث فيه عن المزاح وعرض لوجهة النظر المختلفة فيه في **رسالة التربيع والتدوير** . ولقد كان يرى أن الميل إلى المزاح والتقبل له إنما يكون من سهولة الخلق وسعة الأفق ، إذ يقول في موضع آخر من هذه الرسالة :

«**ومن يغضب من المزاح إلا كز الخلق ومن يرغب عن المفاكهة إلا ضيق العطن**» .

كما كان يحكي عن نفسه كيف كان يسترسل في الضحك ويغرق فيه . ونرى مثلاً من ذلك في القصة التي قصها عن نفسه مع محفوظ النقاش .

فأكبر الظن عندنا أن ميل الجاحظ إلى السخرية وما إليها إنما جاء ــ أول شيء ــ عن هذه الطبيعة المرحة المتبسطة الضاحكة ، ثم من أنه كان ــ إلى هذا ــ **رجلاً سهل الجانب لين الحاشية محباً للناس عطوفاً عليهم .. لا يضيق بهم ولا يتبرم بعيوبهم ولا يتسخط عليهم** .. وإنما هم في مختلف أشكالهم وشتى مسالكهم صورة من هذه الحياة التي يحبها ، وأمثلة من الإنسانية التي يقدرها ويعطف عليها .

ومن هنا سلكت نفسه في نقدهم مسلك السخرية اللطيفة التي تشير إلى مواطن العيوب ، وتصورها في جو مرح تتخلله بسمات الاستحسان وتغمره ضحكات السرور .. فالجاحظ **نقاد بطبيعته** ولكن لين جانبه وحبه للحياة نكبا به كثيراً كثيراً عن طريق الجد الصارم في النقد . وما يكون في هذا الطريق كثيراً من الغضب والتسخط والبغضاء وما إليها من المعاني المباينة للحب المزورة عن سبيل الحياة . وله في هذا كلمة دقيقة لعل فيها بياناً لتلك الطبيعة وتفسيراً لذلك المذهب وهي قوله :

«**الجد مبغضة والمزح محبة**» .

وجملة القول إن قوة حيوية الجاحظ هذه تعتبر من أول العوامل في هذه النزعة الساخرة العابثة .

ذلك هو **الجاحظ** الساخر العابث . «**وكتاب البخلاء**» هو من أكثر آثاره الأدبية تأثراً بهذه السخرية وكشفاً عن هذه الطبيعة المرحة إذ تكاد كل قطعة من قطعه وكل صفحة من صفحاته تجلو لنا **صورة كاريكاتورية رائعة** لا نقضي منها عجباً وحتى النهاية .

وقبل أن نفرغ من هذه النظرات العابرة والملاحظات على بعض وجوه **الجاحظ** الفنية نحب أن نشير إلى بعض السمات التي تتسم بها سخرية **الجاحظ** :

من أي نوع كانت هذه السخرية وأي لون كانت تصطنعه ؟ أكانت سخرية عارية فاقعة تبالغ في إبراز ما تريده وفي الألوان التي تسبغها عليه مبالغة صارخة كما هو الشأن في أكثر سخرية العامة ؟

كلا .. فما كان من **الجاحظ** ليلجأ إلى هذا الأسلوب الفج الذي يفسر به العامة ضحك العامة . وهو رجل الفن .. الصناع الدقيق الذهن .. الجيد السبك ، وإنما هي السخرية التي تقصد إلى الأذواق المترفة والمدارك المرهفة حتى لقد يرى البعض من القراء هذه الصورة أو تلك من صوره الساخرة فلا يكاد يتنبه إلى مواطن السخرية فيها . إذ كانت **سخرية الذهن الدقيق والذوق الرفيع المهذب والفن الخالص المتمكن** .

وقد أشار الجاحظ ــ إشارة ما ــ إلى مذهبه هذا في التعليق على قصة مما كان يتناقله الناس عن رجل عرف بأشنع البخل فلما مات قدم ابنه فسأل عن آدامه فإذا هو قطعة من الجبن وإذا فيها حز من أثر مسح اللقمة فرأى في هذا الحز ما يدل على الإسراف فغضب .. فقيل له :

«فأنت كيف تريد أن تصنع ؟» .. فقال :

«**اضعها من بعيد فأشير إليها باللقمة**» .

قال **الجاحظ** في التعليق على هذه النادرة :

«ولا يعجبني هذا الحرف الأخير لأن الإفراط لا غاية له . وإنما نحكي ما كان في الناس وما يجوز أن يكون فيهم .. مثله أو حجة أو طريقة فأما مثل هذا الحرف فليس مما نذكره» . **في** هذا التعليق ما قد يشير إلى مذهب **الجاحظ** في التصوير الساخر وهو المذهب الذي نستطيع أن نراه مطرداً في «**كتاب البخلاء**» .

وبعد فهذا ما قصدنا إلى ما نقدم به للقارئ ذلك الأثر الرائع من آثار الجاحظ ولم نرد أن يكون دراسة تحليلية مستفيضة له .. فذلك ما لا تتسع له هذه المقدمة .

وحسبنا أن نكون بما قدمناه قد استطعنا ــ فيما نرجو ــ أن نعين القارئ على الإحاطة بما لهذا الأثر من خطر في تاريخنا الأدبي وفي ثروتنا الفنية .



دائرة المعارف

الأوبرا

أ

أوبرا :

لفظة أوبرا مشتقة من كلمة Opera باللاتينية بمعنى « عمل » ولا يوجد لها معنى محدد تماماً. بل اختلف معناها من عصر إلى عصر ومن مكان لآخر. ويطلق الاسم بصفة عامة على « لون موسيقي من الدراما يتألف من ألحان وأشعار وأناشيد يتخللها موسيقى ومناظر وتمثيل ». ويرجع **نشأة الأوبرا** إلى عام ١٦٠٠ م، عندما مثلت في « **فلورانسا** » أوبرا « **إيريديس** » للموسيقي « **بري** ». ثم تلاحقت التطورات على الأوبرا، فظهرت **الأوبرا** « **الفينسية** » (نسبة إلى مدينة فينسيا) وعلى رأسها « **كلوديو منتفردي** ». التي أعطت مزيداً من الاهتمام بالموسيقى حتى جاء **الموسيقار النمساوي** «**جلوك**» وأعاد للكلمة مكانتها، وهكذا تعاقبت التطورات على الأوبرا في أكثر من مكان، وكل منها يمثل الصراع بين الكلمة والموسيقى من أجل استخلاص فن جديد قائم بذاته.

ب

بوتشيني ، جياكو :

من مواليد **مدينة** «**لوكا**» **بإيطاليا** في ٢٢ ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٨٥٨ م. نشأ في أسرة اشتهرت بالنبوغ في الموسيقى. ترك حصيلة كبيرة من التراث الفني مثل « **لافيل** » و « **ادجار** »، إلا أن شهرته الحقيقية جاءت عام ١٨٩٦ م، حين ظهرت أوبراه المشهورة « **البوهيمية** » ثم « **توسكا** » سنة ١٩٠٠ م، و « **مدام بترفلاي** » سنة ١٩٠٤ م، وهي أشهر أوبراته بين العديد من الأوبرات. توفي في « **بروكسل** » سنة ١٩٢٤ م.

ت

تشايكوفسكي ، بيتر :

ولد في ٧ مايو (أيار) سنة ١٨٤٠ م، بروسيا. ظهر نبوغه الموسيقي وهو في سن الرابعة عشرة من عمره. بدأ دراسته الجدية للموسيقى عام ١٨٦٣ م، بعد استقالته من وظيفته الحكومية. وضع العديد من المؤلفات الموسيقية أثناء دراسته ولم يظفر بالنجاح إلا في « **افتتاحية العاصفة** ». كتب العديد من الأوبرات إلى جانب مؤلفاته الموسيقية المتنوعة. من أوبراته : « **الفيفودا** » (١٨٦٩ م) ـ « **أونوين** » (١٨٦٩ م) ـ « **الحارس** » (١٨٧٤ م) ـ « **عذراء أورليان** » (١٨٨١ م) ـ « **أوبرشينك** » (١٨٧٣ م) ـ « **مازيبا** » (١٨٨٤ م) ـ « **بولانتا** » (١٨٩٢ م). أشهر أوبراته : « **إيوجين أوفيجن** » (١٨٧٨ م) و « **ملكة البستوني** » (١٨٩١ م).

ج

جيرشوين ، جورج :

يعد واحداً من أبرز من نجحوا في إيجاد الأوبرا الأمريكية الخالصة ممن سبقوه في هذا المجال أمثال « **هانسون** » و « **ديمز تايلور** » و « **لويس جروينبرج** ». من أشهر أعماله أوبراه الشهيرة « **بورجي وبيس** » المأخوذة عن رواية « **ديبوز هيوارد** » باسم « **بورجي** » وتدور أحداثها في حي الزنوج بمدينة شارلستون.

ح

حلاق إشبيلية :

أوبرا مرحة من فصلين. وضع ألحانها الموسيقي الإيطالي « **جواكينو**

روسيني » . قدمت لأول مرة بمدينة **روما** في ٢٠ فبراير (شباط) سنة ١٨١٦ م ، وتعتمد على مسرحية للكاتب الفرنسي « **بومارشيه** » تحمل نفس الاسم . وقد فقدت الافتتاحية الموسيقية لها مما جعل مؤلفها يستخدم بدلا منها افتتاحية أوبرا أخرى له تحمل اسم « **اليزابيث ملكة إنجلترا** » ووافقت مقدمتها المرحة أوبرا « **حلاق إشبيلية** » فاقترنت بها دون غيرها .



الخيالية ، الكوميديا :

لون من الأوبرا ظهر على يد « **دانييل أوبير** » (١٧٨٢ ــ ١٨٧١ م) ويختلف عن « **الأوبرا كوميك** » ، ويشتمل على أجزاء يستعمل فيها الكلام غير الملحن بدلا من أجزاء الإلقاء الملحن الذي يجري على وتيرة واحدة . وبهذا النموذج أصبحت التفرقة واضحة بين الأوبرا و « **الأوبرا كوميك** » . وقد سار على هذا الأسلوب فيما بعد « **أمبرو ازتوما** » (١٨١١ ــ ١٨٩٦ م) في أوبراه « **حلم ليلة صيف** » . وأشهر أعمال هذا اللون **أوبرا** «**مينيو**» .



دونزيتي ، جيتانو :

موسيقي إيطالي ولد في ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٧٩٧ م . بدأت شهرته وهو في الحادية والعشرين من عمره بظهور أول أوبرا له . قدّم عام ١٨٣١ م ، أولى أوبراته المميزة لشخصية وهي « **أنا بولينا** » وخلال أربع سنوات قدّم أكثر من ٢٢ أوبرا أشهرها : « **إكسير الحب** » ـ « **مارينو فاليرو** » ـ « **لوكريسيا بورجيا** » ـ « **لوتشيا دي لامرمور** » . وفي عام ١٨٣٤ م ، عيّن أستاذاً ورئيساً لمعهد الموسيقى بنابولي . وقدّم عام ١٨٤٠ م ، أهم أوبراته « **المرغوبة** » و « **بنت الكتيبة** » . توفي في ١٨ أبريل (نيسان) سنة ١٨٤٨ م .



ذهب الراين :

أوبرا في أربعة فصول . شعر وموسيقى **ريتشارد فاجنر** . عرضت لأول مرة بميونخ في ٢٢ سبتمبر (أيلول) سنة ١٨٦٩ م ، وهي أولى حلقات أوبرا « **حلقة النيبلونج** » وتعتبر بمثابة الأوبرا التمهيدية لها ، وتبين كيف تعاقد « فوتان » مع المردة لبناء قلعة تحميه حيث توجد « **فرايا** » بين المردة كضمان لسداد أجورهم . وكيف استطاع القزم « البريخ » أن يصمد فلم يقع في الحب ليصل إلى الكنز والخاتم الذي يضمن لصاحبه السلطان والقوة .



روسيني ، جواكينو :

مؤلف إيطالي مشهور . من مواليد **مدينة بيسارو** في ٢٩ يناير (كانون الثاني) سنة ١٧٩٢ م . بدأ أعماله الأوبرالية عام ١٨١٠ م ، حيث قدّم أول أوبرا له من فصل واحد باسم « **كمبيالة الزواج** » . وفي سنة ١٨١٣ م ، وضع أول أوبرا خلدت اسمه وهي « **تانكريدي** » ثم « **إيطالية في الجزائر** » في نفس العام ، و « **العصابات** » عام ١٨١٥ م . وفي الرابعة والعشرين من عمره وضع أوبراه الشهيرة « **حلاق إشبيلية** » سنة ١٨١٦ م . من أوبراته الأخرى « **عطيل** » و « **سميراميس** » ثم « **وهلم تل** » .



زواج فيجارو :

أوبرا في أربعة فصول . موسيقى « **فولفانج موتسارت** » عن تمثيلية لبيير دي بومارشيه . عرضت لأول مرة في فيينا أول مايو (أيار) سنة ١٧٨٦ م . ويعتبر بعض النقاد هذه الأوبرا واحدة من أعظم ثلاث أوبرات هزلية وضعها « **موتسارت** » مع « **مدرسة العشاق** » و « **دون جوفاني** » .



سميتانا ، بيدريس :

واحد من أبرز روّاد الموسيقى القومية في **تشيكوسلوفاكيا** ١٨٢٤ ــ ١٨٨٤ م ، أخرجت أولى أوبراته « **البراند نبرجيون** » سنة ١٨٨٦ م ، وتعتمد على قصة مثيرة تدور أحداثها في القرن الثالث عشر وفيها تبرز آثار فاجنر . أما ثاني أوبراته وأكثرها شهرة فهي « **الخطيئة المباعة** » وأخرجت في نفس العام . . وهي تتبع التقاليد الإيطالية في التقسيمات الغنائية إلى عدة فقرات مع استغلال للرقصات والأغاني الشعبية التشيكية .



شتراوس ، ريتشارد :

من مواليد عام ١٨٦٤ م ، بمدينة **ميونخ** . عيّن عام ١٨٩٨ م ، قائداً

لأوبرا **برلين** ثم مديراً لها وتولى قيادة «**أوبرا فيينا**» عام ١٩٣٩ م . من أشهر مؤلفاته الأوبرالية : «**سالوم**» ١٩٠٥ م، وهي دراما موسيقية من فصل واحد عن مسرحية «**لأوسكار وايلد**» . أما الأوبرا الثانية التي لاقت نجاحاً فهي أوبرا «**اليكترا**» (١٩٠٩ م) . هذا عدا مؤلفاته السيمفونية وأعماله الموسيقية الأخرى .



صوت :

يقسم فن الموسيق أصوات كل من الذكر والأنثى إلى ثلاثة أقسام طبقاً لحدة الصوت أو توسطه أو غلظه . وللتمييز بينها أطلق اسم لكل قسم .

فأصوات الرجال الثلاثة هي :

(١) **تينور** : الصوت الحاد أو الصارخ .

(٢) **باريتون** : الصوت المتوسط أو الجهير الأول .

(٣) **باص** : الصوت الغليظ أو الجهير الثاني .

أما أصوات النساء فهي :

(١) **سوبرانو** : .. أي الصوت الحاد أو «النوى الأول» .

(٢) **ميتسور سوبرانو** : .. (المتوسط) أو «النوى الثاني» .

(٣) **كونتر الطو** : .. الصوت الغليظ أو «الرنان» .



الطبقة الصوتية :

هي درجة الحدة أو الغلظة (الارتفاع أو الانخفاض) للصوت الموسيقي . وتتحدد الطبقات علمياً بمقدار عدد الذبذبات التي تصدر عن الصوت في الثانية الواحدة . والمعروف أن أكثر الأصوات الموسيقية انخفاضاً يكون ترددها بمقدار ٢ / ١ ٢٧ ذبذبة في الثانية بينا تبلغ ذبذبة أكثر الأصوات الموسيقية حدة ٤١٨٦ ذبذبة في الثانية .



عايدة :

أوبرا في أربعة فصول . من أشهر أوبرات «**جوسيبي فردي**» (١٨١٣ ـ ١٩٠٣ م) قام بكتابتها بناء على طلب **الخديوي إسماعيل** عام ١٨٧١ م، لتكون ضمن فقرات الاحتفال بافتتاح **قناة السويس**، التي من أجلها أقيمت **دار الأوبرا المصرية**، قام بإعداد مادتها لأول مرة على مسرح الأوبرا المصرية في الرابع والعشرين من ديسمبر (كانون الأول) عام ١٨٧١ م .



الغسق :

أوبرا في ثلاثة فصول شعر وموسيق **ريتشارد فاجنر** . عرضت لأول مرة في ١٧ أغسطس (آب) عام ١٨٧٦ م . وتعتبر هذه الأوبرا الجزء الأخير من رباعيته المسماة «**خاتم نيبلونج**» التي تتكون من أربع أوبرات هي بالتعاقب : «**ذهب الراين**» (١٨٧٦ م) ـ «**فالكيريه**» (١٨٧٠ م) ـ «**زيجفريد**» (١٨٧٦ م) ـ «**الغسق**» (١٨٧٦ م) . وتقوم على أسطورة ألمانية قديمة تحمل نفس الاسم حول سلالة من الأقزام تحرس كنزاً . وقد أمضى «فاجنر» ما يقرب من واحد وعشرين عاماً في وضعها .



فاجنر ، ريتشارد :

من أبرز من أحدثوا تطويراً في تاريخ الأوبرا ١٨١٣ ـ ١٨٨٣ م . بدأت سمات هذا التطوير تدريجياً منذ أوبرا «**الهولندي الطائر**» (١٨٤٣ م)، إذ أصبحت أعماله بعدها تهدف إلى تحقيق ما أسماه «بالفن من أجل المستقبل» . وذلك بإدماج كل الفنون في خدمة ما أطلق عليه «**الدراما الموسيقية**» بالاستغناء عن التقسيمات الموسيقية السائدة بموسيق متكاملة من بداية الفصل وحتى نهايته .. وربط جملة موسيقية واحدة بشخصية أو فكرة من داخل العمل الدرامي ذاته أو ما عرف باللحن الدال .. وإسناد دور أكبر إلى الأوركسترا . وتعتبر أعماله التي تحمل اسم «خاتم نيبلونج» تطبيقاً عملياً لنظريته في الدراما الموسيقية حتى أنه أنشأ مسرحاً خاصاً لأوبراته (سنة ١٨٦٤ م) هو مسرح «**بايرويت**» ليقدم عليه أعماله .



القناص :

واحدة من أشهر ثلاث أوبرات وضعها «**كارل ماريا فون فيبر**» (١٧٨٦ ـ ١٨٢٦ م) الذي يعتبر مؤسس **الحركة الرومانتيكية** في الموسيق الألمانية . والأوبرات الثلاث هي : «**القناص**» (١٨٢١ م) ـ «**إيريانت**» (١٨٢٣ م) ـ «**أوبيرن**» (١٨٢٦ م) . وتدور أحداث الأوبرا حول حطّاب يدخل في مباراة للرماية للفوز بيد فتاته باستخدام رصاص مسحور يكاد يقتل حبيبته لولا نجاتها بأعجوبة .



كاميراتا ، جماعة :

في عام ١٦٠٠ م ، اجتمع عدد من المؤلفين والشعراء بقصر **الكونت «باردي»** بفلورنسا بغرض إحياء **الدراما الإغريقية الكلاسيكية** بإحلال الموسيقي محل الكورس الإغريقي وأن تخدم الموسيقى الكلمة . كان من أبرز هذه الجماعة « **فنشينزو جاليليو** » و « **جوليو كانشيني** » و « **يعقوب بيري** » الذي اعتبر أول مؤلف أوبرا في العالم بعد عرض عمله « **دافني** » سنة ١٥٩٧ م ، ثم « **أوريديس** » سنة ١٦٠٠ م ، ومن هنا يعتبر النقّاد هذا العام البداية الحقيقية لتاريخ الأوبرا . وعلى يد هذه الجماعة ظهرت صفتان أساسيتان للأوبرا ، **الأولى** : الاهتمام بإظهار الكلمات المسرحية في المقام الأول ، **والثانية** : المظهر الأرستقراطي لها .



ليونكفاللو ، روجيرو :

من مواليد مدينة « **نابولي** » في ٨ مارس (آذار) سنة ١٨٥٨ م . بدأ حياته بتلحين المسرحيات الغنائية ، وبعد فشل أول أوبرا له « **شاترتون** » اكتفى بإعطاء الدروس الخصوصية في الموسيقى . . وسافر إلى **فرنسا وإنجلترا وهولندا وألمانيا** بحثاً عن الرزق . . كما سافر إلى **مصر** أيضاً ولحن لها **أوبرا** « **بيدتشي** » ، وفي ١٧ مايو (أيار) سنة ١٨٩٢ م ، قدّم أشهر أوبراته « **المهرجون** » وهو العمل الذي أدخله في تاريخ الأوبرا . توفي في ٩ مارس (آذار) سنة ١٩١٩ م .



منوتي ، جيان كارلو :

إيطالي الأصل ولد بمدينة **ميلانو** سنة ١٩١١ م ، ثم أقام **بالولايات المتحدة وحصل على الجنسية الأمريكية** ، يعد واحداً من روّاد الأوبرا الأميريكية مع « **كورت فايل** » و « **دوجلاس مور** » و « **مارك بليتزشتاين** » . أول أعماله أوبرا هزلية من فصل واحد بعنوان « **إميليا في حفلة رقص** » عام ١٩٣٧ م ، ومن أعماله الأخرى ثلاث أوبرات جادة هي : « **الجزيرة** » (١٩٤٢ م) — « **الوسيط** » (١٩٤٦ م) — ثم « **القنصل** » (١٩٥٠ م) .



نابولي ، مدرسة :

بدأت مدينة نابولي منذ أواخر القرن السابع عشر تحتل مركزاً هاماً في تطوير الأوبرا . اشتهرت بكبار مغنيها ومعاهدها الموسيقية التي أصبحت تعرف بمعاهد « **الكونسيرفتوار** » . من أشهر هذه المعاهد : « **معهد سانتا ماريا** » (١٥٨٩ م) ، ومعهد « **سان افنوريد** » (١٥٧٦ م) ، ومعهد « **دي بوفيري كريستو** » (١٥٨٩ م) ، ومعهد « **ديلك بيتا دي توركيني** » (١٥٨٤ م) . كان هدف مدرسة نابولي براعة الصوت في الغناء . من أشهر نجوم هذه المدرسة : « **فارينيللي** » و « **برناكي** » .



هاندل ، جورج :

مؤلف موسيقي إنجليزي ١٦٨٥ — ١٧٥٩ م ، له تأثير في تطور **الدراما الموسيقية** خاصة في **إنجلترا** ، بدأ كتابة الأوبرا منذ عام ١٧٠٣ م ، على الطريقة الإيطالية . كتب للأكاديمية الملكية أكثر من عشرين أوبرا في السنوات من ١٧٢٠ — ١٧٣٧ م . وفي عام ١٧٢٩ م ، كوّن فرقة موسيقية ألّف لها خمس عشرة أوبرا ، من أعماله الأوبرالية : « **دوفين** » (١٧٠٦ م) — « **رينالدو** » (١٧١١ م) — « **سيلا** » (١٧١٤ م) — « **رودريجو** » (١٧١١ م) — « **جوليو وسيزار** » (١٧٤٥ م) — « **هرقل** » (١٧٤٥ م) .



لا ترافيانا :

من أشهر الأوبرات التي وضعها « **جيوسيبي فردي** » وهي مأخوذة عن « **غادة الكاميليا** » للكاتب الفرنسي **ألكسندر دوماس (الابن)** التي أثارت الإعجاب عند ظهورها عام (١٨٤٨ م) ، وكان « **دوماس** » قد استوحى القصة عن حياة غانية فرنسية تدعى « **الفونسين ميليسيي** » وعرضت الأوبرا لأول مرة بالبندقية في ٦ مارس (آذار) سنة ١٨٥٣ م . ويعد النقّاد هذه الأوبرا نقطة تحول في تاريخ الأوبرا العالمية لمعالجتها موضوعاً واقعياً في حين كانت الأوبرات قبلها تعتمد على الخيال أو التاريخ .



ينوفا :

من أهم الأوبرات التي وضعها المؤلف التشيكي « **ليون يافاتشيك** » (١٨٥٤ — ١٩٢٨ م) ، وهي مأخوذة عن مسرحية وضعها « **جابربيلا برايسوفا** » وتروي قصة الأرملة « **كدستيلينا** » التي تشمل ابنة زوجها بالعطف والحب إلى الحد الذي ترتكب فيه جريمة قتل من أجلها بقتل الشاب العربيد الذي يغري « **ينوفا** » ابنة زوج الأرملة .

مناقشات و تعليقات

أسماء الإبل

طالعت العدد رقم (٤٦) من **مجلة** «**الفيصل**» الغرّاء وقرأت (**دائرة المعارف**) الخاصة بهذا العدد وكانت تدور حول **أسماء الإبل**.

ولما كنت قد قرأت ديوان **عمر بن أبي ربيعة** وقرأت مرادفات الكلمات والأسماء التي تضمنتها قصائد هذا الديوان وجدت بينها كثيراً من أسماء الإبل وقد قمت بمقارنة هذه الأسماء بالأسماء الواردة في دائرة معارف مجلتكم الغرّاء وجدت أنها أغفلت عن ذكر عدد من هذه الأسماء وها أنا أرسلها إلى سيادتكم مؤيدة بأبيات شعرية من الديوان.

الأدماء: هي الناقة المشربة سواداً أو بياضاً واضحاً:

بينا كذلك إذ عجاجة موكب
رفعوا ذميل العيس بالصحراء
قالت لجارتها: انظري ها، من إلى؟
وتأملي مَنْ راكب الأدماء؟

النجيب: الفحل الكريم من الإبل، الجواد الكريم:

بكل قياد سلهبة سبوح
وسامى الطرف ذي حضر نجيب

الذعلبة: هي الناقة السريعة:

وكان وساده أحناءُ رحل
على أصلاب ذعلبة هبوب

البُخت: هي الإبل الخرسانية:

جدها الفالح الأشم أبو البُخت
وخالاتها انتُخبن عرابا

البغام: هو قطع الناقة الحنين دون أن تمده:

تُرجعُ الصوت بالبُغام إلى
جوف تُناغي به الشعابا الرغابا

البزل: ج. بازل وهو الجمل في تاسع سنيه:

لما تنادوا للرحيل وقربوا
بُزلَ الجمال لطيّة وذهاب

العلائف: ج. العليفة وهي الناقة التي تُعلف ولا ترسل إلى المرعى:

وفالين الحمول على نواج
علائف لم تلودها المروج

الحرف: الناقة الضامرة:

ما إن بهالى غير سيفي صاحب
وذراع حرف كالهلال وسادي

الخوص: هي الإبل والخيل الغائرة العيون:

ينصون بالموماة خوصاً كأنها
شرائح وينع أو سراء معطل

الأجد: هي الناقة الموثقة الخلق:

يا راكباً نحو المدينة حسرة
أجُداً تُلاعب حلقة وذماما

محمد أحمد عويس
عزبة النخل – القاهرة



أخطاء عروضية

لفت نظري – وأنا أقرأ **قصيدة للشاعر أحمد مرتضى عبده بعنوان (الأقنعة) في العدد (٦٠) من مجلة «الفيصل» الغرّاء** – كثرة **الأخطاء العروضية** فيها إذ **تجاوزت تقريباً نصف عدد أبياتها التي لا تزيد على تسعة عشر بيتاً**. وتلك الظاهرة مدعاة للاستغراب لأن (الفيصل) مجلة فكرية معروفة ذات وزن ثقيل بين المجلات الفكرية والأدبية المختلفة لا تحتضن صفحاتها إلا نتاجات ضخمة في شتى ميادين المعرفة، ثم إن المجلة تضم – فيمن تضم – لجنة مشرفة على اختيار النتاجات التي تصلح للنشر. وإنني – انطلاقاً من النقد الهادف البنّاء – أعرض لهذه الأخطاء آملاً أن أكون عند حسن ظن الأستاذ الفاضل أحمد مرتضى عبده وحسن ظنكم جميعاً فيما أقوله إذ إن هدفي من وراء ذلك عرض الحقيقة ولا شيء غيرها أبغي والله من وراء القصد.

مناقشات وتعليقات

وقبل أن أسرد هذه الأخطاء لا بد من القول إن **القصيدة قد نظمت على بحر الرَّمَل** الذي يقوم على ثلاث تفعيلات في الصدر على (فاعلاتُن) وثلاث تفعيلات أخرى مثلها في العجز كما يتضح في مطلع القصيدة :

من تراه الآن يهوى مصرعَهْ
والأماني في الحنايا مودعَهْ

أما الأخطاء العروضية فتتضح في الأبيات الآتية :

١ ـ **البيت الرابع** (عشت أبحث عن مكان للسُّرى) ولا يستقيم الوزن إلا بتسكين (أبحث) ونحن نعلم أنه لا يجوز جزم هذا الفعل إذ لا شيء يجزمه فلا بد للشاعر أن (يبحث) عن كلمة أخرى ليستقيم بها الوزن .

٢ ـ **البيت السادس** (والذي يهوى العناء هو الذي . . . . .) .

٣ ـ **البيت السابع** (فالورى سربٌ تخادعه المنى . . . . .) .

٤ ـ **البيت الثامن** (يستريح إلى خنوع المعمعَهْ . . .) وتلافياً لهذا الخطأ العروضي من الأفضل أن يقول (يستريح لخنوع المعمعَهْ) .

٥ ـ **البيت التاسع** (. . . . أمنيات راح يسأل ضائعَهْ) .

٦ ـ **البيت الرابع عشر** (ثم رحت ـ كأي طفل ـ للسما) .

٧ ـ **البيت الخامس عشر** بشطريه :

ثم لذت مع السكون بريبتي
وانتظرت ـ مع العجائز ـ فاجعَهْ

٨ ـ **البيت السادس عشر** (إنه زمن يضاجع زيفَهُ . . .) .

٩ ـ **البيت السابع عشر** (ليس فيه من النقاوة ومضة . . .) ولو أنه قال (ليس فيه من نقاءٍ ومضةٌ) لاستقام الوزن .

وختاماً أتوجه بالشكر الجزيل لمجلة الفكر المبدع والثقافة الأصيلة مجلة (الفيصل) الغرّاء . كما أرجو أن يستفيد الأستاذ الفاضل أحمد مرتضى عبده من هذه الأخطاء فيما ينظم من قلائد البيان في المستقبل ومن الله التوفيق .

عبد المنعم محمد جاسم
الجمهورية العراقية / ذي قار / الشطرة
إعدادية الشطرة للبنين

الشاعر الجاهلي .. بين الزمان والمكان

« إن الإحساس بالزمن قديم في الشعر العربي . ففي الجاهلية لم يكن الإنسان يقيم وزناً للمكان لأنه دائم الترحال ، كان يسعى وراء الماء والكلأ في أي مكان وبالتالي زاد ارتباطه بالزمان . . » .

العبارات السابقة من مقالة « **الزمن في الشعر العربي الحديث** » بقلم **هدية الأيوبي** وذلك في العدد (٤٣) من مجلة « **الفيصل** » .

وقد أردت التوقف عن هذه النقطة بالذات أسوق من الأدلة ما استطعت محاولا البرهان على أن الجاهلي كان اهتمامه بالمكان أكثر من اهتمامه بالزمان ، وأجد أن الحقيقة ليست كما وردت في العبارة السابقة ، ولكن ـ كما هو معروف لدى الكثيرين وخاصة من يهتم بالشعر الجاهلي ـ بأن الشاعر الجاهلي أكثر من ذكر الأماكن فيما قاله من شعر وذلك يؤكد بأن المكان له صفة الرابطة العضوية ـ إن صح التعبير ـ أكثر منه بالنسبة للزمان .

فالشاعر الجاهلي ارتبط بأرضه التي ولد فيها ، وعاش عليها وهذا الارتباط ليس فقط حبه لتلك البقعة الجرداء ولكن أحبها وذكرها في مواقف كثيرة لأنه ارتبط بهذا المكان بأناس أحبهم وأحبوه ، كانوا معه في هذه الأرض .

لماذا لم يكن الشاعر أو الإنسان الجاهلي على وفاق مع الزمن وكان ارتباطه الأشد بالمكان ، ثمة سؤال يخطر بالبال ؛ ولكن إذا تمثلنا حياة هذا الإنسان وكيف كانت فهي حياة صاخبة تتقاذفه إلى أين لا يدري ، ففي الزمان يتمثل التغيير والحركة ، والحركة حياة ففيها من عدم الاستقرار والاضطراب أكثر من الهدوء والراحة ، أما المكان فيمثل السكون والثبات ، ففي الأرض الدفء والجاهلي ذلك الضائع في الصحراء أحوج ما يكون إلى الاستقرار والراحة من تنقله ، وذلك لا يكون إلا في حضن الأهل والأحباب ، والأهل والأحباب لا بد وأن يكونوا في مكان أو أنهم كانوا فيه لهذا أحب الجاهلي المكان ، وكرر ذكره لأنه بهذا إنما كان يعبّر عن حبه للاستقرار والهدوء المرتبطين بمكان ولهذا كان تعاطفه مع المكان نوعاً من الرد على القلق الذي يسببه الفراق والتنقل ، **إذن الشاعر الجاهلي انتصر للمكان ضد الزمان** .

يقول الشاعر الجاهلي :

مناقشات و تعليقات

زعم البوارح أن رحلتنا غدا
وبذاك خبرنا الغراب الأسود
لا مرحباً بغد ولا أهلاً به
إن كان تفريق الأحبة في غد

يلاحظ هنا كيف ارتبط الزمان بذهن الشاعر بفراق الأحبة والأهل.

ويقول **زهير** :

وقفت بها من بعد عشرين حجة
فلأيا عرفت الدار بعد توهم
أثافي سفعاً في معرس مرجل
ونؤيا كجذم الحوض لم يتثلم

بعد عشرين سنة لم يبق إلا أطلال فهو يقول وقفت بدار **أم أوفى** بعد مضي عشرين سنة من بينها ، وعرفت دارها بعد التوهم بمقاساة جهد ومعاناة مشقة ، وعرفت حجارة سوداً ينصب عليها القدر ، وعرفت نهيراً كان حول بيت أم أوفى بقي غير متثلم كأنه أصل حوض ، نرى أن الشاعر يقاوم الزمن لم يستطع أن ينسيه هذه الديار بل إن الزمن لم يستطع أن يؤثر في المكان (ونؤيا كجذم الحوض لم يتثلم) .

إذن فالإنسان والمكان أقوى من الزمان ، وهكذا ينتصر المكان على الزمان عند الشاعر الجاهلي بل **قد يكون الزمان أحياناً وسيلة عند الجاهلي بينما يكون المكان أقرب إلى الغاية كقول الحارث** :

فحبست فيها الركب أحدس في
كل الأمور وكنت ذا حدس
حتى إذا التفع الظباء بأط
راف الكناس وقلن في الكنس
ويئسن مما قد شغفت به
منها ولا يسلبك كاليأس
أنمي إلى حرف مذكرة
تهص الحص بمواقع خنس

ويقول **النابغة** :

يا دار مية بالعلياء فالسند
أقوت وطال عليها سالف الأمد
وقفت فيها أصيلانا أسائلها
عيت جواباً وما بالربع من أحد

ويقول امرؤ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها
لما نسجتها من جنوب وشمأل
ترى بعر الأرام في عرصاتها
وقيعانها كأنه حب فلفل

فالوقوف على الأطلال ليس مجرد تقليد درج الشاعر الجاهلي على اتباعه ولكن لهذا التقليد أساس فكري يتبعه الجاهلي مدفوعاً بعواطف وإدراكات خاصة ذات أثر عميق في حياته . فالملاحظ أن الجاهلي كان من خلال محتويات المكان وارتباطها بالذين حلوه يرتبط بالمكان فقول **امرؤ القيس** (ترى بعر الأرام . .) هو تعبير عن ارتباط الجاهلي بالحياة التي كان يحياها في مكانه .

ويقول **النابغة** :

فما وجدت بها شيئاً ألوذ به
إلا الثمام وإلا موقد النار

فالشاعر لم يرتبط بالموقد ، وإنما ارتبط باللواتي كن يطبخن على هذا الموقد ، بل بكل الذين يستدفئون عليه .

ويقول **عنترة** :

كيف المزار وقد تربع أهلها
بعنيزتين وأهلنا بالغيلم

فهو لا يستطيع زيارتها ، فقد أقام أهلها زمن الربيع بهذين الموضعين وأهله بهذا الموضع وبينهما مسافة بعيدة ومشقة مديدة ، فهو لا يقدر أن يزورها بسبب المسافة التي بينهما ، فبعد أن كانا بموضع واحد أصبحا بعيدين عن بعضهما .

ويكفي ذلك من أمثلة وهي كثيرة وخاصة عند شعراء المعلقات .

عمر معيدي الهزاع
حمص ـ سورية

المراجع

● شرح المعلقات السبع للزوزني
● مجلة المعلم العربي عدد (٢) ١٩٦٣م .

مع الأصدقاء

الفائزون في المسابقة

سبق لي أن شاركت في مسابقة مجلة « **الفيصل** » في أعداد سابقة ، ولكن لم أوفق في الأجوبة الصحيحة ، وفي العدد (٥٣) سبتمبر (أيلول) ١٩٨١ م ، شاركت في مسابقة هذا العدد وكانت إجابتي كلها صحيحة . ولكن للأسف لم أر اسمي ضمن الفائزين مع العلم بأن أجوبتي كلها صحيحة . لهذا بادرت إلى الكتابة إليكم مستفسراً عن سبب عدم فوزي في هذه المسابقة .

وقد لاحظت أن هناك تناقضاً بين ما طلبتم في أسئلة مسابقة العدد المذكور (٥٣) وبين ما نشرتموه . وذلك في السؤال الثالث حيث كان نصه كالتالي : السؤال الثالث : هذه أسماء (**دواوين**) لعدد من الشعراء السعوديين المعاصرين اذكر أسماءهم : وحي الحرمان ـ قصائد في زمن السفر ـ معركة بلا راية ـ أغنيات لبلادي .

ففي العدد (٤٠) من المجلة لشهر (أغسطس (آب) سبتمبر (أيلول) ١٩٨٠ م) وتحت عنوان : (دائرة المعارف) : أدباء سعوديون نشرتم : الفيصل (الأمير عبد الله) : من **دواوينه المطبوعة** : (وحي الحرمان) . القصيبي (**غازي عبد الرحمن**) : من **دواوينه** : (معركة بلا راية) .

وفي العدد (٤٩) من المجلة لشهر (مايو) حزيران ١٩٨١ م ، وتحت عنوان : كتب جديدة نشرتم ما يلي :

أغنيات لبلادي : مجموعة شعرية للشاعر : سعد البواردي ـ قصائد في زمن السفر : ديوان شعر جديد للشاعر : أحمد صالح الصالح (مسافر) .. فلم تنشروا كلمة (الدكتور) للشاعر القصيبي . بل نشرتم : القصيبي (غازي عبد الرحمن) .

كما أنكم نشرتم في هذه الأجوبة كلمة (شعر) لكل من الشعراء السعوديين الأربعة بدلا من أن تنشروا كلمة (**ديوان**) كما جاء ذلك في صيغة أسئلتكم . وهذا تناقض . وإن كان معنى الديوان هو : مجموعة شعرية . أما الشعر فليس هو الديوان إذ قد يكون الشعر قصيدة خاصة وليس ديواناً . لأننا نراعي في أجوبتنا لكم التقيد بلفظ أسئلتكم حرفياً . فإذا طلبتم منا كلمة : ديوان يكون جوابنا بلفظة (ديوان) ، وإذا طلبتم منا كلمة : (شعر) يكون جوابنا بكلمة : (شعر) وهكذا تبعاً لصيغة أسئلتكم . إن أجوبتي التي بعثت بها إليكم بتاريخ : (١٢ سبتمبر ـ أيلول ١٩٨١ م) أي بعد وصول المجلة عندنا لمدينة فاس بـ : ١٢ يوماً فقط ، هي مطابقة تمام الانطباق حرفياً لما نشرتموه في أجوبة هذه المسابقة . ولكن مع هذا وذاك لم أك من بين الفائزين لا من الصنف الأول ولا من الصنف الثاني ولا من الأخير . (إن لم يصبها وابل فطل) فما هو السبب إذن ؟ هل هذا من سوء حظي كما قال الشاعر (قاتل بسعد ولا فدع) أم أجوبتي لم تصلكم ؟ أم هناك شيء آخر غير هذا وذاك ؟ أرجو منكم إيضاح ذلك وعن طريق أعمدة المجلة طبعاً في ركن : (مع الأصدقاء) ليطمئن قلبي وأرجو الله أن لا يتكرر مثل هذا مستقبلاً .

أعانكم الله ووفقكم وأطال عمركم جميعاً حتى تؤدوا رسالتكم العلمية النبيلة عن طريق مجلتنا المحبوبة : « **الفيصل** » وحفظ الله جميع من يعمل بإدارة هذه المجلة الغراء . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمد العلمي

فاس ـ المغرب

● **المجلة** : المعروف أن توفيق أي مشترك في الإجابات الصحيحة على أسئلة المسابقة ليس بالضرورة توفيقه في الفوز بإحدى جوائزها .. لأن كثيراً من المشتركين في المسابقة يوفقون في الإجابات الصحيحة ، وعددهم يفوق عدد الجوائز ، وفي هذه الحالة تقوم لجنة المسابقة بإجراء القرعة بين القرّاء الذين وفقوا في الإجابات الصحيحة .. ومن ثم معرفة أسماء الفائزين في القرعة . فالإجابة الصحيحة على أسئلة المسابقة لا يعني ضرورة الفوز بإحدى الجوائز إذا لم يقدر له الفوز بالقرعة .. وهذه القاعدة متبعة في كل المسابقات المشابهة لمسابقة مجلة « **الفيصل** » .

أما إشارتك إلى المعلومات الواردة في دائرة معارف المجلة بذكر الاسم الأخير للشخص سواء كان شاعراً أو أديباً وهو اسم العائلة عادة فهذه قاعدة علمية تتبعها أغلب المعاجم ودوائر المعارف فاسم غازي عبد الرحمن القصيبي يرد في حرف (القاف) بحيث يكون (القصيبي : غازي عبد الرحمن) وهكذا .

وسؤالنا كما أشرت في رسالتك عن دواوين الشعراء ، وليس شعرهم .. والإجابة لم تخرج عن السؤال .. وليس في الأمر ما يدعو إلى الالتباس بين كلمتي « شعر » ، و « ديوان » .

رابع المستحيلات

●● من بورسعيد في مصر يسأل القارئ (محمد فكري عبد الجليل علي) عن مضمون عبارة « من رابع المستحيلات » .. ولماذا تميز أمر ما برابع المستحيلات مع أن المستحيلات عديدة لا حصر لها ؟

● وردت هذه العبارة في كتب الأدب العربي .. قال الشاعر :

لما رأيت بني الزمان وما بهم
خل وفيٌّ للشدائد أصطفي
أيقنت أن المستحيل ثلاثة
الغول والعنقاء والخل الوفي

وهذا يعني أن المستحيلات في أيامهم ثلاثة هي « الغول ، والعنقاء ، والخل الوفي » ، فإذا صادفهم مستحيل عدوه رابع المستحيلات .. وهذا لا يمنع أن يوجد مستحيل خامس ، وسادس ، وعاشر .

عن المنصورة

ورد في مجلتكم «**الفيصل**» في العدد (٤١) موضوع «**المنصورة .. عروس دلتا مصر**» في باب «**مدينة وتاريخ**» .

وأحب أن أشيد بمجهود المجلة التي غطت تاريخ وحاضر هذه المدينة العريقة .. وفقكم الله في رسالتكم لزيادة الروابط بين أفراد الأمة العربية .

ولكن ورد خطأ في هذا الموضوع هو في «ص ٣٩» تحت الصورة المنشورة تعليق بأن الصورة لدار ابن لقمان التاريخية كما تبدو من الخارج .

ولكن أحيط سيادتكم علماً بأن الصورة «**لقصر الثقافة**» وهو من المباني الحديثة المطلة على النيل ولم يستكمل بناؤه بعد ولكنه في طريقه إلى الاستكمال ، ولهذا أردت التنويه وشكراً .

وفقكم الله في أداء رسالتكم في خدمة الوطن العربي وإثراء اللغة العربية .

عاطف محمود أبو العينين

محافظة الدقهلية ـ مصر

قصة الخلق من النطفة إلى الجنين . وسؤال

طالعت في مجلتكم الغراء **العدد (٤٠)** موضوعاً أعجبني هو «**قصة الخلق من النطفة إلى الجنين**» بقلم الأستاذ **عبد الرحمن حريتاني** وقد أعجبني المقال جداً ولكن نتيجة قراءتي للموضوع برز لي استفسار احترت في توصيله للأستاذ عبد الرحمن لعدم معرفتي لعنوانه ولذلك كتبت إليكم لتوصيل هذا الاستفسار للأستاذ عبد الرحمن أو إرسال عنوانه لي .

بالنسبة للاستفسار هو أنه ورد في هذا المقال في «ص ١٠١» السطر (١٥) هذه العبارة :

«ولعل هذا يفسر حياة المواليد الذين يأتون قبل اكتمال مواعيدهم المحددة» . ولقد فهمت من هذا الكلام أن هذا النوع من المواليد يكون كثير الاستفسار .

أرجو من الأستاذ توضيح هذه العبارة أو بيان طبيعة حياة هذا النوع من المواليد .

وأحب أن أنبه إلى نقطة أخرى وهي أنه ورد في العدد (٤١) صفحة (٣٩) وتحت الصورة كلام يدل على أن هذه الصورة لدار ابن لقمان وهذا خطأ ، فالصورة لقصر الثقافة في المنصورة ولا يحتاج الإنسان لاكتشاف ذلك إلا تدقيق بسيط فالبناء جديد جداً .

فوزي عبد الحليم الصهادي

المنصورة ـ مصر

قصة الخلق

قرأت في العدد (٤٠) من مجلتكم موضوعاً خاصاً حول قصة الخلق من النطفة إلى الجنين بقلم الأستاذ عبد الرحمن حريتاني .. وفيه يتناول مع الصور الملونة تطور مراحل الخلق ، وهذا يدل دلالة واضحة على قدرة الخالق سبحانه وتعالى ، أرجو أن تتابع المجلة نشر مثل هذه القضايا والأمور الهامة والحيوية .

وأسألكم هل **التعليق** على الكتب التي ترد إليكم في باب (كتب وردت إلى المجلة) يتم من جانبكم أم من جانب المؤلف . ولكم جزيل الشكر .

محمد محب الدين

القصير ، حمص ـ سورية

● **المجلة** :

نشكر لك أيها الصديق اشارتك حول موضوع قصة الخلق ، ونسأل الله أن يوفقنا للقيام بدورنا على الوجه المطلوب ، وبما ينفع القراء .. أما فيما يتعلق بالكتب فيتم التعليق عليها من جانبنا بعد الاطلاع على الكتاب الذي يصل إلى المجلة كهدية من المؤلف .

تنقيط المصحف الشريف

●● **من دير الجمال في سورية يسأل القارئ (محمود حسن حميدو) عن تنقيط المصحف الشريف .. متى وفي عهد من .. ولماذا؟**

● **الجواب** : إن نقط المصحف لم يحدث على المشهور إلا في **عهد عبد الملك بن مروان** ، إذ رأى أن رقعة الإسلام قد اتسعت ، واختلط العرب بالعجم ، وكادت العجمة تمس سلامة اللغة ، وبدأ اللبس والإشكال في قراءة المصاحف يُلحُّ بالناس ، حتى ليشق على السَّواد منهم أن يهتدوا إلى التمييز بين حروف المصحف وكلماته وهي غير منقطة .

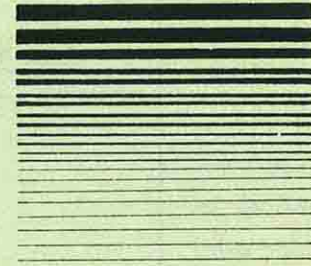
هنالك رأى بثاقب نظره أهمية انقاذ الأمر ، فأمر **الحجاج** أن يُعنى بهذا الأمر ، وندب الحجاج رجلين جليلين هما (**نصر بن عاصم الليثي**) ، و (**يحيى بن يعمر العدواني**) فقاما به خير قيام ، وهما من أهل الصلاح والورع ، والخبرة بأصول اللغة ، ووجوه قراءة القرآن .. وقد تتلمذا وأخذا عن **أبي الأسود الدؤلي** .

ويمكن للقارئ الكريم أن يراجع «**مناهل العرفان في علوم القرآن**» للزرقاني ، وكتاب «**الاتقان في علوم القرآن**» للسيوطي ، وكلاهما مطبوع ، ولا يستبعد وجودهما في أغلب المكتبات العربية .. وفيهما مزيد من البحث في موضوع تنقيط المصحف ، وغيره من البحوث النافعة .





مسابقة مجلة الفيصل



شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ ـ قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

أ ـ الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال

ب ـ الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال

جـ ـ الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي) ، وعشر جوائز أخرى قيمة كل جائزة (٢٠٠ ريال سعودي) .

٢ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :
(الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص . ب (٣) المسابقة) .

مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها .

أجوبة مسابقة العدد (٦٢)

ج ١ مؤلفو الكتب التالية هم :
عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان : بدر الدين العيني .
الصحاح : إسماعيل بن حماد الجوهري .
زاد المعاد في هدي خير العباد : ابن قيم الجوزية .
الإصابة في تمييز الصحابة : ابن حجر العسقلاني .

ج ٢ عبد الملك بن قريب بن عبد الله الأصمعي ينتهي نسبه إلى قيس عيلان .. هو صاحب لغة ونحو وغريب وأخبار وملح .. كان من أهل البصرة ، ولد عام ١٢٢ هـ .. قدم بغداد أيام الرشيد .. كان يحفظ ستة عشر ألف أرجوزة .. من كتبه «الأصمعيات» ، و «تاريخ العرب قبل الإسلام» ، و «فحولة الشعراء» .

ج ٣ أ ـ المستنقع : هو المكان الذي يتغطى بالماء ، وليس له مجرى ، مياهه ثابتة .
ب ـ الهور : هو بقعة من الأرض الرطبة اللينة ، تكون عادة ذات منسوب منخفض وتغطيها المياه كلياً أو جزئياً ، ويميزها عن المستنقع أنها لا تتغطى بالماء إلا مؤقتاً .

ج ٤ عرف شجر المطاط منذ «٤٥٠» سنة ، والذين اكتشفوه الباحثون الإسبان في أمريكا الجنوبية أثناء بحثهم عن الذهب والفضة .

ج ٥ يعتبر حوض «جون» أكبر حوض للأسماك في العالم شيد في «شيكاغو» ويحتوي على (١٠) آلاف صنف من الأسماك التي تعرض للزوار .

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل
العدد (٦٩)

الاسم : ------------------------------
المهنة : ------------------------------
العنوان : ------------------------------

٥ ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

السؤال الأول :

أين توجد هذه الجوامع والمساجد :

مسجد الغمامة ـ الجامع الأزهر ـ جامع عقبة بن نافع ـ جامع القرويين .

السؤال الثاني :

أحد البلدان التالية عرف بأنه البلد الذي يوجد به خمسة آلاف نهر (الفيليبين ـ بريطانيا ـ الصين ـ البرازيل) . . اذكره في إجابتك .

السؤال الثالث :

اذكر اسم أول جامعة أنشئت في أوروبا . . وأين توجد اليوم ؟

(لندن ـ السوربون ـ درم ـ كامبريدج) .

السؤال الرابع :

اذكر أسماء مؤلفي الكتب التالية :

العقد الفريد ـ بدائع البدائه ـ صبح الأعشى ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء .

السؤال الخامس :

« أما أنا فارى واجباً أن يدعى النبي محمد منقذ الإنسانية . وأعتقد أن رجلاً مثله لو تولى زعامة العالم الحديث لنجح في حل مشكلات هذا العالم ، وأحل فيه السلام والسعادة » .

هذه العبارة قالها أحد الكتّاب الآتية أسماؤهم :

(توينبي ـ كارليل ـ برنارد شو ـ راسل) .

• نتيجة مسابقة العدد (٦٢) •

● فاز **بالجائزة الأولى** وقيمتها (٢٠٠٠) ألفا ريال سعودي الأخ **علي بن علي صالح الرويشان** ، اليمن ، صنعاء ، ص . ب . (١١١٦) .

● وفاز **بالجائزة الثانية** وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة ريال سعودي الأخ **عماد أحمد أديب** ، ميشيجان ، الولايات المتحدة الأمريكية .

● وفاز **بالجائزة الثالثة** وقيمتها (١٠٠٠) ألف ريال سعودي الأخ **شاهر علي حمدان** ، الكويت ، وزارة الكهرباء والماء المشاغل الرئيسية ص . ب . (٥١٦) بواسطة علي محمد حمدان .

وهناك **سبع جوائز** قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من الرياض ، منفوحة ، بقالة الوادي الحديث ، الأخ حمدان مبارك محمد القدان .

● من الأردن ـ عمّان ، ماركا الجنوبية ص . ب . (٤٢٠١٤٤) ، الأخ أحمد عطية محمد علي .

● من المدينة المنورة ، ص . ب . (١٧٩٧) طبيب سمير إسماعيل خليل .

● من المغرب ـ تطوان ، الأخت أنيسة أولاد عيسى .

● من العراق ـ بغداد ، ٢٦ / ٢٦ حي اليرموك ، الأخ عبد الرزاق حمادي الجزار .

● من سورية ـ دمشق ، الأخت رجاء محمد حطيني .

● من السودان ـ المهدية ، ص . ب . (٩٤) ، الأخ روهينج دبلاتيه .

بالإضافة إلى **عشر جوائز** قيمة كل جائزة (٢٠٠) مائتا ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من الأردن ـ عمّان ، الأخت هيام إسماعيل ضمرة .

● من الرياض ، أمانة مدينة الرياض ، القسم الهندسي ، الأخ عبد العزيز يوسف بن رشيد .

● من السودان ، الخرطوم ، جامعة الخرطوم ، الأخ خليل عباس إبراهيم بواسطة أخيه موسى عباس إبراهيم .

● من سورية ـ حلب ، الأخت رتيبة حمزة صالح .

● من تونس ـ المرسى ، 11 برج الحوكي نهج (6) ، الأخ عادل السمعلي .

● من المغرب ـ الدار البيضاء ، حي للا مريم بلوك (105) الرقم (15) ، الأخ الشوكي عبد اللطيف .

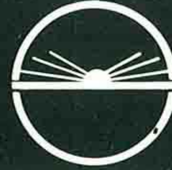
● من مصر ـ الإسكندرية ، سيدي بشر ، الأخت إيمان نبيه خليل البدراوي .

● من مصر ـ القاهرة ، مساكن محي ، مدخل ٢٨ شقة (٦) ، ميدان الخلفاوي شبرا ، الأخ فاروق يوسف إسكندر .

● من تونس ـ تطاوين ، الأخت آمنة الحبيب الناجح .

● من الجزائر ـ جيجل ، متوسطة بلال الطاهير ، الأخ عزّاز الشريف .

كتب وردت إلى المجلة



«وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الانسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شأنه أن يفتح امام القارىء آفاقا أوسع وارحب وابعد مدى».

الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب إيطاليا

من تأليف **الدكتور عبد المنعم رسلان** يتضمن دراسة عن الحضارة الإسلامية بجزيرة صقلية وجنوب إيطاليا بتركيز على المميزات الفنية لنشاط المسلمين في تلك المناطق. وقد جاءت الدراسة مزودة بنماذج مصورة من الخط العربي والنقوش والزخارف المختلفة. الكتاب يأتي ترتيبه الرابع ضمن **سلسلة الكتاب الجامعي التي تصدرها تهامة بجدة** يقع في (٣٥٠) صفحة من القطع المتوسط.

منية السؤل في تفضيل الرسول صلى الله عليه وسلم

كتيب يشتمل على مضمون نسخة مخطوطة من تأليف **الإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام** المتوفى سنة ٦٦٠ هـ، ورواية **الحافظ شرف الدين أبي عبد الله الميدومي**. وتناولت الرسالة بإيجاز أسباب تفضيل الرسول عليه الصلاة والسلام. يقع الكتيب في (٤٠) صفحة من الحجم المتوسط وصدر عن **دار الكتاب الجديد ببيروت**.

المجتمع الإسلامي في ظل الإسلام

الكتاب من تأليف الأستاذ **محمد أبو زهرة**. تناول فيه موضوع شمولية الإسلام على المبادئ الإنسانية الكفيلة بمعالجة أدواء البشرية وإيقاظ الضمير الإنساني، وذلك بما كفله الإسلام من عدالة وحرية وتهذيب للنفس. الكتاب أصدرته **الدار السعودية للنشر والتوزيع بجدة** ويقع في (٢٨٨) صفحة من الحجم المتوسط.

عثمان بن عفان

هذه هي الطبعة الثانية من كتاب «عثمان بن عفان» للأستاذ **صادق إبراهيم عرجون**. تناول فيه المؤلف سيرة ثالث الخلفاء الراشدين «عثمان بن عفان» رضي الله عنه، متتبعاً الروايات التاريخية المختلفة استجلاء للحقيقة في فترة اكتنفها الكثير من الغموض. يقع الكتاب في (٢٢٤) صفحة من الحجم المتوسط، أصدرته **الدار السعودية للنشر والتوزيع بجدة**.

الطائف في العصر الجاهلي وصدر الإسلام

بحث من ثلاثة أبواب تناولت فيه **الدكتورة نادية حسني صقر** تاريخ مدينة **الطائف** حسب المراحل التاريخية التالية: **العصر الجاهلي، عصر النبي عليه الصلاة والسلام**، ثم تناول الباب الأخير تاريخ الطائف في عهد **الخلفاء الراشدين والعصر الأموي إلى مرحلة تكوين وقيام الدولة العباسية** حيث اتخذها العباسيون مركزاً دينياً في البداية. يقع الكتاب في (١٧٦) صفحة من الحجم المتوسط. وصدر عن **دار الشروق بجدة**.

العلاقات الدولية في القرآن والسنّة

رسالة من أربعة أبواب أعدها **الدكتور محمد علي الحسن** تناول فيها موضوع العلاقات الدولية من وجهة النظر الإسلامية معتمداً على ما ورد في **القرآن والأحاديث النبوية والوقائع التاريخية** وما كتبه **المستشرقون**. يقع الكتاب في (٤٣٢) صفحة من القطع الكبير أصدرته **مكتبة النهضة الإسلامية بعمّان ـ الأردن**.

التخلف الإملائي

دراسة ميدانية لمشكلة التخلف الإملائي أعدتها **نوال عبد المنعم قاضي** تناولت فيها بالبحث الميداني والتحليل أسباب التخلف الإملائي، مقترحة الوسائل العملية لعلاج هذه الظاهرة. يقع الكتاب في (١٥٢) صفحة من الحجم المتوسط وأصدرته **تهامة في جدة**.

وجوه وملامح: صور شخصية لبعض رجال السياسة والقلم

الكتاب من تأليف الأستاذ **سليمان موسى** وهو عبارة عن تقديم لسيرة ثمانية من أعلام الأردن جمعتهم فترة زمنية واحدة لعبوا خلالها دوراً بارزاً في مجالات السياسة والأدب. ومن خلال تقديم المؤلف لهذه السير قدم عرضاً موجزاً للتاريخ السياسي والأدبي للأردن خلال فترة عطاء هذه الشخصيات. الكتاب من **منشورات وزارة الثقافة والشباب الأردنية** ويقع في (٢٠٤) صفحات من الحجم المتوسط.

علاقة الآباء بالأبناء في الشريعة الإسلامية: دراسة فقهية مقارنة

من تأليف **الدكتورة سعاد إبراهيم صالح**، وترتيبه السابع من **سلسلة الكتاب الجامعي التي تصدرها تهامة بجدة** وهو عبارة عن دراسة فقهية شملت ثلاثة عشر مبحثاً في علاقات الآباء بالأبناء في الشريعة الإسلامية أعدتها المؤلفة مستندة في ذلك على الآيات القرآنية وما ورد بالأحاديث النبوية وآراء الفقهاء في بيان هذه الحقوق. يقع الكتاب في (٣١٢) صفحة من القطع المتوسط.

القول القيّم مما يرويه بن تيمية وابن القيّم

كتيب من إعداد الإمام **حامد المحضار** جمع فيه خلاصة ما جاء بكتب شيخي الإسلام **ابن تيمية وابن القيّم** عن فضائل أهل البيت النبوي الشريف. يقع الكتيب في (٧٢) صفحة من الحجم الصغير، أصدرته **دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة بجدة**.

كلاسيكية وعصرية وباعثة على الاعجاب .

سيكو تقدم مجموعة فاخرة من ساعات الكوارتز للرجال في المناسبات .

كلاسيكية في اهتمامها بالتفاصيل والمهارة في دقة الصنع. وعصرية في تصميمها الحديث وحركات كوارتز سيكو المتناهية الدقة. وباعثة على الاعجاب بمنظرها الأنيق وهي تزيّن معصم أي رجل. انها نخبة ساعات كوارتز سيكو للرجال في المناسبات .





الحصيني وشركاه

سيكو

SEIKO